

جامعة تونس  
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس  
قسم اللغة والآداب والحضارة العربية

سياسي إباضي مغربي :سليمان الباروني  
(1873-1940)

رسالة ماجستير في الحضارة المعاصرة

إعداد الطالبة :هادية مشيخي إشراف الأستاذ :محمد الناصر النفزاوي

2005-2006

## الإهداء

أهدي هذا البحث  
إلى  
والوالديّ  
وإلى كل أفراد عائلتي.

## الشكر

خاص إلى أستاذي محمد الناصر النفزاوي الذي أشرف على هذا البحث وإلى

كل من ساعدني على إنجازه

## مقدمة

تعنى هذه الدراسة بشخصية مغربية عبّرت عن أحد المذاهب الإسلامية الثلاثة (المذهب السنّي والمذهب الشيعي والمذهب الخارجي ) وهو المذهب الخارجي تعبيرا ميزته الأولى الانفتاح لأنّ الباروني كان يرى أنّه لا يمكن بغير توحيد المسلمين مواجهة خصومهم الغزاة مواجهة جدية .فسليمان الباروني (1873-1940) الذي لا يعرفه الكثيرون من غير الإباضيين في بلاد المغرب وسلطنة عمان، إباضي بربري من جبل نفوسة – الجبل الغربي في طرابلس الغرب وعاش زمن دولة عبد الحميد ودولة العثمانيين الاتحاديين ورأى فيما كانتا تستندان إليه من إيديولوجيا أي الجامعة الإسلامية حصنا واقيا للمسلمين ثم بقي على إيمانه هذا حتى بعد سقوط دولة الخلافة أي حتى موته في الهند سنة 1940.

عاش هذا العلم في بلاد المغرب غير مرتاح ومتقلبا طوال حياته بسبب اختلافه المذهبي في بلاد المغرب عن مذهب الأغلبية المالكي وكذلك بسبب قوله بالجامعة الإسلامية، فعلى المستوى المحلي تعرض الباروني لمضايقات رجال السياسة المحليين ابتدأت بتهمة خيانة الدولة العثمانية والسجن وانتهت في آخر المطاف برحيله إلى مصر "عباس حلمي" بعد أن ضاق ذرعا بتصرفاتهم .

أمّا على المستوى الخارجي فقد ضيّقت عليه دول الأحلاف الخناق بسبب تبنيّه فكرة الجامعة الإسلامية التي تعارض تشجيعها القوى النابذة في الخلافة على تبني مفهوم الوطنية.

لقد كان الباروني الذي تبني فكرة الجامعة الإسلامية منذ أن كان طالبا في تونس ومصر والجزائر يرى أنّ الإسلام الذي تعتمده الدولة العثمانية دينا رسميا للدولة هو الدرع الواقية لأقطار المغرب العربي التي تتميز باستثناء بعض الجيوب بوحدّة الدين والمذهب خاصة أنّ

الاهتمام الكبير كان آنذاك موجّهًا إلى المشرق الذي يمثّل قلب السلطنة النابض في حين همشت أقطار المغرب التي كانت تمثل الأطراف.

وقد مكّنه توجهه الفكري-السياسي من تقلّد مناصب هامة في الدولة العثمانية الاتحادية (عضو في البرلمان سنة 1908 وعضو في مجلس الأعيان سنة 1913) بعد أن تأكّدت زمن عبد الحميد من إخلاصه في حين سلّطت عليه الدول الغربية سخطها إذ كانت ترى في هذا التوجّه ضربا لمخططاتها التقسيمية الاستعمارية في العالم الإسلامي، وستتمكن هذه القوى بإعانة من خصومه من إبعاده عن وطنه طرابلس ومنعه بعد سقوط الدولة العثمانية الاتحادية من دخول الدول العربية كمصر وتونس والجزائر والعيش متنقلا بين فرنسا والحجاز وعمان والعراق إلى سنة 1940 تاريخ وفاته في بومباي في الهند .

هذا البحث يسعى إذن إلى بيان مغربيّة هذا المفكر السياسي الإباضي استنادا إلى عدّة أمور أهمّها على الإطلاق هو عدم حيولة انتماء الباروني الديني الإباضي دون تعلّقه الشديد بوطنه المغربي وهو ما يعني أنّ الوطن المغربي هو في نهاية الأمر سابق على الاختلافات الإيديولوجية، وقد حاولنا بيان ذلك من خلال تناول حياته وتفكيره وعدّدنا بعض العوامل التي نحتّ بالباروني هذا المنحى ومنها ارتباط طرابلس الغرب على عكس برقة منذ القديم بالمغرب العربي :

"في القرن الثامن قبل الميلاد استوطن الفينيقيون الساحل الغربي في البلاد وأقاموا فيه ثلاثة مراكز تجارية لهم هي " :أويا " و "لبدة " و "صبراتة " اشتهرت باسم المدن الثلاث وكان هذا الإقليم جزءا من إمبراطورية قرطاجة (...)) ووقعت طرابلس في القرن الثاني قبل الميلاد بأقاليمها الثلاثة تحت حكم الرومان بعد أن انتصرت روما على قرطاجة في الحروب البونية وسيطرت على حوض البحر الأبيض المتوسط كله، وحين تعرّضت الدولة الرومانية في القرن الخامس بعد الميلاد لغزو القبائل الجرمانية استطاع أحد فروع هذه القبائل وهو الوندال احتلال شمال افريقيا بعد أن احتلوا اسبانيا وبقي الوندال في طرابلس الغرب حوالي القرن إلى أن قضى عليهم البيزنطيون وضمّوا البلاد إلى الدولة البيزنطية التي ورثت روما .وقد ازدهرت الحضارة في أقاليم طرابلس الغرب إبان تلك العهود وتعرّضت لما تعرّضت له الدول التي تتالت على حكمها من حالات قوة وضعف وبدأت طرابلس الغرب مرحلة جديدة من

تاريخها بالفتح العربي الذي حرّرها من السيطرة البيزنطية وعرّفها على الإسلام وذلك حين فتح عمرو بن العاص برقة سنة 641م وطرابلس عام 642م<sup>1</sup>

من هذه العوامل أيضا مدّة الدراسة التي قضاها الباروني في الزيتونة (1887-1892) وتأثره أيما تأثر بالشيخ النخلي الذي كان ينفر من تنايذ المذاهب.

الحقيقية الثالثة "حجّه" إلى تاهرت سنة 1898 عاصمة الدولة الرستمية القديمة.

الحقيقة الرابعة أخذه بفكرة الجامعة الإسلامية لأنها في نظره هي الدرع الواقية من سقوط بقية المناطق المغربية (طرابلس ومراكش) في أيدي القوى الغربية .

إضافة إلى حقيقة أخرى تدلّ بما لا يدع مجالاً للجدل على شدة تعلق الباروني بمغربيته وخاصة قوله بالخصوصية المغربية التي يؤكدّها ما جاء في ردّه على شكيب أرسلان في الخصومة الشهيرة بينهما في ثلاثينات القرن العشرين إذ جاء في هذا الردّ " : من رأي أن لا تنقصوا الجامعة العربية بل صوبوها بالنسبة إلى الشرق وأمّا المغرب لا تنفعه إلا الجامعة الإسلامية لأنه ليس في المغرب كلّ من طرابلس إلى المحيط غير مسلم من الوطنيين حتى تجب مراعاته وفيه غير العرب ملايين من بربر وترك وسودان وغيرهم ولا تجمعهم إلا كلمة الإسلام والوطن التي تجمع الجميع بالأقطار الإسلامية كلّها وتوجب عليهم حق الأخوة الإسلامية التي فرضها الله في كتابه «إنّما المؤمنون إخوة» هذا هو السبب الأساسي الذي يفسّر اختيارنا سليمان الباروني موضوعا للبحث أفلا يوجد سبب آخر؟

إنّنا نقول نعم، هناك أمر يتصل بقضية أخلاقية سياسية هي إيماننا بوجود أن يتحقّق عند المفكّر السياسي شرط أساسي : هو تحقيق شرطي القول والعمل، شرطي النظرية والتاريخ، شرطي التفكير والممارسة حتى يصبح المثقّف حقيقة مثقّفا ملتزما أي أن لا يكون مثل

<sup>1</sup> أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني (1882 - 1911) ليبيا،

المطبعة الفنّية الحديثة، 1971، ص. 26.

"فوطه الحمام ينتقل من جسم إلى جسم" على حدّ تعبير محمد كرد علي. ولقد كان سليمان الباروني في نظرنا، مثالا صافيا على مثل هذا المثقف مما يفسّر هذه المعاناة التي ميّزت حياته طيلة فترة نشاطه السياسي الممتدة من فترة شبابه إلى موته غريبا في بومباي الهندية. ولقد حاولنا في كلّ فصول هذا التأليف أن نتّبع ما يؤكّد ما ذهبنا إليه في السطور السابقة وما يدلّ على وجاهته.

إنّ تصوّر الموضوع على الهيئة التي ذكرنا، فرض علينا أن نقسّم بحثنا إلى أقسام ثلاثة تتوزّع بدورها إلى فصول فتناولنا في القسم الأول حياة سليمان الباروني زمن الحكم الحميدي (1873-1908) فاهتمّ الفصل الأول بنشأته وتكوينه العلمي في تونس ومصر والجزائر من 1887 إلى 1898، والفصل الثاني بمحنة الباروني بعد التهمة السياسية التي وجّهت إليه والمتمثلة في الخروج عن سياسة عبد الحميد الإسلامية ومحاولة تكوين دولة بربرية إباضية مستقلة في الجبل الغربي (1898-1908)، أمّا الفصل الثالث فقد تعلّق بسفر الباروني إلى مصر العباسية (1906-1908) التي مارس فيها نشاطه الفكري معلنا عن توجّهه الإسلامي من خلال جريدة الأسد الإسلامي التي كان يصدرها.

اعتنى القسم الثاني بنشاط الباروني زمن الدولة العثمانية الاتحادية (1908-1918)، فدرسنا في الفصل الأول موقف الباروني من إعلان الدستور (المشروطية) سنة 1908 إثر الانقلاب الذي قاده أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على سياسة عبد الحميد الذي عطل العمل بالدستور منذ 1877 كما تضمّن هذا القسم فصلا ثانيا عني بنشاط الباروني في المبعوثان (مجلس النواب (1908-1911) ) المتمثّل في الدّفاع عن حقوق طرابلس الغرب في الآستانة والدّفاع عن كيان الدولة الإسلامية ضدّ التيارات الفكرية المطالبة بتطبيق النظم الغربية في السياسة و ضد القوى الاستعمارية التي كانت تتربّص بالدولة العثمانية. أمّا الفصل الأخير من هذا القسم فقد تناول نشاط الباروني من ( 1911 بداية الحرب الطرابلسية – الإيطالية (على ) 1918 تاريخ سقوط الدولة العثمانية بعد خسارتها في الحرب الكبرى )

القسم الأخير من العمل تعلّق بحياة الباروني في المهاجر ( 1918-1940 ) فاهتمّ الفصل الأول بالفترة التي قضّاها الباروني في طرابلس إثر الانقلاب الأتاتوركي

(1918-1923) ونشاطه السياسي (صياغة القانون الأساسي (1919)، ودرس الفصل الثاني إقامة الباروني في فرنسا ودعوته إلى الجامعة الإسلامية في مقالاته، أما الفصل الثالث فقد بحث في المرحلة التي انتقل فيها الباروني إلى الحجاز بعد أن سمح له الشريف حسين بالدخول إليها أثناء الحرب الوهابية - الهاشمية التي ستنتهي بالإطاحة بالحكم الهاشمي (1924) في حين اهتم الفصل الأخير بنشاط الباروني السياسي في عمان وقد تمثّل أساسا في الحد من الصراع بين السلطنة ممثلة في السلالة السعيدية والإمامة الخليلية الإباضية وتنقله إلى العراق أثناء حكم فيصل بن الحسين إلى سنة وفاته في بومباي الهندية سنة 1940.

على أنه لا بدّ لنا من أن نلاحظ أن مجمل هذه الفصول التسعة الأولى إذا كانت متقاربة في عديد الصفحات، فإنّ الفصل العاشر جاء مقارنة بها بالغ الطول لأننا اضطررنا فيه إلى دمج أكثر من فصل حتى لا نضطرّ إلى إضافة قسم رابع للكتاب هذا فيما يتّصل بالأقسام .

تبقى قضية المنهج الذي اعتمده في تناول الموضوع مما يكاد يكون متّفقا عليه أنّ المدرسة الوضعية<sup>1</sup> التي ظهرت في أوروبا حتى الحرب العالمية الأولى اشتهرت بتركيزها على "السياسة" و "الفرد" و "الكرونولوجيا" والمقصود بالكرونولوجيا "على المستوى الحديثي هو إدراج الأحداث في سياقها وإبراز فرادتها وإيلاء أهميّة خاصة لصانعي تلك الأحداث ولإنجازاتهم "دون الاهتمام بالمسائل الاقتصادية أو الحضارية العامة أو التركيز على المسائل الجزئية البسيطة".

وهذا المنهج يولي الوصف الموضوعي والمحايد الأولوية على حساب التفسير والتأويل والمقارنة، وبما أن موضوعنا يهتم بدراسة شخصية سياسية فإننا تخيّرنا هذا المنهج نظرا إلى تناسبه مع طبيعة موضوعنا واعتمده في أقسام العمل الثلاثة. فأولينا الوثيقة المكتوبة أهميّة بالغة حيث استخدمنا أرشيف الباروني وركّزنا أساسا على الوثائق التي جمعتها ابنته زعيمة الباروني ونزلتها بعنوان "صفحات خالدة من الجهاد" إضافة إلى الوثائق الأخرى المحفوظة في مراكز التوثيق وما كتب حوله في الصحف والمجلات، وقمنا بنقدها "نقدا داخليا وخارجيا" حتى يثبت لدينا "صحة الوثائق وصدق محتواها"

<sup>1</sup> استندنا فيما يتّصل بالمنهج إلى تأليف الهادي التيمومي بعنوان "مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم في العالم الغربي من النهضة "

إلى "العولمة" صفاقس، دار محمد علي الحامي للنشر، ط 2003

ونتمكّن من تكوين صورة موضوعية عن الشخصية المدروسة محاولين قدر الإمكان التجردّ من انتماءاتنا "السياسية والثقافية والدينية والقومية" متجنّبين إسقاط أفكارنا أو إطلاق أي حكم قيمي أو إهمال وثائق معيّنة عن قصد لأنّ محتواها لا يتماشى ونتائج حدّناها سلفاً، رافضين لأيّ تنظير أو نحت للمفاهيم المجردة .

إن استخدامنا هذا المنهج يقف عند هذا الحدّ، لكنّه يبقى قاصراً عن استيعاب الظاهرة المدروسة لأنّ هدفنا ليس الوصف الموضوعي الخاضع للحتمية العلمية وقوانينها بل محاولة فهم الشخصية التي نحن بصدد بحثها من خلال توجهها الفكري ومواقفها المرتبطة بالتغيرات التي تطرأ على العالم المحيط بها. فدراسة الإنسان في تقديرنا تحتاج إلى الفهم أكثر ما تحتاج إلى التفسير الذي يختلف فيه موضوع الدراسة عن الدارس. وحتى نفهم شخصية الباروني ومواقفه ونتبيّن ما هو كامن وراء تفكيره ومقاصده يجب أن ندرسه ضمن أقلّيته البربرية الإباضية المغربية ونفهم طبيعة العلاقة التي تربطه بالدولة العثمانية وموقفه من القوى العظمى وهذا الفهم يجعلنا نستشعر آراءه سلفاً .

إضافة إلى أنّه لا يمكننا الفصل بين الشخصية المدروسة والدارس في هذا العمل نظراً إلى انتمائهما إلى نفس المجتمع "المغربي" وإلى الطبيعة نفسها وهكذا فإننا اعتمدنا بالإضافة إلى المنهج الوضعي على المنهج التاريخاني الذي ظهر في أوروبا الغربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وامتد حتى نهاية خمسينات القرن العشرين قصد الوصول إلى حقائق أو ما يقرب من حقائق تساعد على إثراء هذه المسألة، وقد مكّنا هذا المنهجان من فهم شخصيّة الباروني في جميع مراحل حياته وإيضاح ما كان غامضاً في جوانبها فهما نأمل أن يكون فيه قدر كاف من التوفيق .



## القسم الأول

سليمان الباروني في الزمن الحميدي

## الفصل الأول

سليمان الباروني طالبا في تونس ومصر والجزائر

( 1887-1898 )

ولد سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني في "جادو من جبل نفوسة-الجبل الغربي في طرابلس الغرب" <sup>1</sup>وقد وصف بالجبل الغربي <sup>2</sup> تميزاً له عن الجبل الشرقي أو الأخضر <sup>3</sup> في برقة الذي سيندغم تاريخه في تاريخ السنوسية. أما طرابلس فقد وصفت بالغربية تميزاً لها عن طرابلس الشرق في لبنان الحالي ولقد كان تاريخ طرابلس الغرب منذ القديم نسخة طبق الأصل من تاريخ المغرب العربي في حين كان تاريخ برقة مرتبطاً بتاريخ مصر وفي هذا الموضوع كتب أحمد صدقي الدجاني :

"جاء اسم طرابلس من تعريب الاسم اليوناني Tri/polis الذي كان يطلق على منطقة مدن ثلاث ازدهرت أثناء الاستعمار الفينيقي لساحل الإقليم ثم عرفت به أوسط هذه المدن مع بقاء دلالاته على الإقليم كله"<sup>4</sup>

ويتعرض الدجاني لتاريخ طرابلس الغرب فإذا هو تاريخ كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى مثلما تجمع على ذلك كتب التاريخ وحتى المدرسية منها في الأقطار السالفة الذكر :

"في القرن الثامن قبل الميلاد استوطن الفينيقيون الساحل الغربي في البلاد وأقاموا فيه ثلاثة مراكز تجارية لهم هي "أويا" و"البدّة" و"صبراتة" اشتهرت باسم المدن الثلاث وكان هذا الإقليم جزءاً من إمبراطورية قرطاجة (...). ووقعت طرابلس في القرن الثاني قبل الميلاد بأقاليمها الثلاثة تحت حكم الرومان بعد أن انتصرت روما على قرطاجة في الحروب البونوية وسيطرت على حوض البحر الأبيض المتوسط كله. وحين تعرضت الدولة الرومانية في القرن الخامس بعد الميلاد لغزو القبائل الجرمانية استطاع أحد فروع هذه القبائل وهو

<sup>1</sup> زعيمة الباروني، سليمان الباروني تعريف موجز (دم ن 1973 ص 5).

<sup>2</sup> الجبل الغربي " يطل جبل نفوسة على ساحل طرابلس وأقصى ارتفاع فيه 2800 قدماً (...) وقد احتفظ من فيه من البربر فضلاً عن معرفتهم باللغة العربية بلهجة خاصة وتبعوا المذهب الإباضي "الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، صص 22-20

<sup>3</sup> الجبل الأخضر : يطل على ساحل برقة وأقصى ارتفاع في الجبل الأخضر 3500 قدماً أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال

الإيطالي، مرجع سبق ذكره، ص 20.

<sup>4</sup> الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 24.

الوندال<sup>1</sup> احتلال شمال إفريقيا بعد أن احتلوا إسبانيا وبقي الوندال في طرابلس الغرب حوالي القرن إلى أن قضى عليهم البيزنطيون وضموا البلاد إلى الدولة البيزنطية التي ورثت روما. وقد ازدهرت الحضارة في أقاليم طرابلس الغرب إبان تلك العهود وتعرضت لما تعرضت له الدول التي تتالت على حكمها من حالات قوة وضعف وبدأت طرابلس مرحلة جديدة من تاريخها بالفتح العربي الذي حررها من السيطرة البيزنطية وعرفها على الإسلام وذلك حين فتح عمرو ابن العاص<sup>2</sup> برقة سنة 641م وطرابلس عام 642م.<sup>3</sup>

على أن حكم الأمويين والعباسيين اضطر إلى مواجهة دول بربرية عربية قامت على أسس عقدية ومنها الدولة الرستمية في تاهرت (تكدامت (التي حكمت مدة قرن ونصف تقريبا 147) عاما " (ولم يزل حكمها إلا حين أسس الفاطميون دولتهم في المغرب وبعد أن خرب عبید الله الشيعي<sup>4</sup> تاهرت 909 م) (فتفرق شمل الإباضية في صحراء تونس والجزائر وجربة وهم لا يزالون في هذه الأيام يعيشون جماعات متماسكة في "ورجلة" و "مزاب" و "جبل نفوسة" وفي جزيرة "جربة" ولهم كذلك صلات ليست بالقليلة مع الإباضيين بعمان وزنجبار<sup>5</sup>."

ولسوف يتواصل تاريخ طرابلس باعتبارها جزءا من بلاد المغرب العربي فنراها "تتعرض لغارات النورمانديين منذ 437هـ (...ونجح النورمانديون في احتلال المدينة سنة 543هـ وبقوا فيها اثنتي عشرة

<sup>1</sup> الوندال قبيلة جرمانية قديمة. استوطن الوندال وشعوب جرمانية أخرى وادي أودر ابتداء من حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ظهورها في بابونيا وآسيا في القرن الثالث مستظلين على ما يبدو بالحماية الإمبراطورية، وفي بداية القرن الخامس بدأ الوندال هجرة قدر لها أن توصلهم إلى أبعد ما وصله أي شعب آخر، دخلوا إسبانيا واستولوا على قرطاجنة سنة 435م وسيطروا على معظم ولايات إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. الموسوعة العربية الميسرة دار الشعب، 1987، جزء 2، ص 1968.

<sup>2</sup> عمرو بن العاص السهمي أحد صحابة الرسول وهو قرشي المولد أسلم في عام 8 / 629هـ شارك في الفتوحات الإسلامية وفتح مصر سنة 642م وعين واليا عليها توفي سنة 663 م. موجز دائرة المعارف الإسلامية مركز الشارقة للإبداع الفكري طبعة 1998. ج 24 ص 7507.

<sup>3</sup> الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 26

<sup>4</sup> عبيد الله الشيعي ( 872-934 ) مؤسس دولة الفاطميين العلويين بالمغرب ولد بالكوفة وسافر إلى المغرب وبوع بالقيروان واستوطن رقادة، اختط مدينة المهديّة 915 واتخذها قاعدته، مات بعد أن حكم 24 سنة. الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 1186.

<sup>5</sup> دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سلف ذكره، ج 1، صص 59-55

سنة (...). ثم أصبحت طرابلس الغرب جزء من دولة الموحدين<sup>1</sup> وحكمها بنو حفص<sup>2</sup> في ظلهم من 620هـ إلى 913هـ حين احتلّ الإسبان مدينة طرابلس وجاء احتلال الإسبان لطرابلس الغرب سنة 1510م (...). واستمرّ حكمهم لها حتى 1551م حين أخرجهم العثمانيون منها.<sup>3</sup>

من يشكّ بعد هذه المقتبسات الطويلة أنّ طرابلس الغرب مغربيّة "مغربية" تونس والجزائر والمغرب الأقصى ومن يستهويه بعد ذلك عقم هذا الجدل الذي ورثه الكثير من الباحثين العرب عن الكتاب الاستعماريين حول أصول هذا المغربي أو ذاك هل هي عربية أم بربريّة؟ والحال أنّه حدث منذ القرنين السابع والثامن الميلاديين امتزاج بين العنصرين تخلى فيه الطرف البربري عن مفهوم بربرية بلدان شمال إفريقيا (la Berbérie) والطرف العربي عن مفهوم العروبة (Arabisme) وبنيا مفهوما جديدا هو مفهوم المغربية (Maghrébisme) مع قبول بالإسلام وباللغة العربية؟ وكان من الدوافع إلى هذا التحول ما رأيناه من وحده تاريخ بلدان شمال إفريقيا. وعلى العكس ممّا رأينا فقد كان لبرقة تاريخها المرتبط أكثر من طرابلس بمصر ومن ثمّ بالحضارة اليونانية المشرقية.

إنّ هذه الدولة الرّستمية الإباضية قد انقرضت منذ القرن العاشر ولكن ذكراها ستبقى مطبوعة في أذهان الإباضيين المغاربة ومنهم سليمان الباروني الذي زار أطلالها سنة 1898 وأبدى حنينه إليها في هذه الأبيات

قفا نبك أطلالا تقلّص ظلها \*\*\*\* وتندب آثار الذين بقوا ذكرا

بنى رستم من قام بالعدل ملكهم \*\*\*\* فأمست بهم تيهرت كالروضة  
الزهر<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الموحدون :اسم أطلق على أتباع حركة نادت بالتجديد والإصلاح الإسلامي، حكموا خلال القرنين السادس والسابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر ميلادي (قادها البربري المهدي بن تومرت، وقد تحوّلت هذه الحركة إلى حركة سياسية ترمي إلى

الإطاحة بالمرابطين وذلك بعد أن استقرّ المهدي في تنمل. الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، جزء 2، ص. 1772.  
<sup>2</sup> بنو حفص: أسرة من البربر في شمالي إفريقية حكمت إفريقية نيفا وثلاثة قرون (1574-1228) وقد نسبت هذه الأسرة إلى الشيخ أبي حفص عمر رأس الهنتاتة ومن أوائل مريدي ابن تومرت وأحد ضبّاط عبد المؤمن المخلصين، تناوبوا الحكم على الأندلس

والمغرب وإفريقيّة، موجز دائرة المعارف، جزء 13، صص. 4053-4072.

<sup>3</sup> الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، صص. 26-27.

<sup>1</sup> سليمان الباروني، الديوان، مصر، الأزهار البارونية 1908ص. 100.

إِنَّ السُّنَّةَ يَحْجُونَ عَمُومًا إِلَى مَكَّةَ وَالشَّيْبَةَ إِلَى  
النَّجْفِ<sup>2</sup> وَالْعُرُوبِيِّونَ إِمَّا إِلَى دِمَشْقَ عَاصِمَةَ الْأُمَوِيِّينَ وَإِمَّا إِلَى بَغْدَادَ  
عَاصِمَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ فَمَا هُوَ مَحَجَّ سَلِيمَانَ الْبَارُونِيَّ زَمَنَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ؟

إِنَّهُ أَطْلَالَ الدَّوْلَةَ الرَّسْتَمِيَّةَ فِي تَاهَرْتِ. أَفَلَا يَبْعَثُ ذَلِكَ عَلَى شَكِّ  
السُّنَّةِ وَالشَّيْبَةَ فِيهِ؟ أَفَلَا يَبْعَثُ ذَلِكَ عَلَى شَكِّ بَعْضِ أَتْبَاعِ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ  
زَمَنَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَالِكِيَّةَ طَرَابُلُسَ؟

أليس هذا الإعجاب الكبير بتاهرت التي بعثت فيه أطلالها مشاعر  
الحنين وذكرته بما كان لها من حميد الأخبار حتى أنه خصص لها كتابا  
طبع فيما بعد جزءه الثاني بعنوان "الأزهار الرياضية في أئمة وملوك  
الإباضية"<sup>3</sup> حريًا على المستوى السياسي بإثارة الشبه حول إمكانية أن  
يكون هذا الإباضي المغربي يفكر في تزعم حركة سياسية في طرابلس  
الغرب قد توسع الهوة أكثر بين طرابلس الغرب وبرقة لشدة تركيزه على  
خصوصية الوطن والشعب الطرابلسي مثلما جاء في رده في ثلاثينات  
القرن العشرين على شكيب أرسلان<sup>1</sup> في سياق الخصومة الفكرية بينهما  
التي سنتعرض لها في أحد فصول القسم الأخير من هذا البحث:

"أقول هذا بالنسبة لبلادي طرابلس التي يحدّها شرقاً قطر بني  
غازي وغرباً تونس أمّا قطر بني غازي فلا حقّ لي في التعرّض لشؤونه  
لأنّ له رجالاً وأبطالاً حاربوا دونه ببسالة سمع بها العالم كلّه إلى أن  
استشهد الشيخ عمر المختار (...)<sup>2</sup> فإتّهم أحقّ بالكلام على بلادهم"<sup>3</sup>

<sup>2</sup> النجف ، مركز للقضاء مسمّى باسمها وتتبع لواء كربلاء، وهي مقدّسة عند المسلمين لوجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب وتقع  
على بعد 75 كلم في جنوب شرقي كربلاء وهي مركز هام لتعليم العلوم الدينية واللغة العربية، الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع  
سلف ذكره، ج 2. ص 1824

"<sup>3</sup> الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية "ألفه سليمان بن عبد الله الباروني وتحدّث فيه عن أئمة بني رستم وهويحوي 311  
صفحة طبع في مطبعة الأزهار البارونية بمصر. 1980

<sup>1</sup> شكيب بن محمود بن حسن بن يونس أرسلان، ولد 1869 من سلالة التتوخين ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسياسة ، مؤرخ ،  
ينعت بأمرير البيان، أنتخب نائبا عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني، عالج السياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية وكان  
من أشدّ المتحمّسين لها، توفي 1946. خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين  
والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ص 14، 1999، ج 3 ص 174 :

<sup>2</sup> عمر المختار، (1860-1931) زعيم ليبي من قبيلة الحنفة العربية ولد بالطنان ببرقة وتلقّى علومه في الجيوب مركز الدعوة  
السوسية، تولى قيادة الحركة الوطنية ضد الإيطاليين وباشر الجهاد عدّة سنين، حكم عليه الشنق سنة "1931 الموسوعة العربية  
الميسرة ج II، ص 1237

وفعلا فإن ليبيا الحالية التي لم تحقق اتّحادها إلا في خمسينات القرن العشرين كانت ممزّقة لظروف تاريخية. فإذا كانت فزان أدخل في الصحراء وطرابلس في المغرب العربي فإن برقة كانت أتبع لمصر منذ القديم أي منذ أن " غزا الإغريق الساحل الشرقي من البلاد في القرن السابع قبل الميلاد وأسّسوا فيه خمس مدن هي سيرين (سمات) وبرقة (المرج) وبرينيس (بنغازي) (وتاو كيرا) طوكر (وأبولونيا) سوسة ) وعُرف الإقليم بها فأصبح اسمه إقليم المدن الخمس " بنتابوليس . " وفي العصر الهلنستي انتقلت السيادة على برقة إلى البطالمة<sup>4</sup> الذين حكموا مصر بعد أن احتلها الإسكندر المقدوني<sup>5</sup> أواخر القرن الرابع قبل الميلاد<sup>1</sup> فكان من نتيجة ذلك " أن أجزاء (البلاد) الثلاثة الرئيسية أقاليم طرابلس وبرقة وفزان كثيرا ما تتداخل سياسيا مع الأجزاء المجاورة لها في المنطقة فتتصوي برقة ومصر تحت لواء علم واحد، وتتصوي طرابلس وتونس تحت لواء علم واحد<sup>2</sup> "

وقد يكون ما ذكرنا من خصوصيات تميّز طرابلس عن برقة أحد أسباب تمكّن السنوسية في برقة وضعفها في طرابلس .

إنّ ما تقدّم يكفي في نظرنا دليلا على أنّ سليمان الباروني كان إباضيا أولا وطرابلسيا أي مغربيا ثانيا .

هذا الإباضي المغربي لا يوجد إجماع حول سنة ميلاده فالبعث يذكر سنة 1870 والبعث الآخر سنة 1873 وقد سبّب هذا الاختلاف عند من تناولوا حياته الدراسية فقدان الإجماع حول عدد البلدان التي درس فيها قبل أن يعود نهائيا إلى طرابلس فتعقله السلطة العثمانية المحلية سنة 1898 المجمع عليها.

<sup>3</sup> أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، الجزائر، المطبعة العربية، 1956 ص 186  
<sup>4</sup> البطالمة أبناء بطلميوس الأول، وهو أحد كبار قواد الإسكندر الأكبر، أقيم عقب وفاة الإسكندر 323 ق م (واليا على مصر، حكمت أسرته مصر 30-323 ق م) (عمل على تفكيك عرى الإمبراطورية المقدونية ليتسنى له الاستقلال بمصر، دعم حدود مصر وسيطر على الطرق البحرية المؤدية إليها. موسوعة العربية الميسرة، جزء 1. ص 379.

<sup>5</sup> الإسكندر المقدوني (الإسكندر الثالث 323-356 ق م) (ملك مقدونيا ابن فيليب الثاني من أولمباس تتلمذ على أرسطو وأخضع الثورات التي قامت بعد موت أبيه في المدن الإغريقية وتراقيا والليبريا حارب الفرس ثم أخضع صور وغزة ثم يمّ شطر مصر = سنة 332 ق م وأسّس مدينة الإسكندرية واجتاح البنجاب، توفي عن سن 33، وقد كان له الفضل في نشر الحضارة الإغريقية في ربوع الشرق وإحداث تغييرات جوهرية في مجرى التاريخ، الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، جزء 1. ص 151.

<sup>1</sup> الدجاني، ليبيا، قبيل الإحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 26

<sup>2</sup> الدجاني، ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 24.

ويوضّح الجدولان التاليان المعتمدان على هذين التاريخين  
المختلفين نتائج ذلك:

|          |                   |                    |                   |                                       |                  |
|----------|-------------------|--------------------|-------------------|---------------------------------------|------------------|
| الدجّاني | ولادة<br>الباروني | الدراسة<br>بالأزهر | الدراسة<br>بتاهرت | اعتقاله<br>زمن<br>الوالي<br>هشام باشا | تبرئته<br>نهائيا |
|          | 1870              | 1892-<br>1895      | 1895-<br>1898     | 1898                                  | 1900             |

|                   |                   |                           |                    |   |   |                  |
|-------------------|-------------------|---------------------------|--------------------|---|---|------------------|
| زعيمة<br>الباروني | ولادة<br>الباروني | بداية<br>الدراسة<br>بتونس | الدراسة<br>بالأزهر | الدراسة<br>بمدرسة<br>قطب<br>الأمة<br>بالجزائر | اعتقاله<br>زمن<br>ولاية<br>هاشم<br>باشا | تبرئته<br>نهائيا |
|                   | 1873              | 1887-<br>1892             | 1892-<br>1895      | 1895-<br>1898                                 | 1898                                    | 1900             |

ماذا يمكن أن نستنتج من هذين الجدولين ؟  
الخلل واضح فيما يذهب إليه الدجاني للأسباب التالية:



- أولها: أنّ الباروني التحق عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره بالأزهر مباشرة وفي مثل هذه السن يكون الطالب مؤهلاً للالتحاق بالتعليم العالي، أي يكون قد تلقى في بلده الأصلي تعليماً قريباً على الأقلّ ممّا يمكن أن نسمّيه تبسيطاً البكالوريا أو الثانوية العامة ونحن لا نعرف أنّه كان في طرابلس الغرب في هذه الفترة موضوع حديثنا شيء قريب من ذلك .

- ثانيهما: حذف الدجاني الفترة التونسية من حياة الباروني الدراسية.

-ثالثها: إذا كان المرء يعرف الإباضية على حقيقتها فإنّه لا يمكن أن يصدّق أنّ الإباضيّ يمكن في بدايات تعليمه أن "يشرب من غير نبعها الأصلي" وقد يكون الإباضيّ صفويّاً أو مجتهداً نابذاً للفرقة المذهبية ولكنّه في الحالتين يبدأ بتنشئة أبنائه، إيماناً منه وتوقياً، تنشئة إباضية .

أمّا ما تذهب إليه زعيمة الباروني<sup>1</sup> فهو أكثر إقناعاً، فأبوها الذي ولد سنة 1873 وتلقّى تعليمه في الوسط الإباضي المحلي التحق وهو في سن الرابعة عشر بتونس للدراسة في جامع الزيتونة. وبما أنّ الأزهر يعدّ مقارنة بالقرويين في فاس وجامع الزيتونة في تونس القبلة الختامية لطالبي العلم الديني التقليدي فسيتوجه الباروني للدراسة فيه في نهاية المطاف. ثمّ إنّ الباروني الذي بلغ من العلم في الأزهر مستوى أشعره بأنّه أصبح في عداد المنظرين الإسلاميين كان عليه أن يعمّق تكوينه في الإباضية فهاجر إلى موطنها في بلاد المغرب العربي تاهرت، يتلقّى على كبار العارفين بها ما مكّنه من أن يكون أحد كبار علمائها .

إنّ إلغاء الدجاني الفترة الدراسية الزيتونية التي دامت خمس سنوات إذ امتدّت من 1887 إلى 1892 يفسد الصورة التي يمكن للباحث أن يكونها عن حياة الباروني التعليمية خاصة أنّها فترة مفصلية في حياة الإنسان (بين الرابعة عشر والتاسعة عشر). (فالباروني تلقى تعليمه قبل السفر إلى تونس بشكل غير نظامي، إذ أشرف على تعليمه

<sup>1</sup> زعيمة بنت سليمان الباروني (1910-1976) من مؤلفاتها "القصص القومي" وجمعت مذكرات والدها "صفحات خالدة من الجهاد: للمجاهد الليبي سليمان الباروني" معجم أعلام الإباضية من القرن الأول للهجرة إلى العصر الحاضر، محمد بن موسى بابا عمي، بيروت - الجزائر، دار الغرب الإسلامي، المطبعة العربية دار غرداية، ط2، 2000 ج 2 ص 152.

والده عبد الله بن يحيى الباروني<sup>2</sup> الذي كان يدرّس فقه المذهب الإباضي في الجبل الغربي في مدرسة أسّسها بنفسه. وقد أخذ سليمان مبادئ هذا المذهب وختم القرآن فارتأى أبوه أن يبعث به إلى جامع الزيتونة. وبذلك حلّ الباروني ببلد مغربي سبق أن تعرّضنا لعلاقاته التاريخية القديمة بطرابلس الغرب بدأ يشهد منذ انتصاب الحماية الفرنسيّة سنة 1881 تحاككا حضاريًا بين العالم الغربي الرأسمالي والعالم العربي المسلم ما قبل الرأسمالي مما سيتسبب في نشأة حركة إصلاحية تميّزه عن غيره من بلاد المغرب وهي حركة كان ميدان التعليم عمودها الفقري سواء أكان هذا التعليم صادقًا (نسبة إلى المدرسة الصادقيّة) أم زيتونيًا.

لقد كان هدف عبد الله الباروني وهو يرسل ابنه سليمان للدراسة في تونس، بالإضافة إلى تكوينه الديني وتعلّم أصول المذهب المالكي الذي يأخذ به أغلبية الطرابلسيين، التشبّع بما ظهر من جهود إصلاحية وربط الصلات بعلماء جامع الزيتونة لأنّ الشيخ الإباضي عبد الله الباروني كان على علم بالأوضاع العامة في تونس. كتب محمد مسعود جبران في هذا الموضوع " :كان الشيخ عبد الله على خُبْر من النشاط الثقافي والعقلي النامي الذي بدأه خير الدين باشا<sup>1</sup> ومحمد قبادو<sup>2</sup> وغيرهما من المصلحين في تونس وعلى معرفة تامة بطبيعة ووجهة أعلام الحركة المُسيّرين لها."<sup>3</sup>

قضى الباروني خمس سنوات متّصلا بعلماء الزيتونة متعلّما فقه المذهب المالكي وبأوساط المصلحين السياسيين والاجتماعيين الذين حاولوا من خلال الصحافة المكتوبة توعية الشعب وتبيان خطر الاستعمار وأهميّة العلم والتعلّم. وقد تحدّث محمد مسعود جبران عن

<sup>2</sup> عبد الله بن يحيى الباروني النفوسي الإباضي الطرابلسي ولد في كبا وفي جبل نفوسة بطرابلس الغرب، كان من علماء الإباضية وكان له اشتغال بالعلم، توفي سنة 1914، ألف كتاب "سلم العامة والمبتدئين إلى أئمة الدين" في علماء الإباضية "الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1961، ص. 241

<sup>1</sup> خير الدين باشا "مصلح وسياسي تونسي من أصل جركسي ولد سنة 1820، تعلم القرآن في باردو ودخل المدرسة الحربية، له مبادئ إصلاحية هامة في السياسة وأسّس المدرسة الصادقية والخزانة لأوراق الدولة والمكتبة الصادقية الزيتونية، ألف "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وأودع فيها خلاصة آراءه في الإصلاح والتّمّن، توفي سنة " 1890 محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، الجزء 2، ص. 271

<sup>2</sup> محمد قبادو ( 1879 - 1812 ) "درس العلوم بالزيتونة ودرّس بالمدرسة الحربية للضباط ثمّ في الزيتونة. كتب مقالات في جريدة الرائد الرّسمي"، محمد بو دينة، محمد قبادو الحمّامات-تونس، منشورات محمد بو دينة، ط1، 1995، ص. 7

<sup>3</sup> محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، آثاره، تونس، ليبيا، دار العربية للكتاب 1991، ص. 27

شخصية محمد النخلي<sup>4</sup> بالإضافة إلى سالم بوحاجب<sup>1</sup> ومحمد المكي<sup>2</sup>، ولعل أهم من تأثر بهم الباروني هو محمد النخلي الذي كان يكتب مقالات في مجلة "السعادة العظمى"<sup>3</sup> يدعو فيها إلى الاجتهاد في الأحكام الفقهية من خلال تقديم المقاصد على الأحكام في الشريعة حتى تكون قابلة للتطور وتجاري ما يستجد من أحداث وتناى بمسلمي اليوم عن الصراعات المذهبية التي كان يُغذيها بعض الشيوخ بمناصرة هذا المذهب (السني) على ذلك حتى لا يتحدث المرء عن معاداة القوم للمذاهب غير السنية مثل المذهب الشيعي أو الإباضي "الخارجي الأصل" وذلك في زمن احتلت فيه بريطانيا مصر واحتلت فيه فرنسا الجزائر ثم تونس وأضحت تفكر في استعمار مراكش وبدأت فيه إيطاليا تتأهب لاحتلال طرابلس وبرقة وفزان. لقد استاء الباروني من تشدد بعض شيوخ الزيتونة الذين تعصبوا للمذهب المالكي فكانوا يحاربون في مثل هذا الزمن الاستعماري المذاهب الأخرى .

إننا لم نجد فيما اطلعنا عليه من مراجع ما يوضح علاقة الطالب الإباضي سليمان الباروني بمثل هؤلاء الشيوخ الزيتونيين المتزمتين، ونعتقد أنها لا يمكن أن تكون إلا متوترة. كتب الباروني :

" للتونسيين نوع من التعصب المذموم فلو سعوا على محو أثره حتى تُطهر القلوب منه لما فيه بعد [كذا] الشبه<sup>1</sup> ."

<sup>4</sup> محمد محمد الفيرواني النخلي ( 1924 - 1860 )، درس ودرّس بجامع الزيتونة وبالخلدونية فلسفة الأخلاق، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، مرجع سلف ذكره، ج 5. ص 126.

<sup>1</sup> سالم بن عمر بوحاجب " فقيه و لغوي و أديب شاعر درس بجامع الزيتونة ودرّس به أكثر من 60 سنة، اشترك في العمل السياسي والإداري فانتخب عضوا في المجلس الأكبر سنة 1861 وسافر سنة 1872 إلى اسطنبول وولى خطة مفتي سنة 1901 ثم خطة باش مفتي سنة 1919 دعا إلى إصلاح التعليم بالزيتونة وضرورة إدخال العلوم الرياضية والطبيعية في برنامج التعليم به، توفي سنة " 1924 محمد محفوظ تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سلف ذكره ج 2، ص 77.

<sup>2</sup> محمد المكي "مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي السلف النفطي الحسني الإدريسي ولد بنقطة سنة 1854 وتعلم بجامع الزيتونة وتخرّج منه بإحرازه على شهادة التطويب، تولى خطة الفتوى بنقطة سنة 1883 ثم خطة القضاء وباشر التعليم بجامع الزيتونة، ثم تولى التدريس الحديث بدار الفنون ثم سُمي مدرسا بمدرسة "الواعظين" في اسطنبول حيث توفي هناك سنة . "1916 محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سالف ذكره، ج 3، ص 382.

<sup>3</sup> مجلة السعادة العظمى "أول مجلة عربية ظهرت في تونس وكانت نصف شهرية صدر منها 21 عدد فقط إذ انقطعت عن الصدور في شهر جانفي سنة "1905 للشّيخ محمد الخضر حسين.(1873- 1958)

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، جمعته وحققها ابنته زعيمة الباروني، مطابع الاستقلال الكبرى، 1991، ص. 33

إنّ سعة أفق الشيخ محمد النّخلي الفكري مقارنة بمن ذكرنا من الشيوخ هي التي قرّبته من قلب الباروني، كما أن سعة أفق عدد غير قليل من المصلحين السياسيين والاجتماعيين في تونس دفعته إلى التّحمّس لحركاتهم الإصلاحية المتطورة مقارنة بطلاب الغرب والجزائر ومراكش إذ كتب في الموضوع:

" إنّا لنحمد إخواننا التّونسيين على نهضتهم الجديدة التي قامت بها نشأتها الحديثة حتى توالى فيها إصدار الجرائد المفعمّة بالمقالات النافعة والآراء المرشدة وإن كانت كلّها أسبوعية صغيرة الحجم."<sup>2</sup>

لا يمكن إذن أن ينكر أحد أنّ الباروني قد استفاد من إقامته الدّراسية في تونس أيّما استفادة وأن السنوات الخمس التي قضّاها فيها مثلت الأساس في تكوينه الدّيني والسياسي: ويرى محمد مسعود جبران "أنّ هذه الإقامة أفادته إفادة كبرى وذلك من ناحية تحصيله للعلوم التّقليدية في الوسط الزيتوني ومن ناحية الاتّصال بطرائق الإصلاح والحياة المدنيّة."<sup>3</sup>

إنّنا وعلى الرّغم من طول المدة التي قضّاها الباروني في تونس قصد تحصيل العلم، لم نجد في مختلف المصادر والمراجع ما يبيّن الشهادات العلميّة أو الدّرجات العلميّة التي تحصّل عليها في جامع الزيتونة. فقد صرّحت زعيمة الباروني بأن والدها نال قسطا وافرا من العلم وحصل على شهادات عالية من مصادر العلم في الأقطار الإسلاميّة ومن بينها جامع الزيتونة في تونس إلا أنّها لم تحدّد لنا نوع الدّراسة التي كان يزاولها الطالب الإباضي سليمان الباروني ولا نوع الشّهادات التي حصل عليها.

ولكنّا إن غضضنا الطرف عن موضوع الشّهادات فإنّ من المتأكّد عندنا أنّ سليمان الباروني الذي بلغ سنة 1892 التاسعة عشر من العمر أصبح في مستوى يؤهّله للالتحاق بما هو تعليم عال أو ما يقرب منه في الأزهر لذلك سافر سليمان الباروني إلى مصر سنة 1892 ليستكمل ما لم يطلّع عليه في طرابلس الغرب وما لم يتعلّمه في جامع الزيتونة. وقد كان الوضع العام فيها شبيها بتونس لأنّها وقعت منذ

<sup>2</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص. 33

<sup>3</sup> محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، آثاره، مرجع سلف ذكره، ص. 29

1882 في يدي الاستعمار الأنقليزي وتنامت فيها حركات فكرية وإصلاحية متعددة من ضمنها حركة الجامعة الإسلامية في شكلها الأفغاني/<sup>1</sup> العبدوي<sup>2</sup> وكذلك التيار الوطني الكمالي.<sup>3</sup>

ومما يميّز تفكير الجماعة الداعية إلى "الجامعة الإسلامية" أنها حركة دينية إسلامية لا وطنية ولا قومية<sup>4</sup> وإنما هي حركة ترى في مختلف البلدان الإسلامية كلاً يتعرّض لهجمة حضارية تقودها كل البلدان الغربية بلا استثناء. فلا يمكن والحال على ما ذكرنا أن يقع التصدي لهذه الهجمة الكلية المسيحية إلا بكلّ إسلامي مماثل لا فرق فيه بين مسلم من أفغانستان ومسلم من مراكش ممّا يدفع هذه الحركة إلى مقاومة الخصومات المذهبية في بلاد الإسلام من ناحية، وإلى مقاومة كل حركة وطنية أو قومية عربية باعتبارهما حركتين مُفْتَتِنَتَيْن للإجماع السياسي الإسلامي ولقد كان السلطان عبد الحميد الثاني<sup>1</sup> على حدّة الكتابات المعارضة لسياسته، من أكبر دُعاة هذه الفكرة التي سيأخذ بها الباروني في مصر بعد أن تعاطف معها في تونس عندما تأثر بمقاومة الشيخ محمد النخلي التناذب المذهبي.

أمّا على المستوى التعليمي البحث، فإنه يمكن أن نذهب إلى أن الفترة الدراسية الأزهرية بين 1892 و 1895 مكنت الباروني من مزيد الاطلاع على المذهب الحنفي إضافة إلى ما كان يعرف من المذهبين الإباضي والمالكي لكننا هنا أيضاً لم نعثر على وثائق تثبت نوع

<sup>1</sup> جمال الدين الأفغاني من أعلام الإسلام في القرن التاسع عشر، ولد في أسعد أباد على مقربة من كنار من أعمال كابل في أفغانستان 1838 من أسرة حنفية المذهب توفي سنة 1897 له "رسالة في الردّ على الدهريين" و "تتمة البيان" و "مجلة ضياء الخافقين" موجز دائرة المعارف الإسلامية ج. 10 صص. 3172-3180

<sup>2</sup> محمد عبده ( 1849-1905 ) مفتي الديار المصرية من كبار رجال الإصلاح والتجديد في "الإسلام" أصدر جريدة "العروى الوثقي" مع أسناده جمال الدين الأفغاني في باريس، له "تفسير القرآن الكريم" "رسالة التوحيد"، "الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره، ج 6، ص 252.

<sup>3</sup> نسبة إلى مصطفى كمال (1874-1908) نابغة مصر في عصره وأحد مؤسسي نهضتها الوطنية قاوم الاحتلال الأنقليزي في خطبه ومقالاته وكتبه أنشأ في مصر جريدة "اللواء" اليومية سنة 1900، دعا إلى إنشاء الحزب الوطني وانتخب له طول حياته له "حياة الأمم والرق عند الرومان" "فتح الأندلس" "دفاع مصري عن بلاده..." "الزركلي، الأعلام، مرجع سبق ذكره، ج 7، ص 237.

<sup>4</sup> أنظر في الملحق رقم 1 تصنيف الحركات الفكرية السياسية التي سنتعرض لبعضها أثناء البحث.

<sup>1</sup> عبد الحميد الثاني: هو السلطان السادس والثلاثون من سلاطين آل عثمان والطفل الخامس من بين ثلاثين ولد للسلطان عبد المجيد، ولد سنة 1842، دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سلف ذكره، ج 23. صص. 7114-7119

الشهادات العلمية التي تحصل عليها الباروني نهاية إقامته العلمية في مصر.

سنة 1895 غادر سليمان الباروني مصر متجها إلى الجزائر وتحديدا إلى وادي ميزاب في قرية يزقن واتصل باستاذة محمد اطفيش<sup>2</sup> وهو أحد المجتهدين في المذهب الإباضي. ولقد كانت هذه الشخصية "الرافد الأخير الذي تأصلت به علوم الباروني وعقليته وتوسعت فيه مداركه"<sup>3</sup> وقد سعى الباروني إلى أن يأخذ عن هذا الشيخ كل ما يتصل بالمذهب الإباضي، ولقد تمكن من ذلك بعد أن لاقى حظوة منه فأصبح يخصه دون غيره بعلومه ودروسه.

من المتفق عليه في التاريخ الإسلامي أن جزءا من أتباع الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب خرجوا على واليه وخصمه معاوية بن أبي سفيان<sup>1</sup> لأن الخليفة حكم الرجال في أمره بدل أن يحكم القرآن وأن يُبادر إلى عقاب الوالي المتمرد، فخلعوا عليا وتبنوا شعار «لا حكم إلا لله» معبرين بذلك عن رفضهم كل خلافة تقوم على الوراثة فَعرفوا بالخوارج. وتعددت فرقهم المحللة دماء خصومهم وأموالهم وسبي نساءهم وأولادهم أمثال الصُفْرية والأزارقة من المحكّمة. غير أن فريقا يُعرف بالإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي<sup>2</sup> اختار أن يسلك مسلكا آخر أكثر اعتدالا فبدأ بالتبرؤ من لفظ الخوارج وساعدت الدولة الأموية في التمكن لهذه التسمية « فقبلوا هذه التسمية مفتخرين<sup>3</sup> ». ويفخر القوم بأنهم لم يخضعوا في يوم من الأيام للأمويين ولا للعباسيين ولا للعثمانيين وأنهم عرفوا أمجادا في المشرق وفي المغرب على حدّ السواء .

<sup>2</sup> محمد اطفيش ( 1820-1914 ) فقيه وأديب جزائري له أكثر من ثلاثمائة مؤلف منها " :الذهب الخالص " نظم المغني . "كان له

أثر بارز في قضية بلاده السياسة "محمد بوذينة، مشاهير القرن العشرين، تونس، 1994 ص 567.

<sup>3</sup> محمود مسعود جبران، سليمان الباروني، آثاره ، مرجع سلف ذكره، ص 31

<sup>1</sup> معاوية بن أبي سفيان ، مؤسس الدولة الأموية، حكم الشام كخليفة للمسلمين من سنة 661م حتى سنة 680م ، دائرة المعارف

الإسلامية، مرجع سلف ذكره ، ج 30 صص 9382-9376

<sup>2</sup> عبد الله بن إباض المقاعسي المري ، من بني مرّة بن عبيد بن تميم، رأس الإباضية وإليه نسبتهم ت 86هـ / 705 م عاش في أواخر

أيام عبد الملك بن مروان، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره ج 4 ص 61 .

<sup>3</sup> دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سلف ذكره، ج 1 ص 58.

سنة 1898م غادر الباروني وادي ميزاب إلى الجزائر العاصمة ومنها انتقل إلى تاهرت التي تمثل الماضي المجيد للإباضيين، فاستعاد فيها ذكريات عن الدولة الرّستمية التي كانت واحدة من دولتين إباضيتين تمكّنتا من الحكم، واحدة قامت في عُمان ومازالت قائمة إلى اليوم والثانية بربرية حكمت تاهرت ودام حكمها مدة 147 عاما .

وقد أبدى الباروني إعجابا كبيرا بتاهرت وأمجاد الدولة الرّستمية

قضى الباروني إذن إحدى عشرة سنة مُتَنقِلا بين تونس ومصر والجزائر ثم قرّر العودة في سنّ الخامسة والعشرين إلى طرابلس سنة (1898) وهو مُشبع علما وسياسة .

وما كادت قدماه تطآن أرض وطنه طرابلس حتى وقع اعتقاله.

فما هي أسباب امتحان سليمان الباروني الحقيقية ؟

## الفصل الثاني

سليمان الباروني متهما سياسيا ثم باحثا عن متنفس في مصر العباسية

( 1898– 1908 )

يستند أحمد صدقي الدجاني إلى أبي القاسم الباروني مؤلف " حياة سليمان الباروني زعيم المجاهدين الطرابلسيين"<sup>1</sup> في تفسير امتحان الباروني إثر عودته إلى طرابلس الغرب سنة 1898م مما يعني أنه يتبنى هذا التفسير فينقل عنه :

"كانت له (أي الباروني) آراء خاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة العثمانية استوجبت نقمة الحكام العثمانيين عليه حتى اضطهده في عهد السلطان عبد الحميد بكافة وسائل الإضطهاد من سجن ونفي وتشريد.... فسافر إلى مصر سنة 1907، وهناك شرع في مواصلة دعوته الوطنية وأصدر جريدة "الأسد الإسلامي" حتى امتدت أصابع النفوذ العثماني إلى هذه الجريدة فأمرت بمصادرة أعدادها وإيقاف صدورها"<sup>2</sup>

هذا الشاهد ذو الأسطر الستة يتضمّن ثلاثة أخطاء فكرية سياسية على الأقل :

أول هذه الأخطاء هو ما نسب إلى الباروني من "آراء فيما يتعلق بسياسة الدولة العثمانية استوجبت نقمة الحكام العثمانيين عليه حتى اضطهده في عهد السلطان عبد الحميد" لأنّ هذا الجزء من الشاهد يفيد أنّ هناك سياسة حميدية من ناحية وهناك معارضة لهذه السياسة من بين من يمثلها سليمان الباروني. وإذا تذكرنا بعض ما جاء في الفصل الأول من قول الباروني بالجامعة الإسلامية المعادية لكلّ فكرة وطنية أو قومية وإذا عرفنا أنّ عبد الحميد كان خليفة المسلمين وأكبر رمز، بغض النظر عما شاب حكمه من نقائص، للجامعة الإسلامية لم يعد يسعنا إلا أن نتساءل: كيف يمكن "للحكام العثمانيين" الذين تقوم سياستهم على الجامعة الإسلامية أن ينقموا على واحد من كبار الدعاة إليها في المغرب العربي مما يخرجنا على الأقل من منطق التعميم

<sup>1</sup>القاهرة 1948.

<sup>2</sup>أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي. مرجع سابق، ص 410



فنحصر القضية في بعض موظفي السلطات العثمانية الذين يستغلون مناصبهم خاصة في المناطق النائية لإيذاء خصومهم والإيقاع بهم . لقد طارد الحكم الحميدي خصومه من دعاة الوطنية والقومية العربية خاصة من الشوام لأنهم كانوا حربا على الجامعة الإسلامية، فأحد المعبرن عنهم وهو توفيق البساط<sup>1</sup> كان يتساءل "إذ كنا نريد الجامعة الإسلامية فلماذا نحاول بث الفكرة العربية؟". أما عبد الكريم الخليل<sup>2</sup> فكان يرى "أن فكرة الجامعة الإسلامية تؤدي إلى الوهن أكثر منها إلى القوة لأنها تنقر العرب بينما لا تستطيع أن تمد الشرق بقوة"<sup>3</sup> ولكن السلطان عبد الحميد لم يطارد الإسلاميين لأنهم أساس هذا الحكم. أفلم ينظم شكيب أرسلان جدّ وليد جن بلاط أمير دروز لبنان اليوم في تحذير العرب من خطر الدعوة إلى التفرقة بين العرب والترک سنة ( 1908 الطويل)

وكيد على الأتراك قيل مصوّب \*\*\*\* ولكن لصيد الأمتين حباله  
فليست بغير الاتحاد وسيلة \*\*\*\* ينال لديها العز من هو آمله  
سيعلم قومي أنني لا أعشهم \*\*\*\* ومهما استطال الليل فالصبح

واصله<sup>4</sup>

أفلم ينظم معروف الرصافي<sup>1</sup> في عبد الغني العريسي<sup>2</sup> الداعية إلى  
القومية العربية هجائية سياسية حقيقية من أبياتها (البسيط : )

<sup>1</sup>توفيق بن أحمد البساط (توفي ( 1916) شهيد من أحرار العرب في عهد الترك، كان من أعضاء المنتدى الأدبي فيها ومن أعضاء جمعية "العربية الفتاة" السرية، قبض عليه في الحرب العالمية الأولى وعذب في ديوان "عالية" وأعدم شنقا. الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره ج. 2. ص. 90.

<sup>2</sup>عبد الكريم الخليل (1884-1916) محام من شهداء العرب في عهد الترك يحمل فكرة انفصال العرب عن الترك، الزركلي، الأعلام ج. 4. ص. 54.

<sup>3</sup>أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية القاهرة دار القاهرة للطباعة (1959)، ص. 46، ولقد اعتمدنا في تناول المسائل الفكرية السياسية في هذا الفصل خاصة على محمد الناصر النفاوي، التيارات الفكرية والسياسية في السلطنة العثمانية -1839-1918، تونس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، طبعة أولى 2001، ص. 463.

<sup>4</sup>محمد الناصر النفاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص. 154.

قل للعريسيّ والأنباء شائعة \*\*\*والصحف تروي لنا عنه

الأعاجيبا

علام تعقد في باريس مؤتمرا \*\*\*<sup>3</sup> ما كنت فيه برأي القوم مندوبا

وهل تعمد حقّي العظم<sup>4</sup> فعلة \*\*\*لما نمت خيرا طان<sup>5</sup> مكذوبا

إذ راح يستجد الإفرنج منتصفا \*\*\*كأنه حمل يستجد الذيبا<sup>6</sup>

ثمّ، بما أننا نتحدّث عن سليمان الباروني وعن ليبيا ألم يقف هؤلاء  
القوميون الشوام<sup>7</sup> موقف المتفرج من غزو إيطاليا طرابلس:

"غزا الإيطاليون أثناء وزارة جيوفاني جيوليتي<sup>1</sup> الرابعة (1911-  
1914) طرابلس في غمرة من الحماس الاستعماري عبّر عنها الشاعر  
غبرييلي دانونزيو (1863-1938) D'Annunzio تعبيراً يذكّر

<sup>1</sup> معروف الرصافي، شاعر عراقي من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد ببغداد 1877، انتخب نائبا عن المنتفق في مجلس المبعوثان العثماني، أصدر جريدة "الأمل" سنة 1923، أنتخب عضوا في مجلس النواب 5مرات، له "ديوان الرصافي"، "رسائل التعليقات" وغيرها... توفي 1945، خير الدين الزركلي، الأعلام، جزء 7. ص 268.

<sup>2</sup> عبد الغني بن محمد العريسي، ولد 1891، صحافي، من شهداء العرب في ديوان عالية التركي، اشترك مع فؤاد حنتس بإصدار جريدة "المفيد" اليومية فكانت أسبق الصحف في البلاد الشامية إلى بثّ فكرة العربية، شنق في بيروت سنة 1916، من آثاره كتاب "البنين" و"المختار من ثمارات الحياة"، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره، ج 4 ص 34.

<sup>3</sup> مؤتمر باريس "انعقد في جوان 1913 بتشجيع من فرنسا وهو مؤتمر جمع بين تيارات مختلفة اختلافا تاما (العروبيون الإسلاميون، القوميون اللبنانيون، ممثل شبه رسمي للصهاينة"، محمد الناصر النفاوي، التيارات، مرجع سلف ذكره، ص 502.

<sup>4</sup> حقّي بن عبد القادر المؤيد العظم، ولد بدمشق 1865، كان له في العهد العثماني نشاط في سياسة العرب مع الترك، توفي 1955، كتب "حرب الدولة العثمانية مع اليونان" الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره ج. 2. ص 262.

<sup>5</sup> الطان Le Temps : صحيفة يومية، تأسست في عهد نابليون الثالث سنة 1861 واحتجبت سنة 1942، وقد كان لها تأثير كبير زمن الجمهورية الفرنسية الثالثة، Petit Larousse illustré, éd. 1980.

<sup>6</sup> أبيات وردت في محمد الناصر النفاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص 502.

<sup>7</sup> يرى سليمان الباروني أنّ الفكرة العربية هي فكرة شامية المنشأ، وإذا كانت تلائم الشام لتعدّد الأعراق والأديان والطوائف فيه فهي لا تلائم بلاد المغرب مثلا التي هي موحدة الدين والمذهب (المالكي "من رأى أن لا تنقصوا الجامعة العربية بل صوّبوها بالنسبة إلى الشرق وأمّا المغرب لا تنفعه إلا الجامعة الإسلامية لأنه ليس في المغرب كله من طرابلس إلى المحيط غير مسلم من الوطنين حتى تجب مراعاته، وفيه غير العرب ملايين من بربر وترك وسودان وغيرهم ولا تجمعهم إلا كلمة الإسلام والوطن التي تجمع الجميع بالأقطار الإسلامية كلها وتوجب عليهم حق الأخوة الإسلامية التي فرضها الله في كتابه "إنما المؤمنون إخوة" أبو اليقظان سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، مرجع سلف ذكره ص 197.

<sup>1</sup> جيوفاني جيولوتي، رجل سياسي إيطالي، ولد 1842، اختير نائبا سنة 1882 وأصبح وزير مالية مدينة كريسبي (1889-1890) ثم رئيس وزراء إيطاليا، أثناء الحرب الإيطالية العثمانية في طرابلس الغرب، توفي 1928 Larousse Petit. مرجع سلف ذكره.

بحماس رديارد كيبلينغ Rudyard Kipling للاستعمار الأنكليزي  
فأثار هذا الغزو العثمانيين الاتحاديين إثارة لا حدود لها فاجتهدوا قدر  
المستطاع في الدفاع عنها. ولكن قضية طرابلس  
لم تشغل بال العثمانيين الائتلافيين (أمثال أبناء خير الدين الثلاثة)<sup>2</sup>..  
وأنصارهم من العروبيين الإسلاميين الذين كانوا يحصرون مفهوم  
العروبة تماما مثل غوستاف لوبون<sup>3</sup> ونجيب العازوري<sup>4</sup> في الشرق  
الأدنى.

نعم، نحن نجد صدى لهذه القضية عند العريسي، وقد يكون ذلك  
بسبب أصله الطرابلسي، ولكن الأمر لا يتعداه ليشمل كبار العروبيين  
بشهادة شكيب أرسلان :  
"لما كنت في مصر أثناء حرب طرابلس قال لي رفيق بك العظم : ليس  
عندنا اليوم وقت للاشتغال بصحاري طرابلس. فأجبتة فورا إن لم نقدر  
أن نحفظ صحاري طرابلس لم نقدر أن نحفظ جنان الشام."<sup>5</sup>

وموقف محمد رشيد رضا<sup>1</sup> لا يقل عن موقف رئيس لا مركزية  
القاهرة<sup>2</sup> وضوحا بدليل شهادة شكيب أرسلان أيضا :  
"كان السيد رشيد لعهد الأستاذ الإمام (يقصد محمد عبده) قد شمله  
غضب الخديوي عباس حلمي<sup>3</sup> لأجل غضب الخديوي على الشيخ محمد

<sup>2</sup> أبناء خير الدين الثلاثة : "محمد باي خير الدين ولد بخير الدين في تونس سنة 1870 ومات بالمرسى سنة 1921، وظاهر خير  
الدين ( 1872-1937 )والداماد (صهر السلطان (صالح خير الدين كانوا جميعا من العثمانيين الصباحيين "النفزاوي، التيارات،  
مرجع سلف ذكره، ص. 450.

<sup>3</sup> غوستاف لوبون Gustave Le Bon ، طبيب وعالم اجتماع فرنسي، كتب أعمالا حول حضارة العرب، سنة 1884 وحضارات  
الهند سنة . 1887. Petit Larousse illustré .

<sup>4</sup> نجيب العازوري، سياسي لبناني، جاهر بالدعوة إلى استقلال سوريا، وفصلها عن الدولة العثمانية، ونزح إلى مصر ومنها إلى  
باريس ، حيث أُلّف 1904جمعيّة "عصبة الوطن العربي" التي لم ينتسب إليها أحد، وفي العام التالي كتاب "يقظة الأمة العربية" ثمّ  
بعد عامين مجلة "الاستقلال العربي"، ورحل إلى مصر فأصدر جريدة "مصر" توفي 1916، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف  
ذكره ، جزء 8، ص. 12.

<sup>5</sup> النفزاوي ، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص. 465.  
<sup>1</sup> محمد رشيد بن علي رضا، بغدادى الأصل، حسيني النسب، ولد سنة 1865 في القلمون في طرابلس الشام، تتلمذ على الشيخ محمد  
عبده ، وأصدر مجلة "المنار" لبثّ آرائه الإصلاحية الاجتماعية والدينية ، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والروح

العصرية الجديدة، توفي 1935، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره، جزء 6. ص 126  
<sup>2</sup> حزب لامركزية القاهرة :تنظيم سياسي عربي قومي وسري، أعضاؤه رفيق العظم، محمد رشيد رضا ، شبلي شمّيل و إبراهيم  
النجار وعبد الحميد الزهراوي وفؤاد الخطيب وغيرهم ، محمد الناصر النفزاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره،  
صص 440- 460

عده. فلما مضى الشيخ إلى ربه عاد الخديو فرضي على السيد رشيد، وعندما مررت أنا بمصر كان السيد رشيد رضا من المقربين عند الخديو، كما كان من المقربين أيضا عنده الشيخ علي يوسف<sup>4</sup> صاحب جريدة "المؤيد" فبدأ للخديوي وقتئذ أن يزهدني في الذهاب إلى الجهاد في طرابلس لأنه كان عنده مشروعات أخرى سياسية يظن أنه يقدر أن يدخلني فيها فاعتذرت له عن قبول أمره وقلت له أنني قاصد إلى الجهاد في طرابلس وما خرجت من بيتي في جبل لبنان إلا بهذه النية فلا بد من إتمامها بالعمل فتكلم الخديوي مع كل من السيد رشيد والشيخ علي يوسف لعلهما يتمكنان من تحويلي عن تلك الفكرة، فتكلما معي فوجدا أن لا سبيل إلى ذلك.<sup>5</sup>

ويوضح الإسلامي شكيب أرسلان في موضع آخر السبب الحقيقي لسعي الخديو "نزلت ضيفا على الخديو وكنت أظن أن الخديو سيحفي السؤال عن الحرب الطرابلسية وعن أحوال المجاهدين فلم أجد شيئا من ذلك. ثم علمنا أنه كان على اتفاق مع الطليان بأن يبيعهم سكة حديد مريوط بمليون ونصف جنيه لأن السكة المذكورة كانت ملكا خاصة له وأنه بمقابلة ذلك كان وعد بتسكين الثورة السنوسية وبالفعل أرسل جملة وفود إلى السيد أحمد الشريف<sup>1</sup> ينصحه بترك الجهاد والاتفاق مع إيطاليه<sup>2</sup>."

الشاهد الطويل المتقدم يفيد بما لا يدع مجالا للشك أن لا تعارض بين تفكير سليمان الباروني وسياسة الخليفة عبد الحميد القائمة على فكرة الجامعة الإسلامية. والقصائد التي نظمها سليمان الباروني في الخليفة تؤكد صحة ما نذهب إليه فهي تعبر عن شعور صادق إذا كان يشتهي من

<sup>3</sup> عباس حلمي (1874-1944) حفيد محمد علي ويعرف بالخديو عباس حلمي الثاني، أحد من حكموا مصر ولي الخديوية بعد وفاة أبيه سنة 1892 بإرادة سلطانية من الأستانة، خلعتة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وبسطت حمايتها على مصر، توفي في سويسرا سنة 1944، الزركلي، الأعلام، جزء 3. ص 260.

<sup>4</sup> علي يوسف: علي بن أحمد بن يوسف البلصفوري ولد سنة 1863 كاتب صحافي في الديار المصرية، تعلم بالأزهر، أنشأ مجلة أسبوعية "الأداب" عاشت 3 سنوات، ثم جريدة المؤيد يومية كان لها شأن في السياسة المصرية والشرقية والإسلام، توفي سنة 1913 الزركلي، الأعلام، الجزء 4. ص 262.

<sup>5</sup> محمد الناصر النفزاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص 465.  
<sup>1</sup> أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي الخطابي، مجاهد من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب نسبة إلى آل "الخطاب" ولد بالجغبوب سنة 1867، وأقام بالتاج بواحة الكفرة ببرقة، شارك في الحرب العثمانية الإيطالية وعقد صلحا بينهما، ثم دعى إلى الأستانة بعد خلافه مع ابن عمه، إدريس السنوسي، والى حركة مصطفى كمال الاستقلالية ثم أقام بالحجاز إلى أن توفي، الزركلي، الأعلام، مرجع سالف الذكر، الجزء 1. ص 135.

<sup>2</sup> محمد الناصر النفزاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، صص 465-466.

بعض ممارسات أدوات تنفيذ حكومية حميدية محلية فهو لا يعني ضيقا بالخليفة رمز الجامعة الإسلامية .يقول الباروني ( :الرجز )  
عبد الحميد خليفة الإسلام كم \*\*\* في الخافقين اليوم من

حصن بعيد

عبد الحميد لأنت حقا ملجأ \*\*\* للدين والدنيا على رغم

البليد

عبد الحميد حميتنا بمهند \*\*\* فعدا المجادل عن مرادك لا

يحييد

عبد الحميد قلوبنا ملئت فقل \*\*\* قوموا نقم وإلهنا عثا

شهيد<sup>3</sup>

هذا إذن هو أول خطأ من الأخطاء الثلاثة التي قلنا إن شاهد الدجاني  
المستند إلى أبي القاسم الباروني في مستهل الفصل تضمنها .  
لننتقل إلى المآخذ الثاني على ما ورد في ما ذهب إليه الدجاني نقلا عن  
أبي القاسم الباروني .يتمثل هذا المآخذ في ادعاء أن الباروني تعرض "   
للنفي "بعد تبرئته من تهمة "التآمر على أمن الدولة "في حين أن  
الباروني الذي اشتغل بالتدريس بعد إطلاق سراحه سبع سنوات كاملة  
كتب بقلمه :

"أيقنت بأن غرض القوم<sup>1</sup> إيقاعي في شبكة لا ينالها عفو كالأول إذ  
ليس كل مرة أجد من يطلب لي العفو أو يبلغ شكائتي، على رأي المثل  
القديم ما كل مرة تسلم الجرة، فطلبت الإذن في السفر طالبا للنجاة"<sup>2</sup>  
ماذا كان موقف الوالي رجب عندما تقدم سليمان الباروني بالإذن في  
السفر ؟

لقد منحه الوالي تذكرة المرور .

<sup>3</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص 65

<sup>1</sup> القوم هنا ليسوا الوالي أعلى ممثل للخليفة عبد الحميد ولكن خصومه من درجات أقل بكثير من درجة الوالي والغالب على الظن أنهم طرابلسيون تنخرهم الحزازات القبلية والمذهبية والبحث عن المنافع الحانوتية الضيقة بدليل ما سنرى من موقف الوالي رجب الذي يقدر ما كان يمتدحه الباروني كانت تضيق به إيطاليا ولا تكف عن مطالبة الأستانة بتحتيته

<sup>2</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة مصدر سلف ذكره، ص 62

كيف يمكن بعد هذا أن نتحدث عن "نفي" وأن نكتب كانت له "آراء خاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة العثمانية استوجبت نقمة الحكام<sup>3</sup> عليه حتى اضطهدوه في عهد السلطان عبد الحميد بكافة وسائل الاضطهاد من سجن ونفي وتشريد"<sup>4</sup> ؟

لم لا يكون سبب طلبه السفر إلى مصر شعوره، وهو المثقف الديني السياسي بالاختناق في وسط لا يتمكن من التنفس فيه بملء رئتيه الفكريتين السياسيتين فاحتاج إلى فضاء أوسع هو الفضاء المصري الذي كان يزخر في العقد الأول من القرن العشرين بالتيارات الوطنية والإسلامية والقومية (نقصد نشاط دعاة القومية العربية من الشوام). (ثم ألا تدل القصيدة التي كتبها) ولن نثبتها لكثرة ما وقع الاستشهاد بها (والتي مطلعها :  
"وداعا ديار العز حتى  
أعود إليك في أهنا نهار "

وخاتمها :

"وإلا فالوداع وكل قطر به الإسلام يصلح للقرار"<sup>1 2</sup>

ألا تدل هذه القصيدة على ما تحدثنا عنه من هذا الضيق الذي لا يمكن أن يعيشه المثقف (لا الأجير الثقافي) (حتى لو كان يعيش حسب شاعر قديم متضخم الذات في النعيم إذ "ذو العقل يشقى في النعيم بعقله". "فكيف تحول هذا الضيق الذي سبب الهجرة إلى مصر إلى نفي تحمّل الدولة العثمانية مسؤوليته؟

أمّا الخطأ الثالث فهو ما تضمنته شاهد الدجاني نقلا عن أبي القاسم الباروني من حديث عن نشاط وطني لسليمان الباروني في المهجر المصري "وهناك في مصر سنة 1907 شرع في مواصلة دعوته الوطنية "

<sup>3</sup>الحكام يعني ثلاثة حكام فما أكثر فمن هم هؤلاء الولاة العثمانيون الثلاثة أو أكثر الذين نقموا عليه ؟ هل هم راسم باشا (1882-

1896)، أم نامق كمال (1896- 1898) أم رجب باشا (1904-1908) الذين امتدح الباروني عدالتهم وغيرتهم على الإسلام في

الخلافة العثمانية

<sup>4</sup>أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 415

<sup>1</sup>دليل جديد على قوله بالجامعة الإسلامية

<sup>2</sup>سليمان الباروني ، الديوان، مصدر سلف ذكره، ص 83.

أولى الملاحظات النقدية على هذا الشاهد تتعلق بالتعبير إذ نحن لا نفهم ما تعني عبارة "شرع في مواصلة" إذ الصحيح هو أحد أمرين إما أنه كان قد "شرع قبل أن يواصل" والأمر الثاني أنه "واصل ما شرع فيه". أما الملاحظة الثانية فهي خطيرة على مستوى التفكير السياسي إذ أن الشاهد يقرّ أمرين خطيرين :  
أولهما : أن سليمان الباروني كان من دعاة الوطنية أي كان معاديا للفكرة الإسلامية .

ثانيهما : أن الباروني كان حتى قبل هذه الفترة من الدعاة إلى الوطنية التي هي أضيّق من القومية العربية . وما كان يمكن لأبي القاسم الباروني أن يقع في هذا الخطأ وما كان للدجاني أن يتابعه فيه لو كان هذان المؤلفان على اطلاع كاف على تطوّر الأفكار السياسية في البلدان العربية . ومثل هذا الخطأ أضرب بكل الجامعات العربية من مراكش إلى سلطنة عمان إذ هو نابع من موقف إيديولوجي متعمد<sup>3</sup> ملخصه أن مصر التي احتلت في خمسينات القرن العشرين وستيناته مركز الصدارة في الدّعوة إلى القومية العربية خلط مؤرخوها الناصريون عمدا بين تاريخها الخاص وتاريخ بقية الشعوب العربية فاعتبروا أن نهضتها التي يقع التاريخ لها (اقتداء ببعض المدارس الفرنسية) بداية من حملة نابليون بونابرت سنة 1798 على مصر هي نهضة العالم العربي سواء أكان الحديث عن "نجد" أم "مراكش" أم "ليبيا" . وقد نافسهم الشوام من المسيحيين في هذا المجال خاصة أن كثيرا منهم هاجروا إلى مصر بعد حرب 1860 الطائفية وأسهموا إسهاما لا مجال لإنكاره في صياغة تاريخ مصر الحديث ومن ثم أدى هذا التنافس إلى صياغة الفكرة القائلة بوجود حركة قومية عربية قديمة قدم القرن التاسع عشر . وحدثت المدارس الفكرية العربية في كل البلاد العربية ومنها تونس وليبيا والجزائر ومراكش حذوها تقليدا فكريا منها وعجزت عن كتابة تاريخ مخصوص لكل بلد من هذه البلدان ولم يقع التساؤل مثلا عن العلاقة بين "نهضة" مصر بعد حملة نابليون على مصر مثلا و"نهضة" الجزائر بعد حملة الفرنسيين عليها سنة 1830 هل هما متزامنتان؟

<sup>3</sup>دروس الأستاذ محمد الناصر النفاوي في تكميلية الحضارة الحديثة والمعاصرة (شهادة الماجستير سنة 2006-2005 بعنوان "أثر المدارس الغربية ومناهجها في التفكير السياسي العربي المعاصر"، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

إيجازاً للفكرة نقول إنّ هذا هو الذي دفع أبا القاسم الباروني والدجاني الذي ألف مؤلفه في ستينات القرن العشرين إلى أن يزجاً بمفكر إسلامي صريح مثل الباروني في وطنيّة كم تبرأ منها هو نفسه وذلك منذ بداية القرن العشرين إذ هل يمكن لوطني أن ينظم " :وكلّ قطر به الإسلام يصلح للقرار " أو أن يؤكد في أكثر من موضع أنّه "منذ أن ظهرت كلمة ترك، عرب قبل سنوات ظهر تمزيق العرب خاصة لأن الترك والعجم والأفغان قد استقلوا بحدّ سيوفهم بعد الحرب العظمى استقلالاً حقيقياً تاماً"<sup>1</sup>

إنّ الإسلام لا يقول بغير الأخوة في الدين أما الوطنية التي هي مستورد غربي رأسمالي فرائحة الجمارك تشتّم منها على بعد مئات الكيلومترات .

الباروني رجل ليبي (عندما نتجاوز التركيز على طرابلس لأسباب منهجيّة وتاريخية) مغربي مسلم صميم أجبر على ممارسة السياسة التي لا ينجح في ميدانها من كان مشدوداً انشداداً لا خلاص منه إلى القيم الأصيلة لأنها تقوم على البراغماتية وعلى "فنّ الممكن" هو يمثل عدداً غير قليل من أصفى وأنقى ما أنتج المغرب من رجال فكرا وممارسة في زمن تفتن هو نفسه إلى أنّه زمن نمت فيه أنياب القرش الغربي وبدأت تتأهب لتنهش لحم عالم إسلامي متختر متخشّب ولكنه غير واع بوضعه منصرف إلى التقاتل الديني الطائفي. ونحن قد نوافقّه أو لا نوافقّه على ما يذهب إليه ولكن علينا، والتاريخ يطوي كل شيء، أن نعطي كلّ ذي حقّ حقه .

<sup>1</sup> أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان الباروني باشا، مرجع سلف ذكره ص. 173.



### الفصل الثالث

الباروني في مصر

( 1907-1908 )

هل تمكّن سليمان الباروني الباحث عن "متنقّس" له في القاهرة أن " يتنقّس " فيها بملء رئتيه السياسيتين بعد أن سمح له الوالي رجب باشا بالسفر إليها فحلّ بها سنة 1906؟

إنّه بإمكاننا أن نوكّد ذلك على الرّغم من قصر المدة التي سيقضيها بها أي إلى حدود جويلية 1908 عند نجاح الانقلاب العثماني ذلك أنّ مصر كانت رغم الاستعمار البريطاني تتمتع بقدر لا بأس به من

الحرية نتيجة سياسة التحديث المنفتحة على الغرب التي سلكها الخديو محمد علي<sup>1</sup> ومن خلفه من أبنائه. فقد اعتمدت هذه العائلة النظم الفرنسية في تحديث التعليم والمجتمع والسياسة وهو ما ميّز مصر عن بقية الأقطار العثمانية الأخرى فكرياً وسياسياً وانعكس إيجاباً على المجتمع، فقد عرفت مصر في عهد الخديو عباس حلمي الثاني نشأة المنتديات الثقافية والفكرية وظهور العديد من الصحف والجراند كجريدة "المؤيد" لعلي يوسف و"اللواء"<sup>2</sup> لمصطفى كامل و"الجريدة" لأحمد لطفي السيد<sup>3</sup> كما جمعت أغلب رموز السياسة المعارضة لسياسة عبد الحميد وأصحاب التوجهات والمواقف السياسيّة المختلفة، إضافة إلى أصحاب المذاهب الإسلامية المتباينة حيث نجد بالإضافة إلى المذهب الشافعي المذهب الحنبلي والحنفي والمالكي.

إنّ الوضع العام في مصر يعدّ كثير الانفتاح مقارنة بترابلس الغرب، خاصة فيما يتعلّق بتعدّد المذاهب فالتعايش السلمي بين مختلف المذاهب كان من دواعي اختيار الباروني مصر دون غيرها من الأقطار الإسلامية لتكون مستقرّاً له، فقد كانت المكان الملائم فكرياً وسياسياً لتجسيد مشروعه الداعي إلى الجامعة الإسلامية الراض لتناز المذاهب الإسلامية دون التعرّض لمضايقات السلطة الحاكمة وقد أصاب الباروني في تحديد وجهته لأسباب أربعة :

أولها : احتكاكه بمختلف التيارات الفكرية والسياسية والأحزاب الموجودة خاصة أنّه كان يحرص على حضور الاجتماعات والندوات الفكرية والثقافية .

<sup>1</sup> محمد علي ( 1849 – 1769 ) والي مصر ( 1849 – 1805 ) تولى الحكم بعد أن طالب المصريون الباب العالي خلع خورشيد , استعان بالفرنسيين في تنظيم الجيش والبحرية والري والتعليم وتشبيد القناطر الخيرية "الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره ج 2، ص 1661.

<sup>2</sup> اللواء جريدة أصدرها مصطفى كامل سنة 1900.

<sup>3</sup> أحمد لطفي السيد ( 1872-1963 ) :مفكر وفيلسوف عربي ورائد من رواد الحركة الوطنية ، ولد ببرقين بالدهقالية، حصل على ليسانس الحقوق 1894، التحق بخدمة القضاء، شارك في تأسيس حزب الأمة وتولى رئاسة تحرير "الجريدة 1906-1918 " فمديراً للجامعة المصرية 1965 فوزيراً للمعارف 1928 وعدة مناصب أخرى، نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية 1958. الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 62.

ثانيها : تمكّنه من طرح آرائه حول الجامعة الإسلامية والدعوة إليها، وقد كانت جريدة "الأسد الإسلامي"<sup>1</sup> التي أصدرها سنة 1907 ناطقة بهذه الأفكار ومعلنة عنها .

ثالثها : تمكّنه من الدفاع عن المذهب الإباضي لأن مصر كانت تدعو إلى التسامح بين المذاهب وتحتوي على أكثر من مذهب، وقد تمكّن الباروني من طبع الجزء الثاني من كتابه "الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية" الذي احتجز جزؤه الأوّل سنة 1898 عندما كان الباروني عائداً من تاهرت إلى طرابلس لأنه يتحدث عن المذهب الإباضي المخالف للمذهب الرسمي للدولة . كما نشر العديد من الكتب الإباضية الأخرى " وفاء الضمانة بأداء الأمانة " للشيخ محمد بن يوسف الميزابي المغربي وبعض الكتب الأدبية كديوان "السيف النقّاد" للخضرمي و "ديوان الباروني" في مطبعة "الأزهار البارونية"<sup>1</sup> التي أنشأها سنة 1906 مستعيناً في ذلك بأخويه أحمد ويحي .

رابعها : تجنّب إزعاج السلطات المحليّة في طرابلس وتحقيق التواصل المباشر مع السلطة المركزية قصد توضيح موقفه من السياسة الحميدية خاصة أنّ رسائله التي كان يبعث بها آنذاك إلى الآستانة كانت تردّ من مركز الولاية بعد أن تفتّح ويعرف محتواها .

لقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية مسيطرة على تفكير الباروني وتوجهه السياسي منذ كان طالباً وقد تبلورت أكثر أثناء وجوده في مصر . فالدعوة إلى الجامعة الإسلامية كانت ملحّة وقد كتب الباروني في أعداد الجريدة الثلاثة مقالات تدعو إلى تأسيسها . وهذا التوجّه نستشعره

<sup>1</sup> جريدة الأسد الإسلامي "جريدة دينية سياسية أدبية أسبوعية" لصاحبها سليمان الباروني صدر منها ثلاثة أعداد : العدد I ، 12 أوت 1907 العدد II ، 14 أبريل . 1908 العدد III ، 23 أبريل 1908 .

<sup>1</sup> مطبعة "الأزهار البارونية" أنشأها الباروني تقع في أوّل شارع البانية بشارع محمد علي عدد 32 .

من العنوان فقد استعار الباروني لفظ "الأسد" ليدلّ به على أنّ الخلافة العثمانية التي عرفت توسّعا كبيرا في القرن الرابع عشر مع مؤسسها عثمان غازي<sup>2</sup> والخلفاء من بعده، إذ كان الأسد آنذاك "رهيبا مهيبا جامعا لأشتات القوة والأمان مكتنفا لمظاهر الصولة والسلطان ممنطقا بترس الجلادة متدنثرا بدثار السيادة متحصّنا في معقل المهابة"<sup>3</sup>. أصبحت اليوم) في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (ضعيفة ومقسّمة وعلى مشارف الانهيار خاصة بعد انفصال بعض القوميات عنها وتدخل القوى العظمى في شؤونها الداخلية وتزايد الصراع بين المذاهب فيها .

يرى الباروني أن الحفاظ على الخلافة يكمن في الجامعة الإسلامية، فهي وحدها القادرة على إنقاذ الخلافة العثمانية الضامنة لتمامها. فبالإسلام فقط تكون "أسد تصعق لذكره الهامات وترتعد من صيحة تكبيره الفرائص"<sup>1</sup> فتستعيد بذلك مجدها وقوتها وتصبح ذلك "الجسم العظيم الذي تجاوزت أركانه البسيطة في جهاتها الست"<sup>2</sup> وبما أنّ الإسلام ممثل في شخص الخليفة فمن واجب الولاة والعثمانيين جميعا الالتفاف حوله والعمل بسياسته الإسلامية، وقد كان الباروني أثناء وجوده في المنتديات الفكرية في مصر يمجّد سياسة عبد الحميد ويدعو إليها ويبدو أنّه لقب "بشاعر الخليفة"<sup>3</sup> بعد أن قام شاعرا وخطيبا في احتفال جمعيّة النشأة الحديثة بالمدرسة التحضيرية الكبرى بمصر ليلة عيد الجلوس الشاهاني وخصّته الصحف العربية والإفريقية دون غيره بالإطراء والاهتمام .

ورغم تأييد الباروني الخليفة وتبنيّه فكرة الجامعة الإسلامية فقد كان يدرك سلفا الصعوبات التي تواجه تكوينها وتحول دون استمرارها . وقد أورد الباروني هذه الصعوبات في مقال بعنوان "الجامعة الإسلامية وأوروبا والمذاهب في الإسلام"<sup>4</sup> أرفقه بثمانية أسئلة تبحث في أسباب

<sup>2</sup> عثمان غازي :قائد الأتراك العثماني ومؤسس الدولة العثمانية ولد سنة 1259 وتوفي 1326، الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سلف ذكره، الجزء 2، ص. 1187.

<sup>3</sup> سليمان الباروني -صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص. 16.

<sup>1</sup> الباروني صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره ، ص. 16.

<sup>2</sup> الباروني صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره ، ص. 16.

<sup>3</sup> M.H.CUSTERS, « Ibadī publishing activities in the East and in the West C. 1880-1960s, Maastrich 2006 p.26

<sup>4</sup> الباروني ، صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره ، ص 22

تفرّق المسلمين وتباينهم. وعدّ التمدّج والاستقلال عن الإمبراطورية من أهمّ الصعوبات التي تواجه الجامعة .

ففيما يتصل بالمذهب يرفض الباروني التعصّب للمذهب الفقهي داخل المنظومة الفكرية الإسلامية السنية لأنّ كل مذهب منها (مالكي، شافعي، حنبلي، حنفي إباضي) يعتدّ برأيه ويعتبر أنّ منهجه في فهم الدين واستنباط الأحكام وإصدار الفتاوي هو الأصحّ وهو ما يفضي إلى التناحر والتصادم وإلى إقصاء المذاهب الأخرى .

إضافة إلى أنّ هذه المذاهب أصبحت حتى ضمن الفرقة الواحدة تهتمّ بالمسائل الجزئية في الفقه وتتشدّد في آرائها مهملّة المسائل الجوهرية التي تخصّ الإسلام ككلّ وهو أمر ساهم في تفرّق كلمتها وحال دون توحيدها وأغلق باب الاجتهاد الذي نتج عنه قصور في مجارة التطور الحاصل في الغرب وعجز عن تقديم الحلول المحقّقة لنهضة المجتمع الإسلامي خاصة أنّ الهوة التي تفصله عن الحضارة الحديثة الرأسمالية الغربية تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم .

إنّ الاختلاف بين الفرق والمذاهب إذا كان يقود إلى تناحر يفسّره ضعف التركيز على المقاصد وأهمّها المحافظة على حياة الخلافة وهو ما يرفضه الباروني، فاختلاف "الطبيعي" بينها يثري الشريعة ككلّ ويساهم في تطويرها لأنّ الاختلاف يفضي إلى تعدّد الآراء والأحكام وتنوّع الفتاوي فتكون الشريعة بذلك قابلةً للتحديث إمّا بوسائلها الذاتية أو باستلهاها بعض ما يلائمها من مبادئ الحضارة الغربية .

لذلك يرى الباروني ضرورة إبدال التعصّب المذهبي بالتوحد الذي يضمن التعايش السلمي بين المسلمين ويحقّق التسامح فيما بينهم حتى يتمكنوا من مواجهة الخطر الأوروبي الأكبر والتقليص من مسافة الهوة الحضارية السحيقة التي تفصلهم عن الأمم المتقدّمة، ولا يمكن تحقيق هذا التوحد إلا بتأسيس الجامعة الإسلامية التي ستناى بالمسلمين عن الصراعات الداخلية وتوجه اهتمامهم إلى المسائل العظمى التي تخصّ الإسلام باعتباره ديناً شاملاً يتعالى عن المسائل الخلافية الثانوية متجاوزة المسائل الجزئية المذهبية. وقد استحضّر الباروني مثال الهند ووسمها "بدار النهضة الإسلامية" لأنّها تمكّنت من جمع المسلمين رغم اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وأسست الجامعة الإسلامية سنة 1906

بقيادة محمد علي جناح<sup>1</sup>، ثم مثال مصر في إفريقيا لأنها تضم أكثر من مذهب، وتونس في المغرب العربي لأنها تدعو إلى التسامح. إن تركيز الباروني على تجاوز التعصب "الفرقي" و المذهبي له خلفيات لأن المذهب الرسمي للدولة كان في أغلب الحالات يقصي المذاهب الفقهية الأخرى ويلغيها ويعمل على ملاحقة رموزها ومصادرة إنجازاتها الفكرية خوفا من انتشارها ومن معارضتها له في بعض المسائل خاصة المتصلة بالحكم، وبما أن الباروني عايش هذه التجربة وهذه الأوضاع مع المذهب المالكي في طرابلس وعانى من سوء معاملة رجال الدين والسياسة بسبب انتمائه إلى مذهب مخالف هو مذهب الأقلية البربرية (المذهب الإباضي) فإنه يدرك أكثر من غيره حساسية هذه المسألة وما تنطوي عليه من مخاطر على المستوى السياسي والديني والاجتماعي، لذلك اعتبرها من العوائق التي تحول دون تأسيس الجامعة الإسلامية.

أما فيما يتصل بالقوميات النابذة في السلطنة فمن المعروف أن السلطنة عرفت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انفصال بعض القوميات وتدخل القوى العظمى واستعمارها بعض ولاياتها، فقد انفصلت صربيا سنة 1828 واليونان سنة 1832 وبلغاريا سنة 1878، واحتلت بريطانيا قبرص سنة 1878 ومصر 1882 وعمان 1891 والكويت 1899 ووجهت فرنسا قوتها العسكرية نحو المغرب العربي فاحتلت الجزائر سنة 1830 وتونس سنة 1881 وتدخلت عسكريا في لبنان مستغلة الحرب الأهلية بين الموارنة والدروز سنة 1860. لقد أصبحت الإمبراطورية في تلك الحقبة من أضعف الإمبراطوريات بسبب فشلها في المحافظة على ولاياتها وعدم سيطرتها سياسيا على المناطق التابعة لها. إضافة إلى دعوة بعض التيارات الفكرية السياسية إلى استقلال الطوائف والأقليات لأن الإمبراطورية على حد زعمها كانت تغلب الأقلية التركية صاحبة الأمر والنهي والحكم وتهتم بقية الكيانات

<sup>1</sup> محمد علي جناح ( 1876-1948 ) زعيم وسياسي باكستاني، انضم إلى حزب المؤتمر الهندي داعيا إلى الوحدة بين الطوائف المختلفة ثم قاد حركة العصية، أصدر 1929 بيانه ذا النقاط الأربع عشرة طالب فيه بتخصيص ثلث مقاعد المجلس التشريعي المركزي للمسلمين ووضع تشريع دستوري يضمن حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم، أعلن سنة 1947 قيام باكستان دولة إسلامية، الموسوعة العربية الميسرة ج I ص 648.

الأخرى التي تمثل الأغلبية المكوّنة للمجتمع العثماني "فكانت في مرتبة دنيا مثل العرب والأرمن والإغريق والأكراد والفرس والدروز".<sup>1</sup>

وبما أنّ العرب كانوا يمثلون أكثر من ثلث المجتمع العثماني فإنّ الدعوة إلى جمعهم كانت من أهداف المفكرين الشوام المسيحيين خاصة الذين نادوا بفكرة القومية العربية لأنّ وضع العرب في السلطنة في نظرهم كان مهينا حيث أنّ الأتراك بسطوا سلطتهم على كامل الإمبراطورية ولم ينزلوا العرب منزلة تلائم عددهم .

إنّ فكرة القومية التي دعا إليها الشوام تخدم أهل المشرق الذي يمثل قلب الإمبراطورية العثمانية في حين أنّها لم تكن تمثل "قضية" بالنسبة إلى أهل المغرب البعيد عن مركز الخلافة (أطراف الإمبراطورية) كما أنّ هذه الفكرة ستشجّع القوميات الأخرى على المطالبة بالحكم الذاتي والاستقلال عن السلطنة سواء بالمواجهة العسكرية أو الاستعانة بالقوى العظمى .

في هذا الإطار ينتزّل رفض الباروني فكرة القومية العربية ودعوته إلى الالتفاف حول سياسة عبد الحميد الإسلامية. فالشوام المسيحيون خاصة كانوا يرون في الإمبراطورية العدوّ والخصم اللدود لأنّ الحكام الأتراك قد أثقلوا في نظرهم كاهل العرب بالضرائب واستنزفوا الشعب لذلك تطلّعوا إمّا إلى بريطانيا أو فرنسا باعتبارهما المساعدين على مواجهة هذا الظلم والمخلصين من الاستبداد في حين أنّ الباروني كان يرى أنّ الحل يكمن في تأسيس الجامعة الإسلامية والالتفاف حول سياسة عبد الحميد التي تحمي القطر الطرابلسي المغربي والخلافة والإسلام ذلك أنّ هذا القطر مهدّد شأنه في ذلك شأن مراكش بما سبق أن وقع للجزائر وتونس .

فالدولة العثمانية التي لا مبرر لوجودها غير الدين مطالبة بحماية هذا القطر من الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها. إنّها مطالبة بحماية أتباعها لأنّ المسلمين يمثلون الأغلبية ومنتشرون في جميع أرجاء السلطنة فالدعوة إلى الجامعة الإسلامية إنّما هي دعوة إلى الالتفاف حول عبد الحميد وتجاوز الصراعات المذهبية لأنّ الهدف الأساسي هو حماية هذه الخلافة الإسلامية من الانهيار ومنع ظهور وحدات قومية جديدة تساهم في ضعفها.

<sup>1</sup>الهادي التيمومي في أصول الحركة القومية العربية (1920- 1839)، صفاقس، دار محمد علي الحامي ، ط1، 2002، ص 10.

كما أنها مطالبة بأن تحمي الدين الإسلامي من القوى النابذة وخاصة منها العرقية لأنّ القول بالقومية يغيّب الانتماء الديني ويولي العرق أهمية أكبر، وبما أنّ أغلبية العثمانيين (من العرب وغير العرب ) هم على الدين الإسلامي فإنّ الجامعة ستتمكّن من توحيدهم وجمعهم سياسيا باسم الدين. إضافة إلى حمايتها المذاهب الإسلامية المخالفة للمذهب الرسمي والأقليات الغير عربية التي تدين بدين الإسلام، والباروني يمثل إحداها وهي الأقلية البربرية الموجودة في جبل نفوسة والتي تقول بالمذهب الإباضي .

فالقول بالجامعة الإسلامية إذن يخدم الدولة وسياسة عبد الحميد وجميع المذاهب والدين الإسلامي خاصة في أقطار المغرب العربي لذلك أكّد الباروني على ضرورة إنشائها، وقد كان صريحا في نقد التوجّهات الفكرية الأخرى عندما صرّح بانتمائه الفكري "وأما نحن فلا ندعو إلا إلى الله على بصيرة نحن ومن اتبعنا، وهذا هو شعارنا، وهذه هي ديباجة نهضتنا :تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله والاعتصام بحبل الله المتين تحت هلال خليفة الله ."<sup>1</sup>

وإذا أردنا تنزيل الباروني ضمن التيارات الفكرية السياسية التي ظهرت آنذاك في السلطنة نجده ينتمي إلى التيار الإسلامي الإصلاحي الذي يرى في العودة إلى الإسلام الصحيح أسباب التقدم والرقى لذلك قام بمحاربة البدع ومشائخ الطرق ونقد الامتيازات التي تتمتع بها المذاهب الرسمية والدعوة إلى إلغائها، كما أنّه لم يعارض التيارات الآخذة عن الغرب والداعية إلى استيعاب الحضارة الحديثة خاصة الإنجازات العلمية والاقتصادية فيها في حين عارض اعتماد نظمها السياسية القائمة على فصل الدين عن الدولة لأنها تنسف الأسس التي تقوم عليها الخلافة وتجعل من حكم عبد الحميد حكما شكليا (يملك ولا يحكم) وفي هذا الإطار نقد الباروني التيار العثماني الليبرالي المنفتح على الغرب والداعي إلى الأخذ عن أوروبا خاصة التنظيم السياسي القائم على اللائكية .

إنّ الفصل بين الدين والسلطة السياسيّة في الإمبراطورية يجرّد الخليفة صاحب السلطة المطلقة من السلطة السياسيّة، وهو ما يفضي إلى إبطال مفهوم الخلافة القائم على الجمع بين الدين والسياسة ويؤدّي إلى انهيار السلطنة لأنّ الوازع الديني كان من أهم أسباب تماسكها

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة، مرجع سلف ذكره، ص 18.



خاصة أنّ الإسلام كان دين أغلبية رعاياها فوجود خليفة يحكم باسم الشرع كان ضروريا لاستمرار الكيان العثماني حتى وإن كان هذا الخليفة مستبداً لذلك اختار أصحاب هذا التيار المتشبت بالخلافة نصح الحكام ودعوتهم إلى إصلاح أنظمتهم حتى يقوا السلطنة من خطر الثورة والتمرد على حكمهم ويمكن استحضار الرسالة التي وجهها الباروني إلى السلطان عبد الحميد يشكو فيها جور ولاته في طرابلس الغرب ويدعوه فيها إلى مراقبة من يحكمون باسمه وإلى ضرورة إقامة العدل والاهتمام بالولايات التي تبعد عن مركز الحكم "فتنبه يا أمير المؤمنين لهذا الداء العضال وتيقظ إلى أنك قد ناهزت عمره عليه السلام وصاحبيه فما لك إلا أن تلتفت لأخرتك وتراقب الله مولاك (... ) واحسب حساب يوم لا ينفعك فيه عمالك وولاية أمورك"<sup>1</sup>.

كما أنّ القول بالفصل بين السلطتين (الدينية والسياسية) (في الحكم يقتل من حظوظ نشأة الجامعة الإسلامية والالتفاف حول سياسة عبد الحميد التي اتخذت منذ بدايتها طابعا دينيا) إسلاميا (وهو ما يساهم في إنجاح مشروع استعمار بقية الأقطار المغربية خاصة أنّ إيطاليا في تلك الفترة قد وجهت اهتمامها إلى طرابلس الغرب وكانت تستعدّ لاحتلالها .

فالتيار العثماني الذي يدعو إلى "مصافحة المدنية الأفرنكية"<sup>2</sup> لا يمكن في نظر الباروني أن يطبق أفكاره على دولة مثل السلطنة لأنه سيلغي بذلك الخلافة ويساهم في انقسام الإمبراطورية حسب الأقليات والطوائف وهو ما يؤدي إلى تدخل الأوروبيين في هذا الكيان إمّا للاستفادة من ثرواته أو لاستعمارها .

وقد تجاوز الباروني بأفكاره هذه التوجّه الوطني وهو ما ينفي ما أورده أبو اليقظان في كتابه حين اعتبر أنّ الجريدة الناطقة بأفكار الباروني "وطنية المبدأ (... )فإنها ما نال الجرائد الوطنية الحرّة من الإرهاق والتضييق والتعطيل"<sup>1</sup> مما يعني أنّ الباروني قد تبنى الفكرة الوطنية ودعا إليها من خلال "الأسد الإسلامي " نحن لا ننكر أنّ الباروني تحدّث عن وطنه طرابلس الغرب وأفرد له مقالا تحت عنوان "طرابلس الغرب مفتاح إفريقيا " فتحدّث عن

<sup>1</sup> سليمان الباروني صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص. 64

<sup>2</sup> صفحات خالدة، مرجع سلف ذكره، ص 17

<sup>1</sup> أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، مرجع سلف ذكره، ج I، ص. 83.

أهميتها الدينية وعلاقتها بالدولة العثمانية وطرح أسباب تخلفها وبحث في كل ما يراه صالحاً لشؤونها " إذ كانت أمة منحلة عن جارتها مصر وتونس في المعارف والعمران وخالية من أغلب دواعي التقدم من مخترعات هذا العصر الجديد ، عصر الحركة والعجائب<sup>2</sup> فكانت الجريدة بذلك الخيط الرابط بينه وبين الطرابلسيين خاصة الطبقة المثقفة والمرآة العاكسة للأوضاع الداخلية والصوت الذي طالب بالإصلاح والتنمية ، لكن هذا القول لا يعني أن الباروني كان من دعاة الوطنية رغم " طرابلسه " لأسباب عديدة أهمها :

أولاً : أن الباروني عندما تحدّث عن طرابلس الغرب أحقها بالإمبراطورية العثمانية، أي بصفتها إيالة تتبع الكيان العثماني سياسياً ( علاقة جزء بكلّ (في حين أنّ مفهوم الوطنية يستوجب انفصال هذا الجزء ) طرابلس (ليصبح كلاً مستقلاً له حكمه الذاتي وقوانينه الداخلية الخاصة به وهو ما يخالف توجه الباروني الذي يدعو إلى الالتفاف حول سياسة عبد الحميد الإسلامية قصد الحفاظ على تماسك الإمبراطورية ومن ثمة حماية طرابلس الغرب التي كان الإيطاليون آنذاك يمهّدون السبيل لاحتلالها.

ثانياً أنّ طموح الباروني يتجاوز البعد الوطني الضيق إلى بعد آخر أكثر شمولية هو البعد الإسلامي خاصة أنّ فكرة تأسيس الجامعة الإسلامية قد راودته منذ أن كان طالباً وقد تحدّث الباروني عن تشدّد بعض الزيتونيين المذهبي عندما زار تونس وعدّه من الأسباب التي تحول دون جمع كلمة المسلمين .

فهذا المفكر الإسلامي كان يدرك جسامة التحديات الخارجية التي تواجه الإسلام (المسيحية والحدّثة (لذلك كان هدفه جمع المسلمين ضمن الجامعة الإسلامية حتى يتمكّن من الدفاع عن هذا الدين الذي تعرّض للطعن في عديد المناسبات وقد اقترح الباروني تأسيس "حزب الدفاع عن الدين " للردّ على الاتهامات التي توجه إلى الإسلام مثال ذلك الكتاب الذي ألفه كرومر Cromer<sup>1</sup> وأساء فيه إلى المسلمين والإسلام

<sup>2</sup> مقال ورد في العدد الأول من جريدة الأسد الإسلامي ، صفحات خالدة من الجهاد، سليمان الباروني، مصدر سلف ذكره، ص 29.

<sup>1</sup> إيفلان بارنك كرومر ( 1841-1917 ) سياسي بريطاني ومعتمد بمصر ( 1883-1907 )، عبد الوهاب الكيالي - موسوعة السياسة

في حين لم يدع إلى تأسيس "حزب وطني" يطالب باستقلال ( طرابلس).

ثالثاً: تكوين الباروني التقليدي الذي اقتصر فقط على العلوم الشرعية دون العلوم العصرية وجّه الباروني إلى هذا المسار دون غيره .  
رابعاً: إنّ الهدف من تأسيس الجريدة هو "خدمة الجامعة والإنسانية والدين"<sup>2</sup> إضافة إلى أنّ العنوان يحيل على ذلك "الأسد الإسلامي" أيّ على الإسلام الذي به تكون الإمبراطورية قويّة و متماسكة، ولو كان هدف الباروني الدّعوة إلى الوطنية لجعل العنوان "الأسد الطرابلسي" أو "الأسد الوطني".

خامساً: أنّ الباروني يعتبر كل دار الإسلام وطنه، فـ "كل قطر به الإسلام يصلح للقرار" وهو ما يؤكّد الطابع الإسلامي في فكر الرجل . يتأكّد لنا من خلال ما أسلفنا توجه الباروني الإسلامي المتمثّل في دعوته إلى تأسيس الجامعة الإسلامية والتفافه حول سياسة عبد الحميد الإسلامية ليتجاوز بذلك إشكالية التعصّب المذهبي ويدافع عن الدين ويضمن حماية القطر الطرابلسي وتماسك الإمبراطورية العثمانية . ولكن إذا كان الباروني من الموالين لسياسة عبد الحميد الإسلامية فما الذي سيكون عليه موقفه من العثمانيين الاتحاديين الذين انقلبوا على عبد الحميد الثاني سنة 1908؟ إنّ هذا لهو موضوع فصول القسم الثاني الثلاثة .

## القسم الثاني

# سليمان الباروني زمن الدولة العثمانية الاتحادية

<sup>2</sup>صفحات خالدة من الجهاد، سليمان الباروني مصدر سلف ذكره ص 13.

( 1908-1918 )

## الفصل الأول

# الباروني وإعلان المشروطة

(1908)

قام العثمانيون الأحرار بثورة استهدفت تقييد سياسة عبد الحميد الفردية ودعت إلى ضرورة تحديث المجتمع بعدما عطل الخليفة العمل بالدستور مدة ثلاثين سنة تقريبا أي منذ أن أغلق مجلس المبعوثان في 13 فيفري 1877. قاد هذه الثورة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي تكوّنت من خلايا طلبة الحربية العسكرية وأعلن الجيش عصيانه بقيادة محمود شوكت<sup>1</sup> وعزيز علي المصري<sup>2</sup> ومحمد أنور<sup>3</sup> ومصطفى كمال

---

<sup>1</sup>محمود شوكت ( 1913- 1858 ) قائد عراقي، عيّن واليا لقومه ففاندا للفيلق الثالث بسلاينيك وكان من أعضاء "تركيا الفتاة" التي هدفت إلى القضاء على استبداد السلطان عبد الحميد II ، ولما قامت ثورة 1908 زحف على الأستانة فدخلها عنوة وخلع السلطان وولى محمد رشاد، وتألّفت الوزارة الجديدة وكان محمود شوكت وزير الحربية ثم تولّى الصدارة العظمى، قتل أمام نظارة الحربية " الموسوعة العربية الموسعة، مرجع سلف ذكره ج 2، ص 1664.

<sup>2</sup>عزيز علي المصري ولد سنة 1879 جندي وسياسي مصري خدم بالجيش التركي وانتظم بجمعية الاتحاد والترقي 1905 وعيّن مدرسا بكلية الأركان التركية "الموسوعة العربية الموسعة، مرجع سلف ذكره ج 2، ص 1664.

وغيرهم في 13 جويلية 1908 في سلانيك وهو ما اضطرّ السلطان إلى إعلان الحكم النيابي وافتتاح البرلمان للمرة الثانية .  
مثّلت هذه الجمعية منذ نشأتها خطرا على عبد الحميد رغم سياسة الإبعاد ( والنفي (والتقريب ) الاستمالة (التي كان يعتمدها، وقد ازداد هذا الخطر عندما هرب أغلب رموزها إلى باريس وواصلوا فيها نشاطهم لتشتدّ المعارضة أكثر خاصة أنّ حكم عبد الحميد قد همّش الأقليات غير التركية وغير الإسلامية السنية وحاول طمس خصوصياتها بالسياسة الإسلامية التي انتهجها.

من بين النشاطات التي قام بها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي مشاركتهم في مؤتمر باريس (9-4) أبريل ( 1902) الذي جمع كل الأحزاب المعارضة لسياسة عبد الحميد وبحث في شؤون الإمبراطورية الداخلية وقد وقع التركيز أساسا على وضعية الأقليات وشكل الحكم الذي يضمن حقوقها، ويبدو أنّ الأغلبية قد ساندت فكرة اللامركزية التي تدعو إلى تقسيم الدولة إلى حكومات مستقلة استقلالاً ذاتياً على أساس عرقي قومي .

قادت ثورة 1908 إلى إعلان المشروطة (الدستور (والعمل بالقانون الذي يشرّعه الأفراد بدل حكم الخليفة العثماني الفردي .وقد أبدى سليمان الباروني حماسه للوضع السياسي الجديد ورحّب بالدستور .كتب الدجاني " :كان للحدث رنة فرح كبرى في البلاد العثمانية جميعها وقد استقبلها الباروني بحماس بالغ ورأى فيه ايذانا بالفرج والعودة إلى الوطن"<sup>1</sup>  
نحن نوافق الدجاني على ما ذهب إليه من موقف الباروني المرحب بالدستور لكننا نختلف معه فيما ذهب إليه من تعميم هذه الفرحة على كامل السلطنة لأسباب سنذكرها فيما بعد .

ما هي الأسباب التي جعلت الباروني يؤيد الدستور ؟  
وهل في هذا التأييد إغراض عن سياسة عبد الحميد الإسلامية التي طالما دعا إليها وتغنّى بها في قصائده؟

<sup>3</sup>أنور باشا (1881-1922) قائد تركي وزعيم سياسي لعب دورا هاما في ثورة 1908 التي قام بها حزب تركيا الفتاة ضد عبد

الحميد II ، شارك في عديد الحروب ، قتل أثناء قيادته فرقة معادية للسوفييات بالقرب من بخارى "الموسوعة العربية الميسرة ج 1

ص 250

<sup>1</sup>أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي ، مرجع سلف ذكره ص 426.

إنّ البنود التي أقرّها الدستور والتي تعزّز حضور الفرد في المجموعة وتهدف إلى إصلاح المجتمع الإسلامي كانت سببا في التفاف الباروني حول الأحرار العثمانيين، وقد أورد محمد الناصر النفاوي في كتابه "التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية" نص الخط الهمايوني الصادر بتاريخ 18 جويلية 1908 وسنستعرض البنود التي نعتقد أنّها كانت سببا في تحمّس الباروني للدستور، وقد اخترنا من البنود الثلاثة عشر البند الأوّل والثاني والخامس والسادس.

البند الأوّل يدعو إلى المساواة بين جميع العناصر الموجودة في الإمبراطورية في الحقوق والواجبات وضرورة حفظ حرّيتها الشخصية "كلّ فرد من العثمانيين مهما كان مذهبه وقومه يتمتّع بحريته ويتساوى مع غيره في الحقوق والواجبات"<sup>2</sup>

وهذا يعني أنّ البربر والأرمن والألبان والدروز وغيرهم يتساوون مع الأتراك والعرب وأنّ الإباضيين يتساوون في حقوقهم وواجباتهم مع الشيعة والسنة المهيمنة في الدولة والمعادية للمذاهب الأخرى .

هذه المساواة ستخفف من حدّة التوتر القائمة بين المذاهب وترسي نوعا من التعايش السلمي بينها بعيدا عن التعصّب والصراعات كما أنّها ستلغي الامتيازات المذهبية والدينيّة والعرقية التي سمحت لأقلّيّة واحدة ومذهب واحد بالتمتّع بعدد الصلاحيات على حساب المذاهب والأقلّيات الأخرى لأنّ القانون يعامل الفرد باعتباره مواطنا ينتمي إلى الوطن العثماني دون اعتبار دينه أو مذهبه . إذا عدنا إلى وضعية الباروني الذي يمثّل أقلّيّة البربر والمذهب الإباضي في الجبل الغربي لطرابلس الغرب نجد أنّه قد عانى كثيرا بسبب انتمائه العرقي والمذهبي وأنّ هذا البند يحقق له المساواة بالمذهب السنّي "المذهب الرسمي للدولة" ويضمن له ممارسة فقه مذهبه دون مضايقات والعيش في سلام مع السلطة الحاكمة في طرابلس الغرب .

كما يعزّز هذا البند حضور الأقلّيات المهمّشة في السلطنة ويجعل منها عنصرا فاعلا ومعترفا به .

البند الثاني : يحدّد من صلاحيات رجال السلطة ونفوذهم ويجعل دورهم مقتصرًا على تنفيذ القانون الذي يشرّعه الشعب "فلا يجوز استنطاق

<sup>2</sup> محمد الناصر النفاوي ، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص. 395.

أي شخص وتوقيفه وسجنه ومعاقبته بصورة من الصور إلا إذا أوجب القانون ذلك<sup>1</sup>

ونحن نعلم أنّ الباروني قد تمّ إيقافه عند عودته من الجزائر إلى طرابلس دون تهمة قضائية وسجن بسبب حمله كتب مذهبه الإباضي في دولة سنّية. كما توعدّته السلطة المحليّة في طرابلس بعقاب يفوق العقاب الأوّل بسبب تقربه من السلطان الحميدي بما نظمه من قصائد في ليلة الجلوس الشاهاني بمصر خاصة بعد أن لاقى شعره استحسان الصحافة العربية والإفريقية.

هذا البند يمكّن الباروني من العودة إلى طرابلس دون أن تتعرّض له السلطات لأنّه لم يقترف ما يعاقب عليه القانون يقول :

"هيا يا باروني هيا  
زر إلى الأوطان بيا

شعبنا قد عاد حيا  
يطعن الأعدا بسن<sup>1</sup>

البند الخامس: يمنع مراقبة الناس أو ملاحقتهم إلا متى استوجب القانون ذلك "فلا يجوز لموظفي الضابطة ولا لغيرهم من الموظفين تحت أي اسم وصفة ملاحقة أحد الناس بغير الأصول التي عينها القانون"<sup>2</sup> وقد عانى الباروني من ملاحقة القائمقام والمفتي المالكي اللذين راقبا حتى رسائله الشخصية، فكانت تفتح في دائرة البريد بطلب منهما دون أن تبعث، فتردّ إليه من جديد بعد أن يأخذا منها ما يريان أنه يمكن أن يثبت إدانته من قريب أو من بعيد.

وهذه الملاحقة المستمرّة هي التي دفعته إلى السفر إلى مصر حتى ينعم بقدر أوفر من الحرية بعد أن ضاق ذرعا بتصرّف رجال السلطة المحليّة.

البند السادس: يمكّن كلّ عثماني من التنقل في السلطنة دون قيود أو حواجز "لأفراد التبعة العثمانية الحق بالسفر إلى أيّة مصلحة سواء بقصد التجارة أو السياحة أو الاختلاط والاجتماع بمن أرادوا من الناس."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد الناصر النزاوي، التيارات الفكرية السياسيّة، مرجع سلف ذكره ص 395.  
<sup>2</sup> الباروني: صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص 106

<sup>3</sup> محمد الناصر النزاوي، التيارات، مرجع سلف ذكره ص 396

<sup>3</sup> محمد الناصر النزاوي، التيارات الفكرية السياسيّة، مرجع سلف ذكره ص 396.

هذا البند يمكّن الباروني من التنقل بحرية في أرجاء السلطنة دون قيود والاجتماع بالأحزاب السياسية أو بأصحاب مذهبه من البربر أينما كانوا دون أن يتعرّض لعقاب أو مراقبة .

إنّ بنود الدستور التي ذكرناها تمكّن لحرية الأفراد الشخصية وتضمن لهم حقّ التمتع بالعيش الآمن والاعتقاد والملكية والأمن والمساواة، وهذه الحقوق حرم منها أغلب العثمانيين لأنّ الحكم الحميدي رغم أخذه بالمذهب الحنفي ميّز أقلية عن بقية الأقليات وسيدّ في طرابلس أصحاب المذهب المالكي على بقية المذاهب الأخرى باعتباره مذهب أغلبية المغاربة وغلب الدين الإسلامي على الدين المسيحي واليهودي وفقا للسياسة الإسلامية التي ينتهجها في حكمه .

أمّا على المستوى السياسي فقد نزع الدستور السلطة من الخليفة الذي يحكم باسم الله في الأرض وجعلها بيد الشعب ليحكم نفسه بنفسه بواسطة القوانين التي شرّعها سواء أكان ذلك بصفة مباشرة أم عن طريق نواب .

إنّ الدستور مكّن من تركيز علاقة أفقية بين الدولة والمجتمع يحكمها القانون بعد أن كانت عمودية فنزع عن الخليفة هالة القداسة التي كانت تحيط به وتمكّنه من أن يحكم باسم الدين في الأرض وبعد أن كان القانون ينزل من فوق (السلطة السياسية (ويطبّق في الأرض ) المجتمع (أصبح يشرّع من المجتمع لتطبّقه السلطة السياسيّة، فمهمة الحاكم تقتصر على تطبيق القانون الذي يشرّعه الشعب دون أن تكون له إمكانية التعسف عليه .

كما يلغي هذا الدستور الامتيازات التي يتمتع بها المقربون من رجال السياسة لأنّه يعتمد على الكفاءة خاصة في تولية المناصب وتوزيع الوظائف العمومية وهذا الأمر يمكّن الباروني من تقلد منصب مهم في الدولة نظرا إلى تكوينه الفكري ومستواه العلمي اللذين يخولان له ذلك .

إنّ جمعية الاتحاد والترقي التي اعتمدت في صياغة دستورها على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان<sup>1</sup> راهنت على الفرد باعتباره النواة المكوّنة للمجتمع لذلك مكّنته من جميع حقوقه وألغت التركيبة

<sup>1</sup> الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :وثيقة تاريخية هامة في تاريخ الدساتير الفرنسية وضعها سيسي Sieyes ووافقت عليها الجمعية التأسيسية 26 أغسطس 1789 وضمنت في دستور 1791 باعتبارها مقدّمة له وهي مستمدة من نظريات روسو وإعلان الاستقلال الأمريكي "الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 729.



الاجتماعية القديمة التي لا تولي المجتمع باعتباره كلاً كلّ الأهمية المطلوبة لذلك ساوت بين كل الأفراد الممثلين للعناصر المختلفة في السلطنة وجعلت منهم مواطنين ينتمون إلى وطن واحد، وقد مكّنها ذلك، وإن إلى حين، من تحقيق أمرين :

الأمر الأول هو المحافظة على نظام المركزية الذي بدأه عبد الحميد لكن مع بعض الاختلاف المتمثل في مراقبة الحكام بواسطة نواب يمثلون الأقليات الموجودة في السلطنة لأنّ المجتمع العثماني سيبقى سياسياً مرتبطاً بالسلطنة تابعاً لها رغم تعدّد قومياته "إنّ الجمعية تراقب أعمال الحكومة وهي متّصلة بها بواسطة أعضاء المبعوثان الذين هم أعضاء في الجمعية<sup>1</sup>."

أمّا الأمر الثاني فيتمثل في تمكين الأقليات الموجودة في الإمبراطورية من المحافظة على خصوصياتها التي حاول عبد الحميد إذابتها بتطبيقه السياسة الإسلامية السنية التي ينفر منها أغلب الأقليات والأديان الموجودة. فالعمل بالدستور سيجعل من الإمبراطورية وطناً يجمع كلّ العثمانيين يتساوون داخله في الحقوق والواجبات المدنية التي أقرّها القانون بغضّ النظر عن الانتماءات العرقية والدينية والمذهبية "إنّ همّنا منصرف إلى تقوية العلاقات بين عناصر السلطنة على أننا نعلم أننا لا نستطيع تحقيق الاتحاد والاتفاق بينها إلا متى أدخلنا الروح العلمانية في جميع العناصر<sup>2</sup>."

كما تبنت هذه الجمعية مشروعاً تحديثياً للدولة يهدف إلى مجاراة الركب الحضاري الرأسمالي الغربي للخروج من حالة الضعف والانحطاط التي تعاني منها وذلك عن طريق نشر التعليم وتطوير الاقتصاد والافتداء بالتجارب الأوروبية التي مكّنت أوروبا من الرقي والتطور. فالحضارة الغربية كانت من أعظم التحديات التي واجهت المجتمع العثماني خاصة أنّ الهوة الفاصلة بين الحضارتين قد اتسعت والفرق بين تطوّر الأقطار

<sup>1</sup> من حوار جرى بين أحد مكاتبي "الطمان le Temps" وأحد كبار جمعية الاتحاد والترقي في مركز الجمعية بالأستانة حول

شؤون الجمعية، سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره ص 107.

<sup>2</sup> من حوار جرى بين أحد مكاتبي "الطمان le Temps" وأحد كبار جمعية الاتحاد والترقي في مركز الجمعية بالأستانة حول

شؤون الجمعية، سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره ص 107.

الأوروبية والسلطنة صار جليًا للعموم يقول أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي " :فليس علينا فقط تثبيت الدستور ولكن أيضا إدخال الإصلاحات التي تجعل وطننا جاريا بحسب مقتضيات العصر وإعداد الشعب لذلك.<sup>1</sup>"

أما فيما يتصل بتحديد العلاقة القائمة بين السلطنة والدول العظمى الغربية، فقد توخّت الجمعية مبدأ الحياد في تعاملها مع هذه الدول وعملت على إلغاء الامتيازات حتى تتمكن من تحرير السلطنة من الهيمنة الاقتصادية والمالية الأجنبية باتخاذها إجراءات تهمّ هذين المجالين كاستقلال الجمارك والبريد والضرائب وجوازات المرور . نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أهمية المسائل التي تناولتها جمعية الاتحاد والترقي لأنها لامست مواطن الخلل في السلطنة وحاولت من خلال التنظيمات التي اعتمدها إيجاد حلول للمسائل الداخلية التي تهمّ القوميات والأديان المختلفة والمسائل الخارجية التي تحدّد علاقة السلطنة بالدول الأوروبية ونحن نعتقد أنّ هذه الأسباب كافية كي يدعم الباروني الدستور ويبين مبادئ الجمعية خاصة أنّه يمثل إحدى الأقليات المضطهدة التي تقول بأحد المذاهب المخالفة للمذهب الرسمي للدولة . فهل يمكن عندئذ اعتبار هذا التأييد تنكرا لسياسة عبد الحميد التي امتدحها الباروني في عديد المناسبات؟

يشارك الباروني مع السلطان عبد الحميد في النظرة التقليدية إلى علاقة الدولة بالمجتمع التي تفرضها الأديان والتي تقوم أساسا على الطاعة لأنّ الأحكام التي تصدر عن الخليفة هي أحكام فوقية منزلة تطاع ولا تناقش. لذلك رأينا أنّ الباروني كان يدعم الخلافة ويدعو إلى الالتفاف حول عبد الحميد لأنّ السياسة الإسلامية التي سلكها تضمن تماسك السلطنة وصمودها أمام الخطر الخارجي خاصة أنّ أغلبية السكان هي على الدين الإسلامي. ونحن لا نستغرب توجه الباروني الإسلامي لأنّ تكوينه الفكري تكوين ديني تقليدي وهو ما تجسّد في قوله بثنائية عالم الإسلام والعالم الغربي الذي يشاطره فيه عبد الحميد . هذه السياسة الإسلامية وإن كانت على المستوى الخارجي تضمن حماية السلطنة من الغزو الغربي خاصة الثقافي فإنّها تبقى عاجزة على

<sup>1</sup> الباروني ، صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره ص 106

المستوى الداخلي عن تحقيق المساواة بين الأقليات المتنوعة والأديان والمذاهب المختلفة .

فقد قامت على أساس التفرقة بين الأجناس المتعددة من خلال تمييزها الأقلية التركية عن بقية الأقليات وهيمنة المذهب السنّي على بقية المذاهب الأخرى وهو ما ساهم في تهميش مذهب مذهباً آخر. هذا الوضع اضطرّ الباروني إلى التأكيد على ولاء أقلّيته البربرية الإباضية الغير معترف بها نتيجة تأثير المسلمين السنة في سلطة القرار في العاصمة العثمانية بغية المحافظة على حضورها وضمان رضاء السلطان عليها مثلما فعل الأمير شكيب أرسلان ممثلاً للأقلية الدرزية في لبنان. أمّا بنود الدستور الجديد فهي تضمن حقوق الأفراد في السلطنة باعتبارهم مواطنين ينتمون إلى وطن واحد دون تمييز في العرق أو في الدين أو في المذهب لذلك رحّب بالدستور وتبنى مبادئ الجمعية التي حاولت تشريك كل المجتمع العثماني في السلطة بالإضافة إلى ضمان حقوقه التي سلبت بسبب الامتيازات العرقية والمذهبية والسياسة الحميدية الفردية لأنّ الدستور بدا له أنه الحلّ الأنسب لأقلية البربر وللمذهب الإباضي ولطرابلس الغرب .

لكن هذا الدستور لم يرض كلّ العثمانيين رغم سياسة المساواة والتشريك التي انتهجها ولاقى معارضة من بعض التيارات الفكرية السياسية الموجودة في السلطنة، فما هي أسباب هذه المعارضة ؟ رفض التيار العروبي الإسلامي الذي يقول فيما يتصل بعلاقة الدولة بالمجتمع بالعلاقة العمودية بينهما المشروطية التي طالب بها أصحاب القوميات الذين يعدّون قلة مقارنة بالعرب المسلمين وهم وإن اعتبروا، في البداية على الأقل، أن الدولة العثمانية المسلمة مازالت دولتهم وأنّ القول بالدستور يؤدي إلى تفتت الخلافة والأهمّ من ذلك مساواة العرب المسلمين بغيرهم من العناصر الأخرى ممّا يفقدهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها باعتبار أنّ الخليفة يحكم باسم دينهم ومذهبهم، فإنّهم سيتوجهون بعد ذلك شيئاً فشيئاً وجهة جديدة تشترط في الحاكم أن يكون مسلماً أولاً وعربياً ثانياً أي أن أصحاب هذا التيار إذا كانوا بعبارات أخرى قد رفضوا في البداية استبدال الحكم الشرعي المستمد من القرآن والسنة بآخر وضعي من صنع البشر لأنّهم ينطلقون في فهمهم للعالم وللأشياء من منظور ديني فإنّهم أصبحوا بعد ذلك

يطمحون إلى تأسيس إمارة في الحجاز أي أصبحوا يرفضون أن يكون الخليفة من غير العرب أو من غير المنتسبين إلى آل البيت لذلك كان العروبيون الإسلاميون غير متسامحين حتى مع العرب غير السنين هذا هو شأنهم مع العرب الاتحاديين الذين بقوا على ولائهم للدولة العثمانية، وإذا كان هذا شأنهم مع العرب من غير أهل السنة فمن الممكن للمرء أن يتنبأ بموقفهم من العرب المسيحيين.<sup>1</sup>

لقد عارضوا فكرة أن يكون الخليفة تركيا متذرعين بذريعة أن القرآن نزل باللغة العربية وعلى عرب مكة والجزيرة العربية ومن ثمة أصبح تحويل مركز الخلافة إلى الحجاز عندهم ضرورة كي تتوفر شروط الخلافة (أن يكون عربيا ومن أشراف قريش). (وقد ساند العروبيون الإسلاميون) مثل محمد رشيد رضا (السياسة البريطانية باعتبارها الضامن لنجاح هذا المشروع رغم عداوة بريطانيا للسلطنة العثمانية، في حين ساند الإسلاميون) مثل شكيب أرسلان وسليمان الباروني ( الدولة العثمانية الاتحادية حماية لها من الاستعمار .

نرى إذن الاختلاف بين التيارين رغم تشاركهما في النظرة التقليدية إلى علاقة الدولة بالمجتمع ونلاحظ أن التيار الإسلامي الذي يمثله الباروني كان أكثر اعتدالا في تعامله مع بقية المسلمين وفي علاقته بالحضارة الغربية ولعل أكبر دليل هو قبول الباروني بالدستور الذي استمدت بنوده من أفكار فلاسفة الأنوار والإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

بعد أن وقع الإعلان عن الدستور رجع الباروني إلى طرابلس الغرب وقدم ترشحه في انتخابات النيابة في مجلس المبعوثان عن الجبل الغربي التي صدرت الدعوة إليها يوم 24 جويلية 1908 وقد حصل على ثلاثة أضعاف عدد الأصوات التي حصل عليها الذي يليه (3318) صوت (عن مركز يفرن وقضاء فساطو نالوت غدامس<sup>1</sup> . فماذا كان نشاط الباروني منذ أن أصبح عضوا في مجلس المبعوثان<sup>2</sup> العثماني؟

<sup>1</sup> محمد الناصر النفزاوي ، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره ص. 209-208

<sup>1</sup> سليمان الباروني صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص 120

<sup>2</sup> المبعوث (ان : (الأف والنون للجمع وأصل الكلمة المبعوثين )مجلس النواب)

## الفصل الثاني

### نشاط الباروني في المبعوثان

(1908-1911)

سافر سليمان الباروني إلى الآستانة في شهر أكتوبر 1908 ليباشر عمله السياسي في مجلس المبعوثان العثماني بعد أن حصل على أغلبية الأصوات في الانتخابات البرلمانية في طرابلس الغرب وقد مكّنه المنصب الجديد من أن ينشط داخل السلطنة وخارجها . ولقد اهتم الباروني على المستوى الطرابلسي بأحوال طرابلس فدعا إلى تحسين أوضاعها من خلال تبني المطالب التي كان السكّان يرسلونها وكان يعرضها على المجلس النيابي في عاصمة الخلافة ويسعى إلى

تلبيتها. تمكّن الباروني مثلا من حلّ مشكلة أهالي نالوت الذين كانوا يتشكّون من ضيق الأراضي المزروعة وفقد المياه فدفع البرلمان إلى الموافقة على حفر المزيد من الآبار، كما عرض على المجلس مسألة الحدود المتمثلة في تخطي فرنسا التي احتلت تونس سنة 1981 حدود طرابلس سنة 1909 وذلك بعد أن أهمل الوالي القضيّة وأبطأ في الردّ على وكيل متصرفية الجبل بسبب "ميلانه إلى الملاعب والمطربات"<sup>1</sup> لم يبخل الباروني إذن بجهد في الدفاع عن قضايا الأقلية التي ينتمي إليها وأرسلته نائبا عنها في مجلس المبعوثان خاصة عندما يتّصل الأمر بتعسف الإداريين في طرابلس، فعندما قرّر مجلس الولاية نقل المركز من يفرن إلى "زواغة" حتى يتمكّن من نزع السلطة من الإباضيين البربر رفض السكّان الإباضيون والعرب القرار وقدموا عريضة إلى مجلس المبعوثان في مارس 1909 بعد أن صمّت الولاية آذانها عن سماع ما يطلبون بدعوى أنّ "بقاء المركز في يفرن من سنجق الجبل سنين طويلة غير نافع ولم يحقق الرقيّ والازدهار المطلوب ولن يحقق ذلك لبعده وعدم ملائمة تلك الأوساط خلاف مركز زواغة لما فيه من مزايا كثيرة من جهة الموقع ولما فيه من الأهمية"<sup>2</sup> معتبرة أنّ رفض السكان مردّه هو تشبّثهم بالمصلحة الخاصة وإهمال المصلحة العامة وبما أنّ الولاية تقدّم مصلحة المجموعة على مصلحة بعض الأفراد فإنّها لن تتراجع عن قرارها في حين أنّ الهدف الحقيقي من تغيير موقع المركز هو إبعاد أهل الجبل عن السلطة حتى لا تتقوى شوكتهم خاصة أنّ لهم ممثلا في البرلمان العثماني .

وقد تمكّن الباروني من إقناع مجلس المبعوثان بضرورة إبقاء المركز في يفرن وإبطال ما قرّره المجلس وعزل الوالي ونقل حاكم الجبل ونالوت .

وعلى مستوى أوسع من المستوى الطرابلسي المحلي قام الباروني بالردّ على جريدة "تصوير أفكار"<sup>1</sup> لما كتبت في حق طرابلس الغرب وسكان الجبل والعراق ومصر ورفع تقريرا إلى الصدارة العظمى خاصة بعد أن بدأت تظهر في صفوف المنتمين إلى "تركيا الفتاة"

<sup>1</sup> الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص 151

<sup>2</sup> الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص 117

"تصوير أفكار" جريدة أسسها إبراهيم شناسي سنة 1861، ساهم في تحريرها عبد الحميد ضيا وخلفه في إدارتها نامق كمال

عندما هاجر إبراهيم شناسي سنة 1865 إلى فرنسا . "النفزاوي، التيارات، مرجع سلف ذكره، ص 88

سابقا بعض التيارات المغالية في المطالبة بالتحديث على النهج الفرنسي وكان الآخزون بها يكتبون في الجريدة سالفه الذكر.

تعرّضت هذه الجريدة المعبرة عن توجهات أصحابها لوضع السلطنة المتردي وأكدت على ضرورة تبني مبادئ الثورة الفرنسية لتحديث المجتمع وطالبت بسياسة بديلة للسياسة الوسطية السائدة تقوم على نظرة حديثة إلى علاقة السلطة بالمجتمع، فهي تعارض العلاقة العمودية بين السلطان والرعية وتتبنى نظرة تقول بعلاقة أفقية بينهما تنبني على العدل والمساواة واحترام القانون بالمعاني التي تفهم الحضارة الغربية بها هذه المفاهيم حتى "لا يزعم بعضهم ممن يعيشون في مركز الحكومة وبين لذتها أنّ وقوع الدول في الضعف هو من حوادث الكون التي لا حيلة في درئها"<sup>2</sup>

وأصحاب هذه الجريدة إذا كانوا يتبنون النظم الغربية فهم يصرون على أن لا تعارض بينها وبين النظم الإسلامية ولذلك كانوا يسعون إلى التوفيق بين مبادئ الثورة الفرنسية ومبادئ الإسلام في حين أنّ الفرق بينهما شاسع سواء على مستوى المفاهيم أو الأسس التي انبنى عليها كلّ تصور من هذين التصورين .

إنّ معارضة الباروني هذه الجريدة تجاوزت نقد السياسة والأوضاع الداخلية إلى ما هو أعمق وأخطر ونقصد بذلك الغاية من هذه الدعوة التحديثية الراديكالية فهي تهدف في نظره إلى إفشال الجامعة الإسلامية والقضاء عليها فالقول يتبني النظم الغربية في الميدان السياسي يعني في نهاية المطاف تمكين الأقليات الموجودة في السلطنة العثمانية من الحكم الذاتي الذي هو مقدّمة للاستقلال التام وذلك لما تتّصف به السلطنة من تجمّع عديد الأديان والمذاهب والأعراق فالسلطنة لا تصف نفسها "بالاتحادية" منذ 1909 إلاّ سعيا منها إلى المحافظة على وحدتها .

لهذا السبب نشط الباروني فكرياً في الصحف دفاعاً عن وحدتها متشكياً إلى الباب العالي محذراً من هذه الأفكار التي لاقت استحسان الأقليات في مختلف أرجائها وخاصة منها المطالبة بالاستقلال .

إنّ هذا التمسك بالجامعة الإسلامية هو الذي سيدفع هذا الأباضي المسلم إلى أن يتحوّل إلى مسلم عثماني إباضي ساع إلى استغلال ما له

<sup>2</sup> محمد الناصر النفاوي، التيارات، مرجع سلف ذكره، ص. 94.

من رصيد عقدي عند أقرب المسلمين إليه وهم إباضية عمان الذين ما زالوا إلى اليوم يعيشون عيشة شبيهة بـ "سكان الجزر العقديّة" يدعوهم فيها إلى ربط مصيرهم الإستراتيجي بالدولة العثمانية الاتحادية. هؤلاء الإباضيون يمثلون بعد انقراض الدولة الرستميّة في بلاد المغرب سنة 909 الدولة الإباضية الوحيدة التي ما زالت قائمة في البلاد العربية والإسلامية وهم يفخرون بأنهم لم يخضعوا في يوم من الأيام لا للأمويين ولا للعباسيين ولا للعثمانيين فبلاد عمان في نظر الباروني " مستقلة منذ ألف وثلاثمائة سنة"<sup>1</sup> وبأنهم عرفوا أمجادا في المشرق وفي المغرب على حدّ سواء. ففي المغرب نشأت الدولة الرستميّة في القرن الثامن (776) وفي المغرب العربي أيضا ما زالت مناطق عديدة تضمّ إباضيين في وادي مزاب في الجزائر وفي جربة في تونس وفي جبل نفوسة في طرابلس الليبية. أمّا الدولة الإباضيّة التي بقيت حيّة إلى اليوم فهي تنحصر في مسقط<sup>1</sup> وعمان<sup>2</sup> أي ما سيعرف فيما بعد بسلطنة عمان.

### خريطة عمان<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 6.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 2 ص

<sup>2</sup> مسقط: مدينة في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، تُغر على خليج عمان تقع بين خليج عمان والمشبخات المحمية والربع الخالي وحضرموت وهي سلطنة مستقلة تربطها ببريطانيا معاهدة، كانت لها أهميّة تجارية أخذتها عنها مدينة مطروح الموسوعة العربية،

الميسرة ج 2، ص 1700.

<sup>3</sup> عبد الوهاب الكيلاني موسوعة السياسية، ص ( 207.بتصرف )



في القرن السادس عشر عندما شدد الإسبان والبرتغاليون الخناق على سواحل بلاد المغرب والمشرق تمكّن السعديّون<sup>1</sup> في مراکش من إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين ولم تكن مقاومة الإباضيين في عمان للبرتغاليين أقلّ شدة وضراوة إذ "لما هاجم البرتغاليون سواحل عمان (... ) صار مركز الإمامة مدينة نزوى الواقعة سفح الجبل الأخضر بعيدة عن البحر وكانت لهم مع البرتغال حروب عظيمة حتى أخرجوهم من سواحلهم وتتبعوهم إلى أن أجلوهم عن سواحل العجم (يقصد الفرس ) والهند والزنجان وسواحل إفريقيا الشرقية إلى قريب من سواحل الرجا الصالح وحلّوا محلّهم وكونوا دولة قاهرة ذات أسطول ضخم ."<sup>2</sup>

غير أن القرن الثامن عشر قرن بداية الثورة الصناعية وظهور كتاب "ثروة الأمم" لآدم سميث<sup>3</sup> في أنقلترا وقرن الأنوار في بعض البلدان الغربية الأخرى وقرن الثورتين الفرنسية والأمريكية سيكون القرن الذي بدأ يظهر فيه جليا وبالعين المجردة عند أكثر العرب اطلاعا على ما يقع خارج بلدانهم اختلال التوازن بين حضارتين ترصدان بعضهما البعض منذ قرون : الحضارة العربية الإسلامية التقليدية أي ما قبل الرأسمالية والحضارة الغربية الرأسمالية نمط إنتاج وتطورا علميا وتقنيا ونظرة إلى الأشياء فإذا أنظار بريطانيا (أي مصالحتها) تتجه إلى سواحل الجزيرة العربية وذلك بالضبط في هذا الزمن الذي بدأت تظهر فيه سلالات وراثية مثل السلالة السعودية في نجد والسلالة السعيدية في عمان مما جعل من الصعب منذ هذه الفترة أن يتساكن نظامان : نظام رأسمالي حديث ممثلا في بريطانيا ونظام صاف مثل نظام الخلافة الإباضية قائم على الشريعة الإسلامية بما يفرضه ذلك من رفض لوجود أي قوة أجنبية غربية تقوم نظمها على أسس اقتصادية وسياسية وثقافية مغايرة . هذا هو أساس ما سيحدث من خلاف في عمان بين "

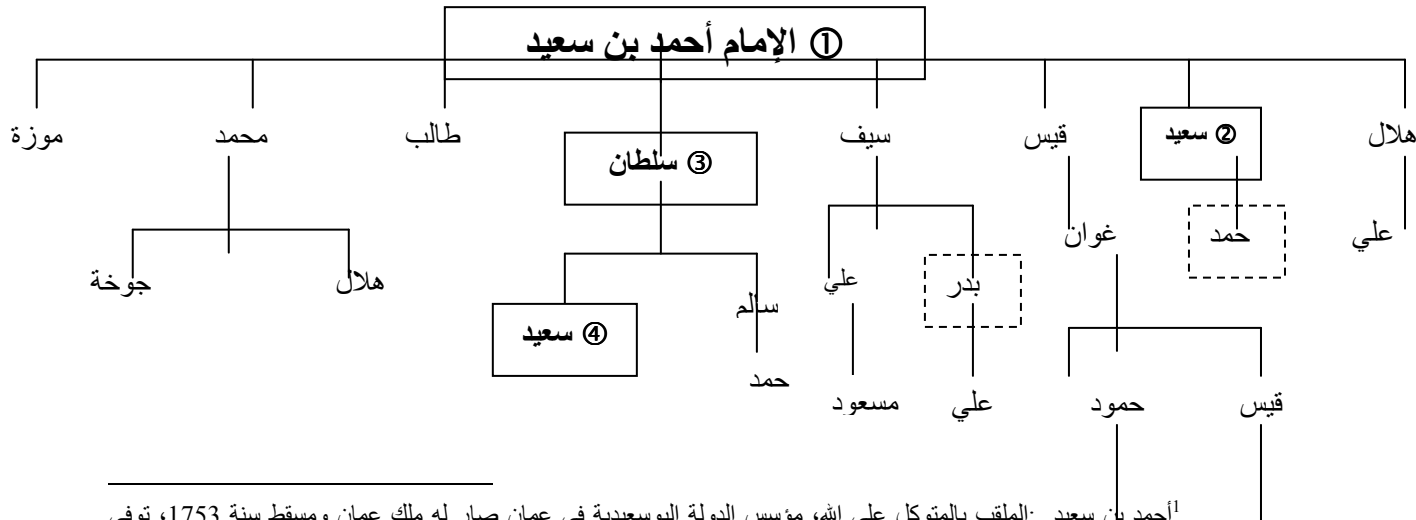
<sup>1</sup> عمان :إمامة إباضية قديمة يعلو نفوذها أحيانا وأحيانا يختفي أمام سلاطين مسقط وبلاد عمان تضم الجزء الأكبر من السلسلة الطويلة من الجبال التي يطلق عليها اسم الحجر وعاصمتها بروى بالقرب من السفح الجنوبي من الجبل الأخضر (... )كانت من أقوى الإمارات بالجزيرة العربية واستولت على شطر كبير من ساحل شرق إفريقيا الشرقي وزنجان ومنها مناطق فارسية وبلوخستانية من أهم مدنها مريط وصور وصحار ، الموسوعة العربية الميسرة ج 2، ص . 1236

<sup>2</sup>السعديون :يطلق عليهم الأشراف السعديون، دولة إسلامية في المغرب ( 1659 – 1510 )أسسها أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله، الموسوعة العربية الميسرة ج 1، ص . 982

<sup>3</sup>آدم سميث ( 1790 – 1723 ) :من كبار المفكرين الاقتصاديين اسكتلندي الأصل، قام بالتدريس بجامعة جلاسجو، نشر كتابه " بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم " سنة 1776 وهو يعتبر أساس علم الاقتصاد الحديث، الموسوعة العربية الميسرة ج 1،

السلطنة والإمامة "ففي القرن الثامن عشر سيكون أحمد بن سعيد<sup>1</sup> من قبيلة آل سعيد في عمان الوالي على مدينة "صحار" ومؤسس العائلة الحاكمة إلى اليوم) السلطان قابوس (جامعا للسلطنة والإمامة لأنه " أظهر البسالة والثبات في مطاردة العجم واشتهر بحسن السيرة والنزاهة والعدل فأجمعت الأمة العمانية على أهليته فبايعوه إماما<sup>2</sup>، فاختار لإمامته مسقط وكان قد أسسها البرتغاليون وحصنوها فصارت عاصمة عمان بدلا عن نزوى فسار بالدولة العمانية سير الأبطال فاستقامت له الأمور. "<sup>3</sup>

### شجرة أنساب العائلة السعيدية



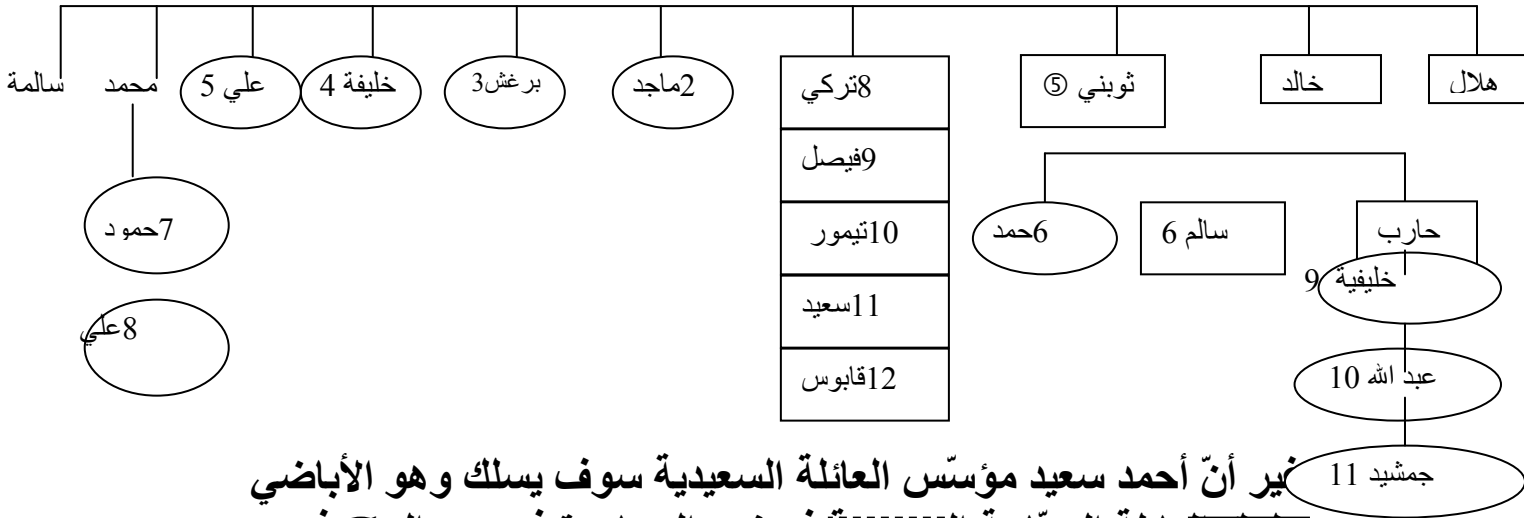
<sup>1</sup> أحمد بن سعيد: الملقب بالمتوكل على الله، مؤسس الدولة البوسعيدية في عمان صار له ملك عمان ومسقط سنة 1753، توفي

1782، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره جزء 1، ص 131.

<sup>2</sup> البيعة هي أساس ما تقوم عليه الإمامة (الحكم) عند الإباضية إذ هم لا يقولون بالوراثة في الحكم.

<sup>3</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 56.

## ① سعيد بن سلطان



خير أن أحمد سعيد مؤسس العائلة السعيدية سوف يسلك وهو الأباضي  
 عائلة الوهابية الـ في نجد المجاورة فيحصر الـ في أسماء من تولي الوصاية في عمان  
 أسماء سلاطين زنجبار  
 سعيدية مما بعده من روح الإباضية "الديمقراطية" كانت  
 نتيجة ذلك أنه "لم يحز لقب إمام أحد من ذريته من بعده وإنما كانوا  
 يلقبونهم بالملوك والسلاطين لنقصان بعض شروط الإمامة فيهم وهو  
 إقامة الحدود الشرعية ولأن توليتهم كانت شبه وراثية لا بالانتخاب كما  
 تقتضيه قواعد الإباضية.<sup>1</sup>"

وقد تنامت بمرور الزمن معارضة علماء الإباضية وراثية أحمد بن  
 سعيد حتى آل الأمر في خمسينات القرن التاسع عشر إلى مبايعتهم الإمام  
 عزان بن قيس "وهو من العائلة نفسها واستولى على عمان كلها حتى  
 مسقط والتجأ السلطان ( ) إلى الهند إلى أن قتل عزان في "مطرح"  
 مرسى مسقط فعاد السلطان وسكنت البلاد إلى سنة 1331<sup>2</sup>.

إنه لا أحد من هذين الحدثين، موت الإمام وعودة السلطان من  
 المهجر الهندي، سيضع حدًا لثنائية الحكم ذلك أن الحكم إذا كان  
 سيتواصل وراثيًا في مسقط عن طريق عدد كبير من السعديين فإن

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، جزء 2، ص 56.

<sup>2</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، جزء 2، ص 56.

علماء الإباضية سيبياعون بعد مقتل الإمام عزّان<sup>3</sup> إماما جديدا هو الإمام سالم بن راشد الخروصي<sup>4</sup>

إنّ ما يهمنّا في هذا الفصل الرسائل التي سيبحث بها الباروني إلى الإمام. ففي هذه الرسائل ما يفيد حرص الباروني على اطلاع الإمام على أحوال إخوانه الإباضية من سكان الجبل (طرابلس) (ومن ثمّ شدّة تعلّقه بتوثيق الصلات العقديّة بين عمان وإباضية المغرب :

"كان والي طرابلس وحاكم الجبل وقائمقام نالوت قد سعوا في نقل مركز حكومة الجبل إلى زواغة لتنتزع الحكومة من أيدي أهل الجبل خصوصا الإباضية ويلي الحكم العرب المجاورين لزواغة حسدا منهم وإغراء من بعض الطرابلسيين.<sup>1</sup>"

أما الرسالة التي تعبّر عن نظرة الباروني الإستراتيجية أي ما يتعلّق بمصير الإسلام جميعه فهي على غاية من الأهميّة لأنها توصي بتوخي سياسة تقارب مع السلطنة العثمانية لمواجهة الخطر "المسيحي" الأوروبي الغربي وبذلك فهي تدرج مباشرة ضمن نظرتة القائمة على فكرة الجامعة الإسلامية وقد وجهها إلى السلطان فيصل بن تركي متجاوزا بذلك الخلافات بين السلطنة والإمامة التي لا تزن شيئا كثيرا إذا ما قيست إلى الخطر الغربي الذي يهدّد العالم الإسلامي جميعه ونظرا إلى أهميّة هاتين الرسالتين المؤرختين بتاريخ 14 أوت 1910 نورد هنا أجزاء طويلة منهما وذلك قبل أن نتعرّض للتنافس الدولي على عمان أي للسبب الداعي إلى كتابة الرسالة :

"حرّرت إليكم قبل هذا جوابا طويلا الذيل حملني عليه حبّ ترقّي دولتكم وظهورها حتى تسلّم بإذن الله من مكائد الأعداء وفي جملة ما قلته فيه : أن لا تظهروا الميل إلينا لأحد من الأجانب لنلا يغتتموا فرصة اشتغالنا وعدم استعدادكم لدفع قوتهم فيحملونكم ما لا تطيقونه أو يحدثون مشكلات تسهّل لهم المداخلة في شؤونكم وقد اجتمعت اليوم ببعض

<sup>3</sup> قتل سنة 1913

<sup>4</sup> سالم بن راشد الخروصي: من أئمة الإباضية في عمان ولد بها في إحدى قرى الباطنة سنة 1884، بويح في مسجد تنوف سنة 1913 فكتب إلى الأقاليم يدعوها إلى طاعته وجهّز جيشا افتتح "نزوى" و"منح" و"أزكى" و"العوابي" و"سمائل" و"بديد" بعد وفاة فيصل بن تركي توسط حاكم "أبي ظبي" بالصلح بين الإمام الخروصي والسلطان في مقابل ردّ حصني جديد وسمائل وأبي الإمام ذلك واقتتل جيشا هما سنة 1915، اغتيل سنة - 1920 الزركلي، الأعلام، مرجع سلسف ذكره، جزء 3، ص 71.

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره، ص 157.

الوزراء الذين يهّمهم أمر دولتكم وتذاكرنا في وسائل حفظ استقلالكم والاحتياط لذلك قبل أن يفعلوا معكم (لا قدر الله) (مثل ما فعلوا مع حكومة فاس في المغرب وحكومة فارس بالمشرق فتقرّر أن نكتب إليكم عين ما كتبتة أولاً، وأنّ استقلال دولتكم أشغل شاغل لرجال هذه الدولة لأنّ في حفظ استقلالكم منعا للأعداء من الوصول إلى دواخل بلاد العرب وإلى القرب من الحرمين الشريفين.<sup>1</sup>

"وإني في شغل شاغل في التفكير فيما يضمن استقلال دولتكم ويحفظ بلادكم من الأعداء، وقد كتبت للملك المعظم مولانا السيّد فيصل بعض آراء وأفكار وأخبار أرجو أن تحلّ لديه محلّ القبول ولا يمكنني الآن بيانها والذي أراه واجبا على العلماء والعقلاء منكم إيقاظ رؤساء القبائل وعامة الناس في كلّ جهة ونصحهم إلى الانقياد للملك والاتحاد والتعاون والتعارف وترك الفتن مع بيان ما يهدّد بلادكم من الخطر وما للأعداء من القوة والطمع فيهم وفي دولتهم إلى أن يدركوا ذلك جلياً فينقادوا ويحذّروهم من التعدي على رعايا الدول الأوروبية إن كانت عندهم فإنّ بمثل ذلك احتلت فرنسا تونس والجزائر وبذلك تحاول الآن احتلال فاس وهكذا فعلت أنقلترا في مصر وغيرها"<sup>2</sup>.

لقد سعى الباروني إذن إلى تمثين علاقة السلطنة بسلطان مسقط وعلماء الإباضية لما كان يرى من خطورة النزاع الداخلي في زمن كان فيه العالم الإسلامي جميعه تتهدده قوتان عظيمان هما بريطانيا و غريمتها فرنسا، وفعلا فقد كانت مسقط من أهمّ الموانئ في تلك المنطقة من الناحيتين الإستراتيجية والتجارية وذلك لموقعها المهمّ في الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية على خليج عمان فهي تقع على " بعد 300ميلا من رأس الحد في أقصى الزاوية الشرقية من جزيرة العرب حيث ينحدر الساحل جنوبا إلى عدن ومدخل البحر الأحمر (... ) وعلى بعد 880ميلا من كراتشي و 136ميلا من جاسك و 148ميلا من شاهبهار"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد ، مصدر سلف ذكره، ص 154.

<sup>2</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ص 156.

<sup>3</sup> محمود علي الداود :محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية 1914 – 1890 القاهرة معهد الدراسات العربية العالية، 1961، ص 87.

كما يعدّ ميناء مسقط من بين أكبر الموانئ في تلك المنطقة فهو يمتاز باتساعه لعدّة سفن من أحجام كبيرة إضافة إلى احتوائها على الوكالة السياسية للخليج وعلى ممثلات فرنسية وأمريكية .

هذه الميزات جعلت مسقط هدفا للاستعمار وللسيطرة الخارجية، فقد كانت بريطانيا تطمح إلى بسط نفوذها على هذه المنقطة وفرض حمايتها قبل أي دولة حتى تسيطر على الخليج بأكمله "فقد كانت السياسة البريطانية تؤمن بأن سيطرة أيّة دولة أوروبية على مسقط سوف يولد تهديدا مباشرا للهند من الناحية الإستراتيجية".<sup>1</sup>

كانت الهند مستعمرة أنقليزية ودخول أي قوّة إلى مسقط يهدّد النفوذ الأنقليزي في المحيط الهندي لأن مسقط تقع على حدودها. وإنّ خوف السلطات البريطانية على هذه المنطقة جعلها تسعى إلى تركيز حضورها في الخليج وخاصة في مسقط، فقد اعترفت باستقلال مسقط سنة 1862 وبفيصل بن تركي سلطانا عليها سنة 1890 وواصلت تقديم

<sup>1</sup>محمود علي الداود، محاضرات عن الخليج العربي، مرجع سلف ذكره، ص 87

المساعدات المالية حتى يتمكن من القيام بأعباء الحكومة إلى سنة 1899 إضافة إلى منحه القروض ومساعدته في قمع الثورة العمانية سنة 1895 واسترجاع منقطة ظفار التي احتلها العثمانيون في السنة نفسها .

لم تكن بريطانيا الدولة الوحيدة التي تطمح إلى السيطرة على منطقة الخليج وإنما شاركتها فرنسا أيضا في هذا الطموح وكانت منافسا قويا لها يهدد مصالحها، فقد تركّز اهتمام فرنسا على المناطق الداخلية للسلطنة وعززت حضورها في أراضي عمان وشجعت على تجارة العبيد في ربوع الخليج العربي بتوزيعها الأعلام الفرنسية على سفن "صور" وتزويدها بوثائق فرنسية حتى لا تخضع لتفتيش الأسطول البريطاني في الخليج الهندي أو أسطول السلطان في الخليج العربي .

وقد أبدت أنقلترا تخوّفها من "تصرفات الممثلين الفرنسيين في "عدن" و"زنجبار" و"مدغشقر" و"مسقط" وتشجيعهم لتجارة العبيد والقرصنة في المحيط الهندي<sup>1</sup> وعبرت عن رغبتها في وضع حدّ لتوزيع الأعلام الفرنسيّة ونصحت السلطان برفع علمه الخاص على جميع السفن التي يملكها رعاياه حتى يتمكن من معاقبة الفرنسيين .

كما كان لنائب القنصل الفرنسي ميسيو "أوتافي" دور هام في التأثير في السلطان فيصل بن تركي وأقنعه بمنح الأسطول الفرنسي ميناء "بندر جيزة" قصد الاستفادة منه في خزن الفحم الحجري وبتخاذ تدابير معنيّة ضدّ المصالح البريطانية وقد اعتبرت بريطانيا أن في هذا الامتياز إخلالا بالإعلان البريطاني-الفرنسي الذي يحترم استقلال مسقط سنة 1862 وضغطت على السلطان كي لا يعترف بأيّ ادّعاء فرنسي حول السيادة على إقليم مسقط أو الحماية على سفن صور خاصة أن السلطان قد وعد بالمحافظة على العلاقات الودية بالحكومة البريطانية وبتنفيذ جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها أسلافه مع الأنقليز و "الاسترشاد برأي نائب الملك في الهند ورأي الحكومة الانكليزية والمقيم البريطاني في جميع الأمور السياسية الهامة"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمود علي الداود، محاضرات عن الخليج العربي، مرجع سلف ذكره، ص 90.

<sup>2</sup> محمود علي الداود، محاضرات عن الخليج العربي، مرجع سلف ذكره ص 87.

أمام هيمنة بريطانيا وتحكمها في مواقف السلطان أولت فرنسا معارضة منها لبريطانيا الشعب العماني اهتمامها فأصدرت قانونا في الشغل يساوي العاملين العمانيين في المؤسسات الفرنسية بغيرهم من الفرنسيين ويمنحهم نفس الحقوق وهو ما ساهم في تأليب السكان ضد الحكم الأنقليزي ومعارضة السلطان عند إقدامه على إلغاء الامتيازات الفرنسية، وقد حاولت فرنسا كذلك الإيهام بميلها إلى صفة العروبة التي يفتخر بها عرب الجزيرة العربية فأصدرت صحيفة تهتم بشؤون المسلمين في الهند ومصر والسودان وإيران وأفغانستان والصين طبعتها في باريس باسم "فتح البصائر وتوزعها في عدن وحضر موت ومسقط والبحرين (...). مهمتها هي توفير العدل لجميع المسلمين دون تمييز وتخليصهم من الاستعمار البريطاني".<sup>1</sup> وقد كان لهذه الصحيفة تأثير في المجتمعات العربية إذ غدت في بعض المعبرين عنها مشاعر السخط على المصالح البريطانية الاقتصادية والسياسية .

إنّ ما وصفنا من تنافس بين هاتين القوتين العظيمين بريطانيا وفرنسا لبسط نفوذهما في بلاد الخليج والتحكّم في مصيرها هو الذي دفع الباروني إلى الكتابة إلى فيصل بن تركي سلطان مسقط مبيّنا له أهمية استقلال السلطنة ، كتب الباروني مبررا سبب دعوته تلك "إنّ في حفظ استقلالكم منع للأعداء من الوصول إلى دواخل العرب"<sup>2</sup>

كما طلب منه عدم تمكين هاتين القوتين من أي امتياز لأنّه وسيلة للتمركز في المنطقة والتدخل في شؤون السلطنة الداخلية فبمثل الامتيازات التي منحها السلطان سيطرت فرنسا على الجزائر ثم تونس وسيطرت بريطانيا على مصر كتب الباروني "الحذر كل الحذر من التساهل في إعطاء أي امتياز في معدن أو غيره أو الترخيص لأحد الأجانب في السياحة داخل المملكة"<sup>3</sup>

كان الباروني يدرك أهمية ميناء مسقط الإستراتيجية وحاجة هاتين الدولتين إلى ميناء يزود السفن القادمة من الهند والذاهبة إليها بالفحم الحجري والماء والطعام وإلى مخزن تودعان فيها بضائعهما

<sup>1</sup>محمود علي الداود، محاضرات عن الخليج العربي، مرجع سلف ذكره، ص 103

<sup>2</sup>سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص 154.

<sup>3</sup>سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره ص . 155



ويكون في مأمن من القرصنة خاصة أن مسقط كانت من الأماكن التي يصعب على القراصنة الوصول إلى ساحلها .

لهذا السبب طلب الباروني من سلطان مسقط فيصل بن تركي الحذر من الاستعانة بدولة من هاتين الدولتين، والإنصواء وإن سرّاً تحت لواء السلطنة العثمانية حتى تحافظ على تماسكها وتحافظ على استقلالها خاصة أن الدولة سبق أن اعترفت باستقلال مسقط الذي اعترفت به فرنسا وانقلترا سنة 1862مما قد يساعد الدولة العثمانية الاتحادية على الحد من هيمنة هاتين القوتين العظميين على عمان سلطنة وإمامة كتب الباروني " عمّا قريب تصير المذاكرة على إرسال سفير إليكم وطلب سفير منكم اعترافاً باستقلالكم وتأييداً له ."<sup>1</sup>

ومما أضفى على رسالة الباروني صبغة "الإلحاح" و"الاستعجال" هو أن أمراً آخر عمانياً داخلياً كان يوقر للقوى الغربية التربة الملائمة لنجاح مخططاتها في الهيمنة الاقتصادية والسياسية على البلاد هو الاقتتال الدائم بين السلطنة ممثلة في السلطان فيصل بن تركي والإمامة ممثلة في سالم بن راشد الخروصي.

كان الإمام الإباضي يعارض بشدة وفاء صفوياً منه لمعتقدات الإباضية سياسة السلطان الموالية لحكومة الهند الأنكليزية، والحقيقة أنّ الذي دفع الباروني إلى الإلحاح على ضرورة الاتحاد والتعاون وترك الفتن مع بيان ما يهدد عمان من الخطر وما للأعداء من القوة والطمع فيها هو أنّ هذا الخطر لم يكن يهدد في نظر الباروني عمان وحدها لقوله بفكرة الجامعة الإسلامية بل يتخطاها إلى مجمل بلاد العرب التي كان جزء منها في هذه الفترة نفسها يعيش حالة صراع بين العرشين السعودي والهاشمي تشجّع عليه بريطانيا ومن ثمّ فكلّ خفوت للنزاع في عمان إنما يقتل مما يهدد الحجاز من مخاطر كتب الباروني "إنّ في حفظ استقلالكم منع للأعداء من (...) القرب من الحرمين الشريفين."<sup>1</sup>

ختاماً لهذا الفصل يبدو السؤال التالي في نظرنا وجيهاً :

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص 155.

<sup>1</sup> سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، مصدر سلف ذكره ، ص 154

هل أن الباروني وهو يدعو إلى تمتين علاقة العمانيين سلطانيين وإماميين بالخلافة العثمانية كان يصدر عن اقتناع عميق بصحة هذه الدعوة أم أنه كان على العكس من ذلك يصدر عن موقف أملاه عليه ساسة الدولة العثمانية الاتحادية؟

إننا، فيما يخصنا، لا نعتقد أن الباروني كان قادرا على مثل هذه " الانتهازية " التي كثيرا ما يتصف بها السياسيون المحترفون .

هكذا قضى الباروني سنواته الثلاث في مجلس المبعوثان - ( 1908 )  
( 1911 في إصلاح أحوال طرابلس وفي العمل الدبلوماسي المتمثل  
خاصة في السعي إلى ربط مصير إياضي عمان بالخلافة العثمانية إلى  
أن أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية في طرابلس الغرب يوم  
26 سبتمبر . 1911

فما هي نشاطات الباروني السياسية من سنة 1911 إلى 1918؟

### الفصل الثالث

نشاط الباروني العسكري والسياسي

1911 – 1918

يصعب على المرء أن يتناول نشاط الباروني السياسي في الفترة الممتدة من سنة 1911 إلى 1918 إذا لم يكن مطلعاً بما فيه الكفاية على علاقة السلطنة العثمانية بمختلف القوى العظمى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا (من ناحية وعلى التيارات الفكرية السياسية المتصارعة داخل السلطنة .

من ضمن هذه التيارات الفكرية السياسية يتنزل الاتحاديون المركزيون (أو الصباحيون (واللامركزيون (الائتلافيون أو الفاضليون (المنزلة الأولى، كان الائتلافيون بصفة عامة موالين لبريطانيا أو متعاطفين معها (الشريف حسين ومحمد رشيد رضا وحقى العظم (... أما الاتحاديون فقد كانوا بصفة عامة موالين لألمانيا ومتعاطفين معها (سليمان الباروني، شكيب أرسلان، معروف الرصافي (... وكان السجال بين هذين التيارين يصل أحيانا إلى مستوى التكفير بالمعنى الديني للكلمة أو التخوين بالمعنى اللائكي لها .

لقد وُجد الصراع السياسي ضدّ السلطان عبد الحميد بين الصباحيين (المركزيين (والفاضليين (اللامركزيين (ولكن سرعان ما تسببت الأحداث في كسر تحالف الأمس القريب وكان موقف اللامركزيين "المتكفي" من الهجمة الإيطالية على ليبيا مناسبة لتأجيج الصراع بينهم وبين المركزيين الاتحاديين.

عندما أعلنت إيطاليا الحرب على طرابلس -ليبيا- كان الباروني وهو نائب في مجلس النواب العثماني في زيارة الوطن طرابلس<sup>1</sup> بمناسبة عطلة المجلس المعتادة (... وكان الاعتداء الغشوم<sup>2</sup> فجاءت الأنباء بقصف مدينة طرابلس من قبل الأسطول الإيطالي (... ومع طلوع شمس اليوم التالي كانت طبول الجهاد تصمّ الأذان (... والباروني بين مواقف الخطابة ودائرة البريد إلى أن اجتمعت مواكب الفرسان من جميع

<sup>1</sup>الوطن طرابلس :ولاية بغرب المملكة الليبية المتحدة تمتد على طول ساحل البحر المتوسط تحدها تونس والجزائر غربا وقران جنوبا خضعت لحكم الأتراك ( 1912- 1553 ) ثم استولت عليها إيطاليا .احتلتها البريطانيون في الحرب العالمية الثانية .1943 كوتت مع برقة وقران دولة ملكية مستقلة في 24ديسمبر 1951، الموسوعة العربية الميسرة .مرجع سلف ذكره، الجزء 2، ص

1155.

<sup>2</sup>في 4أكتوبر 1911

المراكز فتحرّكوا بين الزغاريد والابتهالات مودّعين لمسافة أميال فمروا على يفرن لينضمّ إليها فرسانها حسب الاتفاق ثم مروا بغريان وأخيرا وصلوا سواني (ابن آدم) (فقصّد خيمة القائد – الوالي بالنيابة<sup>1</sup> نشأت باشا<sup>2</sup> كما حدّثنا مرار يقول "وصلنا السواني في الليل فدخلت على نشأت باشا وهو في خيمة عسكريّة صغيرة ليس بها غير حصير بال ومصباح غاز كسرت زجاجته وألصقت عليه ورقة صفراء لم تمنع عنه الهواء فتصاعد الدخان منه حتّى اسودّ أكثر الزجاج ونشأت باشا القائد العسكري يبكي، نعم يبكي فقلت له: سامحوني نحن رجال والواجب المقدّس يتطلّب منا السرعة. أجايني بصوت متألّم: منعوني من شرف العمل الواجب. <sup>3</sup>فقلت: ولكننا مصمّمون يا باشا على الدّفاع فلن نحیی العدو الهاجم على ترابنا وحرية ديننا هكذا. قال: منعوني، ومدّ إليّ البرقية المتضمنة للمنع، فقلت له سنجيب نحن الباب العالي معك، سنرجو، وفي نفس الوقت سنبدأ الدّفاع باسم الدين والوطن وأنتم معنا إن شاء الله، فجلست فحررت برقية وجعلت منها لكل المسؤولين نسخة فتهلّل وجه الباشا وقال: الآن أوافق على تنظيم الخط واشترك الضباط العثمانيين، ووالدي في لباس ليبي -الجرد – فجاءت أجوبة البرقيات بالموافقة على الجهاد وكان تجمّع حشود المجاهدين وكان الباروني على رأس مجاهدي منطقة الجبل ثم كانت موقعة الهاني<sup>1</sup> وهو من المستميتين فيها وفي غيرها على استقرار طرابلس العزيزة<sup>2</sup> تواصلت

<sup>1</sup> والي الجبل: إبراهيم باشا "عين المشير إبراهيم باشا واليا وقومنداناً لطرابلس الغرب بعد حسن حسني (...). تميّزت سياسته في طرابلس بالوضوح وقامت على أساس الوقوف ضد الخطر الإيطالي خاصة والأوروبي عامة والعمل للنهوض بالبلاد وإصلاح أحوالها "دام حكمه سنتين (1910-1911)، لبنان، ليبيا-دار الفتح للطباعة والنشر 1970 الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، مرجع سلف ذكره، ص 185.

<sup>2</sup> نشأت باشا: ولد في بنغازي، دخل المكتب الرشدي العسكري بطرابلس الغرب سنة 1863، سافر إلى الأستانة وبقي في سلك مكتب الطبجية إلى سنة "1895 عيّنت الدولة العثمانية نشأت بك واليا أثناء الحرب وكان رئيس أركان حرب الجيش "الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب (أواخر (1911-1911 لبنان-ليبيا-دار الفتح للطباعة والنشر 1970 الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي. مرجع سلف ذكره.

<sup>3</sup> منعوني من شرف العمل الواجب: يقصد حكومة حقي باشا.

<sup>1</sup> موقعة الهاني: معركة الهاني – شارع الشط هي واحدة من سلسلة المعارك التي جرت حول مدينة طرابلس الغرب واثّخت مركزها الرئيسي في كل المرّات منطقة سيدي علي الهاني، وتعتبر من أهم المعارك التي خاضها المجاهدون ضدّ القوات الإيطالية الغازية عقب عمليات النزول (...). وتشير الإحصاءات الإيطالية إلى أن أفدح الخسائر تعرضوا لها في هذه المعركة. خليفة محمد التليسي معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1921 بيروت: دار الثقافة 1972 – ص 391-390

<sup>2</sup> عزيمة الباروني، سليمان الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، صص 9-5

المقاومة في طرابلس الغرب إلى أن شاع خبر الصلح في شهر أكتوبر سنة 1912. فقد أمضت الوزارة الائتلافية الجديدة برئاسة كامل باشا<sup>3</sup> بعد سلسلة من المفاوضات الدبلوماسية اتفاقية تمهيدية مع إيطاليا في أوشي من مدينة "لوزان" بسويسرا يوم 15 أكتوبر 1912 التزم فيها الطرفان السريّة التامة إلى أن يكون الصلح رسميا .

نصت هذه الاتفاقية على أن يلتزم السلطان التركي بإصدار فرمان يمنح فيه طرابلس وبرقة استقلالهما بمقتضى الملحق الأول من الاتفاقية. وفي اليوم الموالي (16) أكتوبر (منح السلطان محمد الخامس الطرابلسيين والبرقاويين استقلالهم في المنشور التالي :

"لما كانت الحكومة (العثمانية) (غير قادرة على إسداء العون المثمر الذي تحتاجون إليه للدفاع عن بلادكم، ولما كانت من جهة أخرى -تفكر في سعادتك الحالية والمستقبلية وتريد استبعاد دوام الحرب التي تنزل الضرر بكم وبعائلاتكم وتجلب الأخطار على دولتنا. وبناء على أمنيتنا في نشر السلام والرخاء في بلادكم. واستنادا إلى ما لنا من حقوق السيادة بمنحكم الحكم الذاتي الكامل. وقد قررنا أن نعيّن لديكم خادما المخلص شمس الدين بك بلقب نائب سلطان ومهمته حماية المصالح العثمانية في بلادكم لمدة خمس سنوات وبعدها نحتفظ لأنفسنا بحق تجديد تعيينه أو تعيين خلف له، وفي نيّتنا استمرار تطبيق الشريعة الإسلامية دوما، ومن أجل هذه الغاية احتفظنا لأنفسنا بحق تعيين القاضي الذي سيعيّن بدوره نوابا عنه من بين العلماء المحليين. وسوف ندفع راتب هذا القاضي. أما رواتب نائب السلطان والموظفين الآخرين المكلفين بمهمة المحافظة على الشريعة فستكون من الإيرادات المحلية.<sup>1</sup>

أحق المنشور الأوّل بملحق ثان بعثه ملك إيطاليا عمانوئيل الثالث<sup>2</sup> في 18 أكتوبر 1912 إلى الطرابلسيين والبرقاويين سحب بمقتضاه قرار السلطان العثماني الذي يمكّن هذا القطر من التمتع بالحكم

<sup>3</sup> كامل باشا " :شغل مناصب عليا على عهد عبد الحميد ومنها الصدارة العظمى وكذلك في الفترة الانتقالية جويلية - 1908 أبريل 1909 . عاد إلى الصدارة العظمى عند طرد الاتحاديين من الحكم صيف 1912. وستدخل بريطانيا لمنع الاتحاديين من امتحانه عند

عودتهم إلى السلطة في جانفي " 1913 النفزاوي، التيارات. مرجع سلف ذكره، ص 120.

<sup>1</sup> محمود حسن صالح منسي : الحملة الإيطالية على ليبيا : دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية : القاهرة دار

الطباعة الحديثة، 1980ص 163.

<sup>2</sup> فكتور عمانوئيل الثالث ( 1869- 1947 )ابن الملك همبرت الأول خلفه ملكا لإيطاليا سنة 1900، تنازل عن حقوقه الملكية

لصالح همبرت الثاني (1944) وتنازل له نهائيا عن العرش 1946 مات في منفاه في مصر، الموسوعة العربية الميسرة، مرجع

سلف ذكره، ج 2. ص 1305.

الذاتي ونقل الإدارة الطرابلسية إلى الإيطاليين "استنادا إلى القانون 83 الصادر في 25 فبراير) فيفري<sup>3</sup> 1912 (القاضي بوضع طرابلس وبرقة تحت السيادة التامة والكاملة الإيطالية<sup>4</sup>

لقد أثار هذا الصلح غضب الطرابلسيين والبرقاويين على حدّ السواء وعبروا عن رفضهم هذه المعاهدة، فقد وجّه الباروني برقية إلى مجلس الأعيان العثماني يعارض فيها باسم المجاهدين عقد أي صلح لا يتضمن جلاء الإيطاليين عن البلاد كتب الباروني :

"نحن لا نرضى بصلح يخلّ بعثمانيتنا ويجعل للعدو أي مدخل في بلادنا ولو أبرمته الدولة ورضيه الخليفة ونحن إلى الآن نحارب باسم العثمانيين والطرابلسيين فإذا أبرم الصلح على ما لا يرضينا أمكننا مداومة الحرب باسم الطرابلسيين فقط.<sup>5</sup>"

كما وجّه أحمد الشريف السنوسي رسالة إلى الاتحادي التركي أنور باشا أكد فيها رفضه هذه الاتفاقية وحذر من نتائجها المتمثلة في كره المسلمين الدولة العثمانية التي فرّطت في هذا القطر للإيطاليين " نحن والصلح على طرفي نقيض ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو<sup>1</sup>"

لقد لاقّت هذه المعاهدة معارضة شديدة من الطرابلسيين والبرقاويين لأنّ الوزارة التركية الائتلافية القائلة باللامركزية عقدت هذا الصلح دون إشراك أهل طرابلس وبرقة المعنيين بالأمر. إضافة إلى أنّها ضحّت بهذا القطر المغربي حتى يحافظوا على منطقة الأناضول التي تعرّضت للهجوم الإيطالي. كتب بروشين " :إنّ عجز تركيا على حماية ممتلكاتها في شمال إفريقيا وفقدانها جزر دوديكانيس وخطر الهجوم الإيطالي على شواطئ آسيا الصغرى<sup>2</sup> التابعة لتركيا قد أرغم غالبية

<sup>3</sup>قانون المعاهدة السريّة التي أبرمتها الوزارة الاتحادية مع إيطاليا في 25 فيفري 1912، قيل سقوطها في أوت 1912 الذي يسلم إيطاليا طرابلس وبرقة .

<sup>4</sup>محمود حسن صالح منسي :الحملة الإيطالية على ليبيا، مرجع سلف ذكره ص. 163.

<sup>5</sup>- الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، مرجع سلف ذكره ، ص. 141.

<sup>1</sup>إيليتش بروشين :تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 حتى عام 1969تحقيق وتقديم عماد حاتم بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 2جانفي 2001، ص 143-144

<sup>2</sup>آسيا الصغرى :شبه جزيرة بأقصى غرب آسيا تسمّى أيضا بالأناضول بحدّها البحر الأسود شمالا والبحر المتوسط جنوبا وبحر إيجه غربا، استولى عليها الأتراك العثمانيون فيما بين القرنين 13 و 15 ودخلت بعد ذلك ضمن الإمبراطورية العثمانية، الموسوعة

العربية الميسرة مرجع سلف ذكره ، ج 1، ص. 163.

الشخصيات الحكومية على القول بأن من شأن عقد الصلح مع إيطاليا أن يدعم مراكز الحكومة حتى ولو كان ثمن ذلك خسارة طرابلس وبرقة<sup>3</sup>.

كما أن هذه المعاهدة التي نصّت على وجوب سحب الدولتين قواتهما المسلحة العثمانية من طرابلس الغرب وبرقة والإيطالية من الجزر التي احتلتها في بحرايجه تمنع السلطنة العثمانية من إرسال إمدادات مالية أو عسكرية إلى طرابلس قصد مساعدتها في صدّ الهجوم الإيطالي خاصة أن وجود الضباط والجنود العثمانيين ساعد على تنظيم المقاومة وحافظ على تماسك القبائل وتوحيدها ومنع توغل الإيطاليين في المنطقة. في حين أن قطع هذه الإمدادات يضعف التنظيم السياسي ويجعل المقاومة قبلية ومشتتة بين المناطق، وقد اختلفت القادة السياسيون بعد خروج الضباط العثمانيين من طرابلس وبرقة بمقتضى هذه المعاهدة حول طرق المقاومة وأساليب الجهاد.

بنود هذه المعاهدة، إذن، فصلت هذا القطر المغربي عن السلطنة وأبطلت الفكرة الاتحادية التي تجعل من قضية طرابلس الغرب قضية كلّ العثمانيين وتحمل السلطنة مسؤولية الدفاع عنها باعتبارها تابعة لها سياسيا ودينيا وسمحت بتدخل القوى الأجنبية في شؤون الدولة الداخلية والتحكّم في ولاياتها "إذ لم تكن بريطانيا وفرنسا وروسيا هي القوى الوحيدة التي تنافس من أجل اقتسام السلطنة بل انضاف إليها الدّب الإيطالي الضعيف الذي كان يطمح إلى اقتطاع جزء من جسد السلطنة لا يستعصي على أضراره القرشية الناشئة ويكون في الآن نفسه بعيدا عن منطقة تنافس القوى العظمى الأقوى منه"<sup>1</sup>

هذان السببان كانا وراء رفض الاتحادي الإسلامي سليمان الباروني الصلح الذي أبرمه الائتلافيون مع الطليان لأنه رأى فيه تخليا عن هذا القطر.

ورغم تخلي الحكومة العثمانية عن الطرابلسيين والبرقاويين واصل القادة السياسيون الجهاد ومقاومة الطليان، لكن هذه المقاومة لم تكن منظمة كما سبق أن ذكرنا بل كانت قبلية، فكل قبيلة كانت تحارب على جبهة معينة دون أن تتخرط في تنظيم سياسي يوحد صفوفها، ممّا أدى في نهاية المطاف إلى اختلاف وجهات النظر حول كيفية المقاومة والخلاف حول الزعامة والحكم فقد "عقد قواد الجيش ورؤساء

<sup>3</sup>بروشين، تاريخ ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 141.

<sup>1</sup>النفزاوي، التيارات الفكرية السياسية، مرجع سلف ذكره، ص 415.

المجاهدين وأعيان البلاد اجتماعا تبادلوا فيه الرأي فيما يجب عمله إزاء هذا التحول الجديد وكان في مقدمة المجتمعين نشأت بك وفتحي بك والشيخ سليمان الباروني ومختار كعبار<sup>2</sup> والهادي كعبار<sup>3</sup> وأحمد المريّض<sup>1</sup> وفرحات الزاوي<sup>2</sup> واتفقوا مبدئياً على مطالبة الطليان بالاعتراف بالاستقلال الذي منحهم إياه جلالة السلطان والدخول معهم في مفاوضات لتكميل ما عساه أن يكون في معاهدة "أوشي" من نقص وانتخبت هيئة المفاوضات من الهادي كعبار وعلي بن تنتوش وفرحات الزاوي غير أن نشأت بك كان يميل إلى جمعية الاتحاد ويريد مواصلة الحرب باسمها<sup>3</sup>

أسفر مؤتمر العزيزية عن انشقاق القادة الأعضاء إلى كتلتين الأولى برئاسة محمد فرحات تميل إلى السلم والتقدم إلى الطليان بمطلب تنفيذ المعاهدة<sup>4</sup> والمفاوضة في تكميل ما عساه أن يكون فيها من نقص . أصحاب هذه الفكرة في الحقيقة على دراية بالوضع المالي والعسكري المحدود الذي لا يكفي لمقاومة قوة عسكرية كإيطاليا خاصة بعد أن سحب العثمانيون ما لديهم من عتاد وأن الإعانة التي كانت ترسل إليهم من جارتها تونس ومصر المحتلتين مهددة بالانقطاع في أي لحظة ومن ثمة فإن المفاوضات هي سبيلهم إلى الاستقلال .

<sup>2</sup>مختار كعبار ( 1947 - 1876 ) ولد في غريان وتعلم فيها ثم سافر إلى طرابلس فواصل بها تعليمه، عيّن سكرتيراً خاصاً للمشير رجب باشا ثم سكرتيراً في مجلس شورى الدولة في الأستانة شارك في الحرب الليبية وأسندت إليه رئاسة المالية ثم عيّن عضواً في هيئة الإصلاح المركزية، توفي في القاهرة، الزاوي ، أعلام ليبيا ( 1923 – 1876 ) صص 334-335

<sup>3</sup>الهادي كعبار : من أعيان غريان وسادتها أصله من الكولوغلية من شراكسة الزاوية ولد سنة 1876 تعلم في المدارس العثمانية وتقلب في وظائف الحكومة، شارك في الحرب الطرابلسية وعيّن قائمقام على غريان واختير عضواً في صلح بنيادم سنة 1919 حكم عليه بالإعدام في جانفي 1923، الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 357.

<sup>1</sup>أحمد المريّض ( 1873 ) :تقريباً ( 1938 - أحمد بن علي المريّض رئيس ترهونة، هو من قبيلة العواسي في ترهونة تولى رئاسة مؤتمر غريان سنة 1920 ورئاسة هيئة الإصلاح المركزية وفي هذه السنة هاجر إلى مصر عندما تغلب الطليان على طرابلس سنة 1924 وأقام بمدينة الفيوم وبها توفي سنة 1938 عن سن تناهز الخامسة والستين، الزاوي، أعلام ليبيا ، مرجع سلف ذكره ، ص 79

<sup>2</sup>فرحات الزاوي ( 1925 - ) من كولوغلية الزاوية، تعلم الفقه عن مفتي طرابلس محمد كامل بن مصطفى ثم ذهب إلى فرنسا ودرس الحقوق، عينته الحكومة التركية قائمقاماً بالشاطى في فزان وانتخب نائباً في مجلس المبعوثان العثماني، وكان في مقدمة من نادوا بالجهاد في حرب ليبيا، انتخب عضواً في مؤتمر غريان ممثلاً للزاوية، قتل في زلاف في مارس 1925 في سنّ تناهز التسعين .

الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 251.

<sup>3</sup>الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص 161

<sup>4</sup>معاهدة أوشي



أما الكتلة الثانية<sup>5</sup> فقد ترأسها سليمان الباروني وهي تميل إلى الحرب لأنها ترى أنّ الاستقلال لا يتحقق إلا بالمقاومة المسلحة، وعلى ما يبدو فإنّ هذا الشقّ لم يفقد الأمل في دعم العثمانيين باعتبار أنّ طرابلس ولاية عثمانية وهو ما يجعل قضيتها تهمّ كلّ الشعب العثماني لذلك تبني الاتحاديون الذين تنحوا عن السلطة آنذاك قضية إخوانهم الطرابلسيين و"راحوا يوجّجون نيران التعصّب الديني في كلّ مكان ويدعون بصفة واسعة إلى الجمعية الإسلامية تلك الإيديولوجيا الدينية السياسية التي ارتفعت لتصبح الإيديولوجيا الرسمية للإمبراطورية العثمانية"<sup>1</sup>

لذلك ساند الباروني نشأت باشا في مواصلة الحرب إلى أن تعترف إيطاليا باستقلال طرابلس الذي منحه إياها السلطان العثماني . لم يتوصّل القادة إذن في هذا الإجتماع إلى رأي موحد بسبب تباين وجهات النظر ممّا أدى إلى فتور علاقة الباروني الذي أصرّ مثل الاتحادي نشأت باشا على مواصلة الحرب باسم العثمانيين بالقادة الأعضاء .

توجّه الباروني بعد مؤتمر العزيزية إلى الجبل الغربي وهناك جمع حوله بضعة آلاف من المقاتلين وأسّس حكومة في يفرن، فعين متصرفين وقائمقامين ومديرين وقضاة، ونظّم البريد في جميع الجهات وأنشأ مراكز التلغراف والهاتف إلى حدود تونس . كما أسّس خطة حرب مواجهة للقوات الإيطالية تبتدئ من "ورقلة" إلى "زواردة" من بلاد الساحل ثم بعث برقيات<sup>2</sup> إلى الدول الأوروبية (إيطاليا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا والنمسا) يطالبها فيها بالاعتراف باستقلال منطقة يفرن وبه رئيسا لها

"أفتخر بإشعاركم بأني تولّيت رئاسة الحكومة المستقلة التي شكلناها باتفاق الآراء وعليه يرجى عدّ حكومتنا في مصافّ الدول المستقلة المعترف بها ومراجعتي بوصفي رئيسا لها في كل ما يتعلق بالأمور المتعلقة بالمناطق الداخلية في حدودها وهي: أرفلة والمناطق الجنوبية من القطر الطرابلسي (إلى فزان وغات) وجميع المناطق

<sup>5</sup>تضمّ الكتلة الثانية إضافة إلى الباروني، الشيخ محمد سوف المحمودي (1857 – 1930)

<sup>1</sup>بروشين، تاريخ ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 120

<sup>2</sup>البرقيات كتبت بتاريخ 28 ديسمبر 1912

الجبلية وفي المناطق الساحلية ابتداء من العجيلات إلى الحدود التونسية<sup>3</sup>

كما شرع الباروني في مفاوضة الطليان بإرساله وفدا إلى أوروبا يتباحث في إمكانية نقل الإدارة التي تحت السيادة الإيطالية إلى الطرابلسيين وقد قوبل هذا المطلب بالموافقة إلا أن الإيطاليين أجلوا تنفيذه خاصة بعد اطلاعهم على ضعف المقاومة وتحققهم من قدرتهم على كسب الحرب، إضافة إلى أنهم كثفوا الهجمات العسكرية فقد جهز الطليان جيشا بقيادة الجنرال لكويوا اتخذ له مركزا في "العزيرية" ومركزا في "غريان" وفي صبيحة يوم 24 مارس زحف هذا الجيش على المجاهدين، وامتدت المعركة طول النهار.

"وكان النصر لنا في الجناح الأيسر ولهم في الجناح الأيمن فتقدموا حتى استولوا على الجبال المطلة على مركزنا العمومي في الرابطة وفصل ظلام الليل بيننا وبينهم ولم يبق عندنا من الخرطوش ما يكفي لمحاربة ساعة أخرى وكذلك لم يبق لنا من مؤونة الجيش إلا ما يكفي نحو 4 أيام في مركز يفرن وليس لنا أمل في الحصول على مؤونة أخرى أو خرطوش آخر أو دراهم أخرى من الخارج فاضطررنا إلى التقهقر في تلك الليلة إلى يفرن بعد تعب كبير في نقل المجروحين لعدم وجود أجرة النقل. فرحفت علينا العساكر الإيطالية في اليوم الثاني بجميع قوتها، لعلمها بأنه لم يبق بأيدينا شيء من مواد الدفاع وتفرق قسم من جيشنا"<sup>1</sup>

واستمر الطليان في زحفهم فاحتلوا "غدامس" في أبريل سنة 1913 و"مزدة" في جويلية من هذه السنة.

كانت معركة جندوبة هذه، آخر معركة قام بها الباروني بعد حرب توصلت خمسة أشهر تلت إعلان الحرب قبل أن يجتاز مع الشيخ سوف والبوصيري الحدود التونسية في أبريل 1913.

أثار ترك الباروني الحرب إشاعات تتهمه بالخيانة وأخذ الرشوة من الطليان مقابل انسحابه. في حين أن السبب كما ذكره الباروني نفسه هو نفاذ الأسلحة وتخلي الدولة العثمانية عنه واضطراره إلى إنفاق كل ما لديه من مال قصد تمويل الحرب

<sup>3</sup> ملف الباروني رقم 9، وثيقة عدد 78، شعبة الوثائق والمخطوطات، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

<sup>1</sup> سليمان الباروني: صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، صص 465-466

"يظن الكثير من الناس أنّ تركيا أعانتنا بالدراهم وأنّ في الهند والشام ومصر وتونس والجزائر جمعيات وأغنياء يمدوننا بأموال طائلة (...). إنني صرفت من مالي الخاص مقدارا لا يعلمه أحد غيري ولولا ضرورة البيان لما ذكرت هذا لأنني صرفته في سبيل الدين والوطن فلا مئة لي به على أحد (...). ولا أظنّ أنّه يوجد شخص في الشرق أو الغرب يحرك لسانه مدّعيًا أنّه أعاننا بدرهم واحد أو تدّعي تركيا أنّها أعانتنا بدرهم واحد"<sup>1</sup>.

وقد ردّ الباروني على هذه الاتهامات في مجلة التايمس وبرّر سفره إلى تونس بطلب رخصة لدخول أراضيها حتى لا يقع في أسر الطليان فكتب "توجّهت إلى تونس مظهرًا أنّي سأتذكر مع الكونت (سفورزا) وما ذهبت في الحقيقة إلا للمذاكرة مع الحكومة التونسية في إعطاء الرخصة لدخولنا إلى أراضيها فقبلت ذلك على شرط أن نسلم لها سلاحنا"<sup>2</sup>.

أمام اعتراف الباروني بظروف الحرب والسبب الذي دفعه إلى الهجرة إلى تونس، لا نجد على الأقل في تقديرنا، ما يدين الباروني أو يؤكد تواطؤه مع الطليان وقبوله رشوة منهم مقابل انسحابه من الحرب خاصة أنّهم فشلوا سابقًا في استمالته أو إغرائه بالمال في حين أنّهم تمكنوا من استمالة بعض الأعيان الذين كان لهم دور في فشل الباروني في الحرب فقد كان عبد النبي بالخير<sup>3</sup> مثلًا من الذين تجمعهم بالطليان روابط قوية رغم تظاهره بمساندة حركة الجهاد التي يترأسها الباروني "فكان يكاتب الطليان ويستجلب ودهم ويعتذر لهم عن عدم حضوره لديهم (...). ويكاتب الباروني في يفرن باعتبار أنّه من أنصاره. ولم يخف على الباروني هذا التلاعب من عبد النبي ولكنّه كان يصانعه طمعا في اتقاء شرّه"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الباروني، صفحات خالدة، صص 480-481

<sup>2</sup> الباروني، صفحات خالدة، ص 466

<sup>3</sup> عبد النبي بالخير (1929) من أعيان أرفلة، انتخب عضوا في الجمهورية الطرابلسية سنة 1918، هاجر إلى الجزائر بعد احتلال أرفلة سنة 1929 ومات عطشا أثناء هجرته الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 198 وأنظر عنه المرزوقي، عبد

النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، تونس، الدار العربية للكتاب، 1978.

<sup>1</sup> الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص 167

إضافة إلى تعيينه مستشارا للطلّيان في طرابلس يقول الباروني مخاطبا مبعوث مجلة التايمس الإفريقية "لو سأل مخابرو تلك الجرائد<sup>2</sup> ومنهم مخابرو جريدة التايمس الأنكليزية بعض رؤساء الحكومة الإيطالية لأخبروهم بالحقيقة لأنهم بدون شك سمعوا أو اطلعوا على الدفاتر المقيد فيها أسماء من قبلوا منهم الرّشوة ويعرفون كلّ من طلب منهم المال ومن مدّ يده الحقيرة مطأطأ رأسه لتناول الرّشوة ثمنا عن شرفه أما أنا فلا شك في أنهم لا يجدون إسمي إلا في صدور دفاتر الوقائع المشهورة<sup>3</sup>.

بعد هذا التصريح يتبيّن لنا كذب الادّعاءات التي اتّهمت الباروني بالخيانة خاصة إذا أكدنا ما قاله بما كتبه الكونت سفورزا معلقا على ما روجّ في الجرائد في رسالة بعث بها إلى الباروني في 12 جويلية 1913 "أنتم تحتقرون المال كما كان أسلافنا يحتقرونه ولم تطلبوا شيئا لشخصكم ولذلك لكم كلّ اعتباري وصادقتي، وكانت الجرائد قد طعنت فيكم واتهمتكم بأمور لا أصل لها. إني أعلم يقينا أنه قليل ونادر من يستطيع أن يقول مثلكم: ما أردت شيئا وما طلبت شيئا سوى منافع الوطن<sup>4</sup>."

بشهادة الكونت الإيطالي تتأكد لنا إذن براءة الباروني من تهمة الرّشوة وخيانة طرابلس خاصة أنه كان من الراضين للاستعمار والمفاوضات مع الطليان ومن الداعين إلى مواصلة الحرب لكسب الاستقلال . بقي الباروني في تونس من شهر أفريل 1912 إلى جويلية 1913 وسافر منها إلى برلين حيث مكث أربعة أشهر وفي بداية شهر نوفمبر من نفسها السنة استقبل الباروني في الآستانة وعين عضوا في مجلس الأعيان العثماني ويبدو أنّ المنصب الجديد كان تقديرا للجهود التي بذلها في الحرب الطرابلسية والتضحيات التي قدّمها .  
سليمان الباروني عضو في مجلس الأعيان العثماني

<sup>2</sup>الجرائد التي روجّت خبر رشوة الباروني .

<sup>3</sup>الباروني ، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره ، صص 471-470

<sup>4</sup>الباروني ، صفحات خالدة، مصدر سلف ذكره، ص 480

صادف وجود الباروني في الأستانة بداية الحرب الكبرى التي اندلعت في أوت 1914 وقد انضمت إيطاليا إلى الحلفاء (بريطانيا، فرنسا، روسيا) وانضمت تركيا إلى ألمانيا سنة 1915. واهتمت القيادة الألمانية العثمانية الاتحادية أثناء هذه الحرب بمنطقة طرابلس الغرب ذلك أنه بعد إعلان الحكومة العثمانية الاتحادية الحرب على الطليان أصبح كل ما بينهما من المعاهدات والاتفاقات ملغى فإذا أضيف إلى هذا قيام ثورة فيها على الطليان وحاجة الطرابلسيين إلى المعونة تبين أن اتصال العثمانيين بطرابلس جد ميسر ومفيد ومن الممكن تقوية الحركة العدائية القائمة فيها ضد الطليان أو الأنقليز بإمدادها بما يزيد قوة واشتعالا أي بالمال والسلاح سواء في طرابلس أو في برقة.

لهذه الأغراض السياسية جدّدت السلطنة اتصالها بحركة الجهاد في طرابلس بعد أن تنازلت عنها في معاهدة أو شي سنة 1912<sup>1</sup> وقد تحول ميناء مصراتة الصغير إلى مخبأ مأمون للغوصات الألمانية فكانت تخترق الحصار الذي ضربه عليها الأنقليز والإيطاليون وتمدّ طرابلس بالتموينات والأموال والأسلحة .

لم يستقرّ الباروني نهائياً في الأستانة وإنما ألحق ببقية القادة العثمانيين الموجودين في برقة في فيفري 1915 ليساند حركة الجهاد على الحدود المصرية الغربية التي استهدفت إزعاج الجيوش الأنقليزية حتى تشغل عن المشاركة في الضغط على قناة السويس وقد عامله

<sup>1</sup> الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره ، ص 258

أحمد السنوسي معاملة سيئة فأصبح شبه مسجون في خيمته. وذكر عبد الرحمان عزّام في مذكراته أن السنوسي "اعتقله لمدة سنة في ناحية السلّوم وقام بإبعاده إليها."<sup>2</sup>

ويؤكّد هذا الأمر الرسالة التي بعث بها إليه الباروني في 24 مارس "1915 سيدي مضي الآن ما يقرب من الشهرين وأنا معتقل وما كان يخطر ببالي أن يشتدّ غضبك عليّ إلى هذه الدرجة وأنت معروف بالحلم وقد جئت لخدمتك وخدمة الإسلام بنية أصفى من الزلال ومرسل إليك من عند صديق حميم"<sup>1</sup>

ونحن لا نعلم سبب هذا التنافر بين هذين القائدين السياسيين العسكريين هل هو اختلاف في وجهات النظر حول كيفية الجهاد في تلك الحقبة الزمنية أم نفور من الباروني باعتباره مبعوثا للدولة العثمانية.

وأيا كان الأمر فقد عاد الباروني في شهر ديسمبر سنة 1915 إلى الأستانة بعد أن توسّط بينهما محمد إدريس السنوسي<sup>2</sup> كتب الباروني بلسان محمد إدريس السنوسي "إنكم من مدّة أمرتموني باستعطاف خاطر السيّد في خصوصكم (... ) وفي هذا النهار رأيت مناسبة لذلك وعرضت على السيّد وقبل وأطلق سراحكم"<sup>3</sup> لم يمكث الباروني في الأستانة طويلا إذ عاد من جديد إلى طرابلس الغرب حاملا معه فرمانا سلطانيا يعينه حاكما على طرابلس وقائدا لقوات المجاهدين بعد أن وجدت حكومة الأستانة في المعلومات التي أدلى بها يحي الباروني ما أقتعها بصلاحيّة طرابلس لتكون مركزا للسياسة التركية في شمال إفريقيا وأنّ الثورة في وضع يستأهل العناية وبذل الجهود. لكن يبدو أنّ السبب في تحويل المقاومة من برقة إلى طرابلس الغرب أعمق من هذا خاصة بعد أن قامت الدولة العثمانية بنقل ضباطها وبتحويل وجهة الغواصات من برقة إلى مصراتة قصد تمويل الحرب في طرابلس .

<sup>2</sup> عارف جميل :صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمان عزّام، القاهرة، المكتب المصري

الحديث، 1977، ج 1، ص 152.

<sup>1</sup> الباروني ، صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره، ص 504.

<sup>2</sup> محمد إدريس السنوسي ( -1890 ) :الجغوب، حفيد محمد علي السنوسي الكبير، تلقى تعليما دينيا، تولى الزعامة السنوسية إثر اعتداء إيطاليا على برقة وطرابلس ثم اعترفت به أميرا سنة 1920 ثم ملكا على ليبيا سنة 1950 وقد أطاح بعرشه انقلاب 1969 الذي قاده معمر القذافي ( 1942 )، الموسوعة العربية الموسعة، مرجع سلف ذكره ج 1، ص 1024.

<sup>3</sup> الباروني ، صفحات خالدة ، مصدر سلف ذكره ن ص 512

فقد توترت العلاقة بين السنوسيين من أتباع محمد إدريس السنوسي والدولة العثمانية بعد فشل هجوم العثمانيين على مصر، إذ رأى السيد إدريس السنوسي أن المصلحة تقتضي قطع صلة برقة بالعثمانيين الاتحاديين وتأسيس إمارة مستقلة وعلى هذا الأساس بدأ التفكير في عقد معاهدة بينه وبين الأنقليز والطلين حتى يضمن هدوء برقة ثم استقلاله عن الدولة العثمانية الاتحادية. وقد أرسل نوري باشا تقريراً سرّياً إلى وزارة الحربية العثمانية حملته إلى الآستانة إحدى الغواصات الألمانية أعلمها فيها كان يراوده من شكوك حول موقف محمد إدريس السنوسي ومخاوفه من أن يعقد صلحاً بينه وبين الأنقليز والطلين . ويبدو أن تقوية منطقة طرابلس عوضاً عن المناطق الشرقية التابعة للنفوذ الإدريسي السنوسي كان من الإستراتيجيات التي اتبعتها الدولة العثمانية ولهذا أرسلت الباروني الخصم اللدود محمد إدريس للسنوسي إلى طرابلس الغرب، كتب عزّام

" كان السيد إدريس السنوسي يعتبر الشيخ سليمان الباروني خصماً شخصياً له (...) وفي اعتقادي أنّ السيد إدريس السنوسي قد أخذ ينظر إلى الدولة العثمانية بالريبة والشك فقد كان آخر ما يتصوره أن يكون رسولها إلى منطقة غرب طرابلس هو ألدّ أعدائه الشيخ سليمان الباروني نفسه.<sup>1</sup>"

أنيطت بالباروني باشا مهمتان عند نزوله ساحل مصراتة : الأولى : تسوية الخلافات القائمة بين زعماء طرابلس والسنوسيين من أتباع أحمد السنوسي كتب عزّام "حدث أن اختلف الزعماء فيما بينهم وكان أن امتدت يد كلّ منهم إلى مناطق نفوذ غيره وفي تلك الأيام كان للسيد أحمد الشريف السنوسي قوات في طرابلس يقودها شقيقه صفي الدين السنوسي فادّعى هو أيضاً الملك لنفسه وكان الصدام بينه وبين عشائر طرهونة التي كانت تميل إلى السنوسيين. وفي منطقة الحدود التونسية اشتركت قبائل الزنتان والرحبان والربانية والمحاميد في النزاع"<sup>2</sup>

لم يتمكّن الباروني من إنهاء هذه الصراعات لأسباب عديدة منها مقاومة محمد إدريس السنوسي كلّ نزعة تعزّزا لرابطة عن الدولة العثمانية

<sup>1</sup> اجميل عارف ، مذكرات عبد الرحمان عزّام، مرجع سلف ذكره ، ص 152-153

<sup>2</sup> اجميل عارف ، مذكرات عبد الرحمان عزّام ، مرجع سلف ذكره ، ص 151

الاتحادية والمقاومة الطرابلسية، فعندما نزل الباروني أمام شواطئ مصراته كان يحمل معه نقودا وأسلحة وذخائر ومدفعين من النوع الذي يستخدم في الحرب ضد المصفحات وقد انتهز السويحلي الفرصة ليرفع الراية العثمانية على البلاد التي كانت واقعة تحت نفوذه ولما عرف بما اتجهت إليه نية السيد إدريس السنوسي لاحتلال سرت قام بحشد أتباعه لمحاربة السنوسيين وفي نفس الوقت تسلّم من الباروني باشا ما حمله معه من مدافع وذخائر وزود بها جيشه ولم يتمالك إدريس السنوسي نفسه عندما عرف هذه الأخبار في "أجدابية" فأخذ يحتج لدى نوري باشا على تدخل الدولة العثمانية وانضمامها إلى خصوم السنوسيين<sup>1</sup> وقد وجّه الباروني رسالة إلى إدريس السنوسي في 25 أكتوبر 1916 يدعو فيه إلى وقف الاشتباكات مع الطرابلسيين وضرورة تضافر الجهود لمقاومة الاستعمار الإيطالي، وقد نجح الباروني في مساعيه بعد أن استعان بعبد الرحمان عزام. حيث أكد السنوسي في ردّه (4 نوفمبر 1916) "أنه سيقف بكل ما لديه إلى جانب الاتحاديين الطرابلسيين والبرقاويين وتحرير جميع المسلمين من المستعبدين"<sup>2</sup> أدت المراسلات بين الشخصيتين إلى سيادة الهدوء بين طرابلس وبرقة لكن حالة الهدوء هذه لم تدم طويلا فقد نشب من جديد نزاع على الحدود بين المنطقتين فبطلب من حليفته (أنقلترا وإيطاليا) "أقام إدريس السنوسي فوق الحدود الغربية لبرقة في منطقة "سرت" ما يسمى بخط النار الذي كان ينطلق منه البرقاويون في غارات على الطرابلسيين وقدّمت إيطاليا إلى إدريس السنوسي ألفي بندقية وبطارية جبل بالإضافة إلى مركب صغير بحري"<sup>3</sup>

وقد قدّم أدريس السنوسي بتصرّفه هذا خدمة لإيطاليا لأنّ انشغال الطرابلسيين بالحرب الأهلية يضعف المقاومة الطرابلسية التي تواجه جبهتين: الحركة السنوسية والاستعمار الإيطالي .

أمّا الأمر الثاني فيتمثل في ضمّ طرابلس إلى غيرها من الولايات العثمانية بعد أن تخلّت عنها بموجب معاهدة "أوشي" وهو ما يعني أنّ قضية طرابلس أصبحت من مهام الدولة العثمانية حسب القرار

<sup>1</sup> جميل عارف ، مذكرات عبد الرحمان عزام، مرجع سلف ذكره ، ص 152.

<sup>2</sup> إيليتش بروشين :تاريخ ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 79

<sup>3</sup> إيليتش بروشين :تاريخ ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 183



السلطاني الصادر في 17 أكتوبر 1916 كتب الباروني في رسالة وجهها إلى الشيخ سوف " هكذا وقد تفضل أمير المؤمنين أيده الله فأمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب بلادنا بالولايات العثمانية واقتضت إرادته السنية إرسالي لأجل إجراء الترتيبات اللازمة ملكية وعسكرية وتعهد لي أن يوالي إلى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن.<sup>1</sup>"

تكمّن أهمية هذا الشاهد في تثبيت الباروني بالانتماء إلى الدولة العثمانية الاتحادية وسعيه إلى تشكيل حكومة عربية إسلامية خاضعة لأسطنبول رغم تخلي الدولة العثمانية عن طرابلس أثناء الوزارة الائتلافية وهذا ما يؤكد تمسك هذه الشخصية الاباضية المغربية بالرابطة العثمانية الإسلامية. ولعلّ توجهه هذا جعل الوزارة الاتحادية تختاره ليمثلها في طرابلس الغرب.

وقد تواصلت المقاومة في طرابلس الغرب بدعم من الألمان إلى أن ورد خبر هزيمة العثمانيين الاتحاديين في الحرب العالمية الأولى على مصراة مع أمر بسحب الضباط العثمانيين من المنطقة تنفيذًا لشروط معاهدة مودروس.<sup>2</sup>

هذا الحدث جعل فكرة تشكيل حكومة طرابلسية أمراً ملحاً وقد عمل عبد الرحمان عزّام على إلغاء سفر الأمير عثمان الذي تنصّ المعاهدة على مغادرته طرابلس فألغى سفره إلى الآستانة بالاتفاق سرّاً مع ربّان غواصة ألمانية، كتب الزاوي "في يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة 1337 الموافق 16 من نوفمبر سنة 1918 اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاتة وحضر الأمير عثمان فؤاد وأخبر المؤتمرين أنّ الأستاذ عبد الرحمان عزّام بك سيخطب فيهم بالنيابة (...). وخطب الأستاذ عزّام خطبة طويلة كان المقام الأول فيها الحثّ على الدفاع عن الوطن والموت في سبيله وعلى المثابرة في العمل للوصول إلى الاستقلال وطرد العدو ثم طرح عليهم فكرة إنشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة وتتولى أمور البلاد وتنظر في شؤون الوطن،

<sup>1</sup>الزاوي: جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص 297

<sup>2</sup>هدنة مودروس " (1918) ميثاق عقد في ميناء مودروس بجزيرة لمنوس في بحر إيجه بين الدولة العثمانية وبريطانيا العظمى ( ممثلة الحلفاء ) في 30 أكتوبر 1918 إثر هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى تخلى بموجبه العثمانيون عن الحجاز واليمن وسوريا والعراق وطرابلس الغرب واحتل الحلفاء مضيق الدردنيل والبوسفور "منبر البعلبكي، موسوعة المورد العربية، بيروت

دار العلم للملايين، 1990، ج 2، ص 1166.

فلقيت الفكرة استحسانا من الجميع وإجماعا بدون خلاف وسميت " الجمهورية الطرابلسية".<sup>1</sup>

بعد إعلان الجمهورية الطرابلسية وقعت عملية اختيار الأعضاء وقد تمّ اختيار رمضان السويحلي وسليمان الباروني وأحمد المريّض وعبد النبي بالخير ليتكوّن منهم المجلس الجمهوري. كما انتخب الأعضاء الثلاثون وتقرّر في تلك الاجتماعات اختيار عبد القادر باشا ليكون قائدا للجيش ومختار كعبار مدير للمالية وأحمد أبو شادي قائدا للشرطة وتمّ تعيين حكّام الأقاليم المختلفة .

رأى أعضاء الجمهورية أنّ الوضع الحربي يقتضي أن يقيم كل عضو من أعضاء الجمهورية في منطقة نفوذه يصرف أعمالها. فأقام الباروني في "العزيرية" و"الزاوية" ورمضان السويحلي في "مسلاتة" وأحمد المريّض في ترهونة وعبد النبي بالخير في أرفلة وأسندت قيادة المجاهدين العامة إلى عبد القادر الغنّاي. وقد بعث سليمان الباروني إلى الدّول الأوروبية والضباط والطرابلسيين بلاغات يعلمهم فيها بإعلان الجمهورية ويطلب من هذه الدول الاعتراف باستقلال طرابلس الغرب وتأييده.<sup>2</sup>

بعد استسلام العثمانيين الاتحاديين في الحرب الكبرى وعقد هدنة "مودروس" التي اشترطت في أحد بنودها سحب السلطنة العثمانية جنودها وضباطها من طرابلس ومن جميع البلاد العربية، جاء الأمر إلى الأمير فؤاد عثمان ومن معه بأن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز إيطالي وهذا القرار يشمل سليمان الباروني باعتباره واليا وكومنداناً على طرابلس الغرب بتفويض من الآستانة وعضوا في مجلس الشيوخ العثماني، لكنّه لم يستجب لهذه الدعوة وبقي في وطنه خاصة بعد أن أصبح أحد أعضاء الحكومة الأربعة حتى يتمكن من رعاية مصالحه وتدبير شؤونه. ولكن إلى حين إذ سيضطرّ من جديد إلى الهجرة. فما هي الظروف التي ستدفع بالباروني إلى مغادرة طرابلس بعدما عزم على البقاء فيها إلى دار الخلافة التي شهدت تغييرات جسيمة بعد هزيمة الدولة العثمانية الاتحاديّة في الحرب الكبرى؟

<sup>1</sup> الزاوي: جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره صص 322-323

<sup>2</sup> بعث الباروني ستة بلاغات، الأولى إلى الطرابلسيين والثاني إلى الضباط الوطنيين والثالث إلى إيطاليا والرابع إلى ولسن والخامس إلى أنقنطرة والسادس إلى فرنسا، لمزيد التوسع أنظر الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، صص 326-331.

### القسم الثالث

سليمان الباروني في المهجر

( 1918 – 1940 )

### الفصل الأول

سليمان الباروني زمن الإعمار الأتاتوركى

( 1918 – 1923 )

في بداية سنة 1919 بعثت الحكومة العثمانية الجديدة أكرم بك ابن رجب باشا مندوبا عنها في طرابلس الغرب ليبلغ السكان رغبة الدولة في سحب جنودها تنفيذا لشروط هدنة مودروس. وقد أرسل الطليان معه كتابين: الأول يتضمن العفو العام عمّا حصل من "جرائم سياسية". أمّا الثاني فيتضمّن الإذن للباروني بمغادرة طرابلس والسفر إلى أية دولة يريد الاستقرار بها

"وقد وكننا اليوزباشي أكرم رجب بك بأن يصرّح أن حكومة المستعمرة نظرا إلى كون حضرة سليمان الباروني قد عيّن قبل نشوب الحرب الأوروبية عضوا في مجلس أعيان الدولة العثمانية لا تصير له صعوبة في أن حضرة المؤمى إليه سيركب على سفينة للتوجه إلى الأستانة العلمية والإقامة بتركيا مع كونه من أبناء القطر الطرابلسي<sup>1</sup>. لكن الباروني لم يغادر طرابلس إثر هذا القرار بل بقي إلى جانب المجاهدين وشارك في المفاوضات التي أجريت مع الطليان في شهر مارس فقد اجتمع الممثلون الطرابلسون والممثلون الإيطاليون في خلّة الزيتونة<sup>2</sup> في مارس سنة 1919 للمفاوضة فيما يكون أساسا لشروط الصلح.

وقد استمرت هذه المفاوضات نحو شهر لم يتوصل فيها الطرفان إلى اتفاق حول أسس الصلح وفي شهر أفريل أعلن وقف الحرب ووافق الطليان على منح الطرابلسيين دستورا يخول لهم مباشرة حقوقهم المدنية والسياسية وإلى أن يتمّ تطبيق هذا الاتفاق ويصير العمل بمقتضاه طالب الطرابلسيون بضرورة تمكين الزعماء من امتيازات وتمتعهم بجميع حقوقهم.

هذا الصلح وإن أثار حفيظة غلاة الاستعماريين الإيطاليين الذين اعتبروه خطأ سياسيا ارتكبه أنصار فكرة الصلح<sup>3</sup> لأنه يقدّم حقوقا للطرابلسيين تتجاوز ما يستحقون فقد مثل خطوة هامة بالنسبة إلى "الصلّحيين" مكنتهم من وقف الحرب وإحلال السلام في البلاد. وقد أقيم لذلك احتفال كبير في طرابلس الغرب "فكان يوما تاريخيا فرح به الكلّ وابتهجوا

<sup>1</sup> الزاوي: جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص. 343.

<sup>2</sup> خلّة الزيتونة: بني غشير، وقد كانت المفاوضات تجري في خيمة الباروني

<sup>3</sup> رجال السياسة المدنية الإيطالية الراضين مواصلة الحرب.

وأقاموا معالم الزينة اعتقاداً منهم أنّ الحرب قد انتهت وأنّ راية السلام ستترفرف على البلاد والعباد.<sup>1</sup>

بعد أن اتفق الطرابلسيون والطلّيان على مواد القانون الأساسي أرسل الطّليان نسخة إلى روما ليوقعها الملك وكانوا قد أحدثوا فيها تغييرات تخدم مصالحهم وتثبتت تمرّكهم في طرابلس فلما قورنت هذه النسخة بالصورة التي بقيت عند الطرابلسيين تبين الاختلاف في عدّة بنود كجعل البرلمان استشارياً بعد أن كان قرارياً وإتباع الجند الوطني الطرابلسي بالقيادة الإيطالية وإباحة التجنيس بعد منعه وإدماج عضوين إيطاليين في حكومة القطر الطرابلسي بعد أن كانت حكراً على الطرابلسيين .

وقد استئنفت المفاوضات من جديد في ماي 1919 لإتمام ما تضمنته القاعدة المتقدمة وتفصيل شروط الصلح خاصة بعد تشدّد السلطة العسكرية الإيطالية التي رفضت موقف السلطة المدنية الإيطالية واستأنفت الحرب لعدم اقتناعها ببنود الصلح وتصلّب موقف الطرابلسيين .

انتهى المتفاوضون إلى الاتفاق على الصلح ووضع القانون الأساسي في 1 جوان 1919 ووقع عليه سليمان الباروني وأحمد المريّض ورمضان السويحلي وعبد النبي بالخير وقد سمّي "بصلح بنيادم" وهذا هو نصّه :

القانون الأساسي للقطر الطرابلسي الصادر بتاريخ 1 يونيو 1919 نحن ويتوريد عمانويل الثالث ملك إيطاليا وبفضل الله ومعونة الأمة . بعد الاطلاع على الفصل الخامس من قانون المملكة الأساسي، وبعد الاطلاع على الأمر الملوكي المؤرخ في 5 نوفمبر 1911 رقم 1237 المحول قانوناً بتاريخ 25 فبراير سنة 1912 رقم 83 وبعد الاطلاع على القانون المؤرخ في 13 يونيو سنة 1912 رقم 555 بناء على ما عرضه علينا وزيرنا ناظر المستعمرات . وبعد استماع مجلس الوزراء (أمرنا ونأمر بما يأتي ).

باب في الوطنية

<sup>1</sup> أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص. 105.

في القطر الطرابلسي يعتبر وطنيين إيطاليين  
بناء على الأحكام المتدرّجة في هذا الأمر .

المولودون في القطر الطرابلسي حين تاريخ هذا  
الأمر أينما قاموا إذا لم تكن لهم صفة وطنيين  
أجانب . أو صفة تبعة أجنب حسب القوانين  
الإيطالية .

ثانيا : من أبوه وطني بموجب الفقرة السابقة .

من أمه وطنية بموجب الفقرتين السابقتين إذا  
كان أبوه مجهولا، أو لم تكن له

وطنية إيطالية ولا وطنية دولة أخرى أو تبعيتها .  
المولود في القطر الطرابلسي إذا كان والداه

مجهولين، أو لم تكن لهما وطنية إيطالية  
ولا وطنية دولة أخرى أو تبعيتها .

المرأة التابعة للدولة الإيطالية أو لدولة أجنبية  
المتزوجة بمن يعتبر وطنيا إيطاليا بموجب  
الفقرات السابقة .

كل من سكن عادة أو اختار في القطر

الطرابلسي وليس من الوطنيين الإيطاليين

بالمملكة أو من الوطنيين الأجانب أو من التبعة

الأجانب يحمل على أنه وطني حسب الفصل الأول .

لأجل الحقوق المذكورة في هذا الأمر وإلى حين

تأسيس دوائر النفوس . فالشهادات اللازمة لإثبات

الشروط المذكورة في الفصل الأول يعطيها مختارو

المحلات أو القبائل التي يسكن فيها صاحب الحق

عادة بتصديق المحكمة الشرعية فيما يخص

المسلمين وبتصديق محكمة الأحبار فيما يخصّ

اليهود .

باب فيما للوطنيين وما عليهم

في القطر الطرابلسي كل الوطنيين الإيطاليين بلا

تمييز بينهم على حد سواء أمام القانون .

- تبقى للوطنيين المذكورين في الفصل الأول أحكامهم الخاصة بالأحوال الشخصية والمواريث ولهم الحقوق المدنية والسياسية الآتية :
- أن تصان حريتهم الشخصية فلا يجوز تقييدها إلا فيما هو مقرر بالقانون الجاري في إيطاليا من الأحوال والوجوه .
- حرمة المنزل، فلا يجوز لأرباب الضبط دخوله إلا عندما يقتضيه القانون المذكور مع مراعاة الكيفية المقررة فيه والعوائد المحلية .
- حرمة الملك إلا إذا وجب الانتزاع (الاستملاك ) للمصلحة العامة بعد دفع تعويض مناسب حسب القانون وذلك إذا لم تمنعه العوائد المحلية منعاً صريحاً .
- حق المسابقة إلى الوظائف المدنية والعسكرية المذكورة في التراتيب المحلية وهي أيضاً شرائط المسابقة وكيفيتها .
- حق مباشرة الحرف العالية حتى في إيطاليا بشرط حصولهم على الشهادات اللازمة .
- أن ينتخبوا أو ينتخبوا (بضم الياء) وذلك على ما بيّنه ترتيب مخصوص من الشرائط والكيفية .
- سابعاً : عرض مطالبهم وشكاياتهم على مجلس الأمة .
- ثامناً : حق الإقامة
- : حق الخروج من القطر وذلك على ما بيّنه ترتيب مخصوص .
- الفصل السادس : احترام الدين والأصول والعوائد المحلية مضمون .
- : تقررت حرية الطبع والاجتماع وستصدر في ضبطها تراتيب محلية يبيّن فيها عقاب من تجاوز الحدود .
- : إنّ المواطنين المذكورين في الفصل الأول لا يجوز إجبارهم على الخدمة العسكرية وإنّما يجوز أحداث عسكرية محلية بتجنيد اختياري سينظم بمقتضى نظمات خصوصية .





ومن دوائر رئاسية مدنيّة وعسكريّة يعين رؤساؤها بأمر ملكي .

إنّ أعضاء مجلس النواب المحلي ينتخبون باعتبار عضو واحد عن كلّ عشرين ألف نفس من سكان البلاد .

إنّ رؤساء الدوائر للحكومة يستحقون الجلوس في مجلس النواب المحلي بمقتضى وظيفتهم ولهم صوت قراري ويجوز للوالي أن ينصبّ غيرهم من الأعضاء لهذا المجلس من بين رؤساء دوائر الإدارة المحلية . غير أنّه لا يجوز أن تتجاوز جملتهم بحساب أعضاء الاستحقاق سدس الأعضاء المنتخبين . إنّ أعضاء الاستحقاق ينوبون عن المجلس في الحكومة . ينتخب مجلس النواب المحلي رئيسه من بين أعضائه من المسلمين .

لا ينتخب (بضم الياء) (عضوا في مجلس النواب المحلي) إلا من تجاوز عمره الثلاثين سنة وكان من الوطنيين حسب القانون 13 يونيو 1912 رقم 555 أو طبق ما في الفصل الأول من هذا الأمر .

إنّ الوطنيين الإيطاليين المذكورين بالقانون المؤرخ في 13 يونيو 1912 رقم 555 لا ينتخبون أعضاء في مجلس النواب المحلي ولا يعطون صوتهم في الانتخابات إلا إذا أثبتوا أنّهم سكنوا في القطر الطرابلسي مدة خمس سنين متوالية لينتخبوا أعضاء ومدة ثلاث سنوات لإعطاء الصوت .

إنّ الوطنيين الإيطاليين المذكورين بالقانون المؤرخ في 13 يونيو 1912 رقم 555 والوطنيين المذكورين بالفصل الأول من هذا الأمر ليس لهم أن يعطوا صوتهم في انتخاب أعضاء مجلس النواب المحلي إلا إذا تجاوز عمرهم العشرين سنة وذلك ما عدا الشروط التي سيقررها الترتيب المخصوص .

ع عشر

إنّ أعضاء مجلس النواب المحلّي لا يجوز رفعهم لدى المحاكم الجزائية بلا إذن المجلس المذكور إلا إذا كانت الجريمة مشهورة .

رون

إن الترتيب اللائحة لإجراء الأصول المندرجة في هذا الأمر يوافق عليها مجلس النواب المحلي قبل صدورها . وللمجلس أيضا القرار فيما يأتي :  
في جعل الضرائب الحكومية الموضوعة مباشرة مع ما يخصها من كيفية التنفيذ والتوزيع على من جعلت عليه تلك الضرائب .

في القواعد المرشدة للخدمات المدنية العامة الجارية بالمبالغ المخصصة لها في القسم الاعتيادي لميزانية القطر الطرابلسي بشرط ألا تزيد المبالغ المطلوبة على القدر المعين في الميزانية .

ي والعشرون

يقسم القطر الطرابلسي إلى أولوية وقضاءات ونواح ويرأس كلّ قسم من الأقسام المذكورة رئيس اللواء وهو المتصرّف ورئيس القضاء وهو القائم مقام ورئيس الناحية هو المدير .

ب والعشرون

يحدّد اختصاص الدوائر التنفيذية للحكومة في الترتيب السياسي الإداري .

ث والعشرون

إذا خلا منصب متصرّف أو قائم مقام أو مدير بعد

ابتداء العمل بهذا الأمر يقع التعيين في الوظائف المذكورة بأمر من الوالي بعد استماع هيئة مخصوصة تسمّى (مجلس الحكومة) يرأسها الوالي أو من ينوب عنه وهي تتألّف من عضوين يعينهما الوالي وثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس النواب المحلي من خارج المجلس وتجدر الهيئة المذكورة عند كلّ انتخاب جديد لمجلس النواب المحلي .

س والعشرون

كلّ من يتولّى رئاسة اللواء والقضاء، وكذلك

في الناحية إذا لزم له أن يجعل مجلسا ينتخبه أهل البلاد من بين الوطنيين الساكنين بالمكان . إن مجالس الأولوية والقضاءات والنواحي يرأسها المتصرفون

وقائمو المقام والمديرون، ولها القرار فيما يتعلق  
بالإدارة الاعتيادية حسب ما يبيّنه الترتيب السياسي  
الإداري

س والعشرون :مدّة مجلس النواب المحلّي أربع سنين وأما  
مدة سائر المجلس فثلاث سنين، ويجوز للوالي حلّ  
المجالس المذكورة ولكن يجب عليه أن يحدّد  
الانتخاب في أربعة أشهر من تاريخ أمره بحلّ  
المجلس. في أثناء بطالة مجلس النواب المحلّي وعند  
تأكّد الضرورة للوالي أن يباشر ما للمجلس من  
السلطة بشرط موافقة المجلس على ما فعله عند  
بطالة سائر المجلس فالعمل على ما ذكر لرؤساء  
الإدارة .

باب في البلديات  
س والعشرون :كلّ مركز قضاء أو ناحية هو عادة متركز بلدية،  
تؤلف إدارة البلدية من رئيس ومجلس ينتخبه  
الوطنيون كلّ ثلاث سنين ويجوز أن يلحق بالبلديات  
التي تزيد على غيرها أهمية ناظر من الحكومة  
لإجراء المراقبة على جميع شؤونها. وأيضا لإجراء  
التفتيش عند اللزوم لسائر بلديات القطر الطرابلسي  
ولو بواسطة مندوبين منه. يتولى رئاسة البلدية  
العضو الذي حصل في الانتخابات على أكثرية  
الأصوات بشرط أن يعرف القراءة والكتابة .  
س والعشرون :للمجلس القرار في جميع المواد المتعلقة بالمصالح  
المحلية إذا لم تكن من اختصاص غيره طبق القوانين  
والنظامات وينفذ قراراته بواسطة رئيس البلدية

باب في العدلية  
س والعشرون :الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية وحقوق العائلة  
والمواريث والمناسك الدينية ترفع إلى المحاكم  
الشرعية فيما يخصّ الوطنيين المسلمين. وإلى  
محاكم الأحبار فيما يخصّ الوطنيين اليهود .

ون  
:إن أمور العدالة مدنية كانت أو جزائية تتولاها  
المحاكم الاعتيادية برئاسة حاكم من المحاكم  
المنتظمين في سلك العدالة وذلك ما عدا الأمور  
المذكورة في الفصل السابق أن الوطنيين الذين  
يدعون إلى المشاركة في المحاكم حسب أحكام  
الترتيب لهم صوت قراري . أما المسائل المدنية  
الواقعة بين أصحاب ملة واحدة من الوطنيين  
المذكورين في الفصل الأول فيجوز إحالة النظر فيها  
إلى المحاكم الشرعية وإلى محاكم الأحبار إذا تبينت  
مناسبة ذلك .

ي والثلاثون  
:تعيين قضاة القطر الطرابلسي يوكل على طريق  
النيابة إلى مجلس النواب المحلي، إلا أن الأعضاء  
غير المسلمين يجب عليهم الإمساك عن إعطاء  
الصوت في أثناء الانتخابات .

باب في نيل الوطنية في المملكة  
:كل من هو من الوطنيين الإيطاليين المذكورين في  
الفصل الأول له أن ينال صفة الوطنيين في المملكة  
طبقاً للقانون المؤرخ في 13 يونيو 1912 رقم 555  
إذا طلبها وتوفرت فيه هذه الشروط .

أن يكون عمره 21 سنة كاملة .  
(2) أن يكون ذا زوجة واحدة أو عازباً .  
إن لم يصدر عليه حكم في جنابة  
يقتضي حرمانه من الحقوق السياسية .

أن تثبت إقامته بإيطاليا أو بالقطر  
الطرابلسي خمس سنين إقامة اعتيادية وفضلاً على ما  
سبق يجب أن يكون فيه أحد الشروط الخصوصية الآتية  
:

أن يكون قد خدم بشرف وصدق في  
الجيش الملوكي أو في البحرية الملوكية أو في غيرهما  
من قوى الدولة العسكرية .

أن تكون له شهادة إحدى المدارس الإيطالية  
ولا أقل من شهادة إتمام الدراسة الابتدائية .  
أن يكون من أرباب وظائف الحكومة أو ممن أحيل إلى  
التقاعد بسبب خدماته السابقة في الإدارة العمومية .  
أن يكون قد قلد وظيفة عمومية  
انتخابية .

أن يكون صاحب نيشان أو رتبة شرف  
منحتها له الحكومة الإيطالية أو أن يكون أبوه وطنيا  
إيطاليا طبق ما في الفصل الأول وصار وطنيا في  
المملكة حينما تجاوز 21 سنة .

الثالث والثلاثون : إن زوجة من كان وطنيا إيطاليا في المملكة بعد  
زواجها يجوز لها أن تطلب نيل صفة زوجها .  
باب في أحكام عمومية

الرابع والثلاثون : إن الوطنيين المذكورين في الفصل الأول الساكنين في  
الخارج أو الناقلين سكناهم لا يجوز لهم أن يكتسبوا صفة  
وطنيين أجنب أو تبعة أجنب إلا بعد حصول الرخصة في  
ذلك بأمر ملوكي ويفقدون هذه الصفة بمجرد وجودهم في  
القطر الطرابلسي أو في المملكة أو في المستعمرات  
الإيطالية .

الخامس والثلاثون : ستقرر بترتيب مخصوص الأصول الواجب اتباعها  
في نيل الوطنية المذكورة في الفصل الأول أو عدمها فيما  
يخص التبعة الأجنب وذلك مراعاة المعاهدات الدولية .  
كما ستقرر أيضا الأصول المتعلقة بنيل الوطنية المذكورة  
في الفصل الثلاثين وفي الفصول التالية أو عدمها فيما  
يخص الوطنيين المذكورين في الفصل الأول .

السادس والثلاثون : لتنفيذ أحكام القانون المؤرخ في 13 يونيو سنة  
1912 رقم 555 تعتبر مدة الإقامة في القطر الطرابلسي  
إذا كانت تالية لتاريخ 5 نوفمبر 1911 .

السابع والثلاثون : الترتيب اللازمة للعمل بالأصول المندرجة في  
الفصول السابقة وسائر الترتيب العامة المتعلقة بإدارة  
القطر الطرابلسي ستوضع بأوامر ملوكية .

الثامن والثلاثون :إن القوانين والأوامر والنظامات الصادرة بعد تاريخ هذا الأمر إذا وضعت فيها أحكام جديدة تتعلق بالوطنية لا تجري على الوطنيين المذكورين في الفصل الأول إلا إذا شملتهم بوجه صريح وسبق وفاق مجلس النواب المحلي عليها .

التاسع والثلاثون :في جميع الأوراق الرسمية عند إجراء الأعمال لدى الدوائر العمومية في القطر الطرابلسي يجوز استعمال كل من اللغتين الإيطالية والعربية إن القوانين الصادرة بعد التوقيع على هذا الأمر الواجب امتثالها على الوطنيين المذكورين في الفصل الأول أيضا تنشر باللغتين الإيطالية والعربية .

الأربعين :عند ابتداء العمل بهذا الأمر يبطل في ما يخص القطر الطرابلسي الأمر السابق المؤرخ في 6أفريل 1912رقم 513وسيعرض هذا الأمر على مجلس الأمة.

نأمر بإدراج هذا الأمر المختوم بطابع الدولة في المجموعة الرسمية لقوانين مملكة إيطاليا وأوامرها .وعلى كل من يجب عليه ذلك أن يمثله ويسعى في امتثاله من الغير .  
حرر في روما في 1 يونيو 1919<sup>1</sup>

يعود فضل ما في هذا القانون الأساسي من إيجابيات إلى الباروني لتشدده مع الطليان أثناء المفاوضات التي كانت تجري في خيمته ويبدو أن موافقه المتصلبة كانت سببا في ضغط الطليان على الدولة العثمانية حتى تطلب مغادرة الباروني طرابلس لأنه يعرقل مسار مصالحها ويهدد ترسيخ احتلالها خاصة بعد صياغة نص القانون الأساسي .  
ولقد أحدث هذا القانون ردود فعل متباينة عند المؤرخين، فاعتبر البعض منهم أنه مكسب حقيقي جنب الطرابلسيين الحرب خاصة أن الاستعداد العسكري آنذاك كان ضعيفا والإمدادات العثمانية انقطعت وقد تبين الزاوي هذا الرأي وثمن إنجاز الباروني السياسي .في حين اعتبر

<sup>1</sup>محمد سعيد القشاط ، خليفة بن عسكر :الثورة والاستسلام، لبنان، دار الميسرة، ط 1، 1978صص 136-130

البعض الآخر منهم مثل محمد سعيد القشّاط أنّ هذا الصلح "كان أكبر سقطة وقع فيها المجاهدون في حربهم ضدّ الطليان.<sup>2</sup>"  
اعتزل الباروني العمل السياسي بعد توقيع القانون الأساسي وقد أثار هذا الاعتزال تساؤلات عديدة .

أرجع أبو القاسم الباروني هذا الاعتزال إلى اقتناع الباروني بانتهاء مهمته التي توجت "بصلح بنيادم" ورغبته في العودة إلى الأستانة لتقلد منصب عضويته في مجلس الشيوخ العثماني، وهذا ممكن لكن لا يمكن التسليم به خاصة إذا عرفنا أنّ الضابط العثماني سليمان قد بقي في طرابلس ولم يستجب لدعوة الدولة العثمانية التي قامت بسحب كلّ جنودها وضباطها تنفيذا لشروط هدنة "مودروس". هذا الأمر يجعلنا نتأكد أنّ السبب الحقيقي لاستقالته هو أعمق مما ذهب إليه هذا المؤلف . إنّ الالتزام بتطبيق القانون الأساسي هو السبب، كما ذكرت ابنته زعيمة الباروني الذي دفع الباروني إلى أن يبتعد عن الساحة السياسية إذ كتبت "لكن القانون (الأساسي) لم يوضع موضع التنفيذ لأمر ما (... ) و صدر منشور من الوالي يهمل فيه لذلك القانون ويهيئ الشعب الليبي ويبين تأخير التنفيذ وعدم تصديق ملك إيطاليا للقانون إلى فرصة مناسبة وظروف ملائمة، ففرقت الكلمة وتمزقت الوحدة وعطل القانون بل سحب نهائيا نظرا لبدء الثورات"<sup>1</sup>

تكمّن أهميّة هذا الشاهد في كشفه عن أمرين رئيسيين يبرّران انسحاب الباروني :

الأمر الأول يتمثّل في تلاعب إيطاليا بعهودها ومماطلتها في تنفيذ القرارات المتفق عليها في "صلح بنيادم" وقد علّق الباروني على ذلك في مقال بعنوان "حركات لا تنطبق على الدستور الطرابلسي ولن يرضاهما" في "جريدة اللواء الطرابلسي"<sup>2</sup> الطرابلسية بتاريخ 20 فيفري 1920 فكتبت ابتدأت حكومة روما فعجلت بإنشاء لولاية طرابلس في جواز النفي والتبديد ونشرته فقام وقعد لذلك بعض المتنورين من الإيطاليين والطرابلسيين واعتراضوا فاضطرت الحكومة إلى إعلان تعديله جوابا عن ذلك الاعتراض (... ) ثم اقتفى أثر حكومة روما دائرة السياسة العسكرية أو الحكومة المركزية بطرابلس فأنشأت مجالس

<sup>2</sup> محمد سعيد القشّاط، خليفة بن عسكر :مرجع سلف ذكره، ، ص . 129

<sup>1</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، ص . 15

<sup>2</sup> جريدة " اللواء الطرابلسي " جريدة طرابلسية أسسها عثمان القيزاني .

وأحدثت تشكيلات جديدة للبلدية وغيرها بعد تصديق القانون الأساسي وذلك مخالف له (...). وكان من الواجب عليها إبقاء ما كان حتى يجتمع مجلس الحكومة تحت رئاسة دولة الوالي ويقرر ما يرى لازماً تمهيده مؤقتاً لانتخاب مجلس الأمة وغيره.<sup>3</sup>

أما الأمر الثاني فيتمثل في اختلاف وجهات نظر القادة الطرابلسيين والعمل بما يخالف القانون الأساسي، كتب الباروني "وعلى هذا النمط جرى الرؤساء وأعضاء الحكومة الدستورية الجديدة فلبثوا بعد تصديق القانون الأساسي) الواجب عليهم قبل كل أحد الجدّ في تطبيقه حرفياً (في فندق بني عشير خارج مركز الولاية والوالي موجود في المركز واشتغلوا بعزل بعض المأمورين حتى الذين كانوا في مقدّمة المجاهدين في طلب الدستور وتعيين آخرين وإصدار الأوامر بأسمائهم وجباية الأموال من الأهالي باسم البلدية والأعشار الشرعية ومجازاة ومحاكمة الأهالي ونقل المركز) الذي هو من حقوق مجلس الأمة (وترفع الضباط وغير ذلك مما يخالف الدستور وكان من الواجب عليهم أن لا يتأخروا بعد تصديق القانون وانتخاب الأعضاء عن الحضور إلى مركز الولاية لأنّه من البديهي أن كلّ عزل ونصب وأمر بجباية مال من الأهالي وصرفه ومجازاة ومحاكمة باطل سواء كان صادراً عن الأعضاء أو غيرهم إلا أن يكون بمذكرة من المجلس مع الوالي وباسمه في قصر الحكومة تحت رياسته مع العضوين المتممين للعشرة خصوصاً جباية الأموال من الأهالي، فإنّ الواجب إلغاؤها من يوم تصديق الدستور لأنّ الأمة الطرابلسية الخارجة من حرب ثمان سنين بعد معاناة لآلام القحط والغلاء محتاجة إلى الاستراحة من جميع المطالب المالية إلى أن يجتمع مجلس الأمة ويؤسس القوانين ويجري لتحصيل الأموال على أصول مأمونة مشروعة"<sup>1</sup>

يصور هذا الشاهد حالة الفوضى التي عرفتتها الحكومة الطرابلسية ويعكس فشل القادة في المحافظة على الدستور الجديد وتطبيقه وفق ما يخدم مصلحتهم، فقد كانوا ينصبون الأعضاء والضباط دون اعتماد مقاييس لذلك، إضافة إلى اتخاذهم القرارات التي تهمّ الشعب بصفة فردية دون الرجوع إلى بقية الأعضاء الذين تتكوّن منهم الحكومة ويبدو

<sup>3</sup> محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، مرجع سلف ذكره، ص 141.

<sup>1</sup> محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، مرجع سلف ذكره، ص 141.



أنّ الباروني كان من الأعضاء الذين لم يقع تشريكهم في القرارات رغم صياغته نص القانون الأساسي .

كما أدى الاختلاف في وجهات النظر إلى توتر العلاقة بين القادة والباروني مما دفعه إلى الابتعاد عن الشؤون السياسية رغم عضويته في مجلس وأهمية آرائه لأنّ عدم موافقته على بعض المقترحات ومعارضته لها عرضاه لمضايقات الأعضاء أنفسهم . كتب الباروني في رسالة بعث بها إلى صديقه عبد الصمد بك بتاريخ مارس 1919م متحدّثاً عن أحمد المريّض الذي سيترأس فيما بعد هيئة الإصلاح المركزية " أنّه ) المريّض ( بعد دخوله إلى طرابلس أخذ كل معاشاته المتركمة فتحقق أنّه كان معنا وهو غير عدوّ ولا محارب للطلّيان باطنا وكلّ ما يحصل لي من التضييق والتحقير من الحكومة وحتى على الخروج من طرابلس ومن نقل عائلتي إلى الجبل بعد رجوعي من اسطنبول كان بقرار نيقولا وحزبه ومعرفة المريّض<sup>1</sup> "

هذه الضغوط إذا تجمّعت كانت كفيلة في نظرنا، بأن تدفع برجل سياسة كسليمان الباروني لما عرفنا فيه من صفات إلى الانسحاب من عالم السياسة خاصة إذا كان هذا العالم محكوما بالانتهازية ولا يستجيب لتطلّعات الباروني السياسية المتمثلة في تكوين دولة عربية إسلامية مستقلة تعتمد على القانون .

بقي الباروني في طرابلس بعيدا عن كلّ ما يتعلّق بالسياسة مدة ستة أشهر إلى أن سافر إلى الأستانة يوم 6 نوفمبر 1919 وفي ذلك كتب الباروني " قصدت اسطنبول ثم أنقرة فوجدت الوضعية قد تبدّلت ممّا تركتها عليها قبل الحرب والنفور من العرب في شدّة في مجلس الأعيان الذي كنت من أعضائه فقد تقرّر إلغاؤه فحاولت الخروج إلى الشام أو مصر أو تونس فلم تسمح لي فرنسا وبريطانيا بذلك<sup>2</sup> .

وفعلا فقد حدث قبل سفر الباروني إلى الأستانة بخمسة أشهر الانقلاب الأتاتوركي في ماي 1919 وعملت السياسة الجديدة على جمع الأتراك وتهميش العرب وهو ما أسفر عن حلّ مجلس الشيوخ العثماني . فقد أدرك مصطفى كمال أتاتورك قصور الخلافة عن تكوين دولة قويّة متماسكة وعجزها عن المحافظة على الولايات التابعة لها وتمكّن من

<sup>1</sup> ملف الباروني ، وثيقة عدد 94

<sup>2</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز ، مرجع سلف ذكره، ص 15.

فرض سياسة قومية تركية ومن ضرب الخلافة وفكرة الجامعة الإسلامية بل أقام حكومة منافسة لحكم السلطان في أنقرة وأصبح يحارب القوى الغربية الغازية باسم الأتراك وحدهم .  
عارض الباروني فكرة انفصال الأتراك عن العرب وضرب الخلافة خاصة أنه كان من قداماء دعاة الجامعة الإسلامية ومؤيدي السياسة العثمانية الاتحادية وقد عمل الباروني أثناء وجوده في السلطنة على دعم سياسة الخليفة<sup>1</sup> بكتابات السرية ومناصرة فكرة الجامعة المناقضة لقومية كمال أتاتورك كتبت زعيمة :

" كان الحلفاء يفوضون أساسات الدين الإسلامي باسم الخلافة الضعيفة فأخذ يكتب والرقيب يمسخ والحصانة تحميه فأنشأ جريدة تطبع في البيت وتوزع باليد ويسهر عليها هو وجماعة من زملاء الجهاد.<sup>2</sup>"  
أعلنت هذه الجريدة رفضها الوضع السياسي الجديد ودعت إلى ضرورة التمسك بالرابطة العثمانية الإسلامية وهو ما جعل وزارة كمال أتاتورك تراقب نشاطها وتمنع صدورها، كتبت زعيمة " :أذكر أنني رأيت منها نسخة آنذاك وقد مسحتها الرقابة ولم تترك إلا العنوان والإسم فتوقفت<sup>3</sup>"  
وقد عدّ الباروني من بين المرشحين لإدراج أسمائهم في القائمة السوداء عند الأتراك بسبب موقفه المعادي لهم وموالاته نظام الخلافة وهذا الأمر سبب في قطع معاشه من مجلس الأعيان العثماني سنة 1921 وسحب الامتيازات التي كان يتمتع بها .

هذا الوضع السياسي الخانق جعل الباروني يفكر في مارس 1920 في العودة من جديد إلى طرابلس رغم ما سبق أن عاناه فيها من ظلم وعندما وصل إلى طرابلس وجدها على حالة من الفوضى بسبب الفتن التي قامت بين العرب والبربر في الجبل أثناء وجوده في الأستانة فقد ساهمت سياسة مأموري إيطاليا وسوء تصرف القادة العرب في نشوب حرب أهلية في الجبل وتبادل الهجمات بين القبائل .وقد طالب الباروني بتولي شؤون هذه المنطقة قصد إحلال الهدوء بها لأنه يملك سلطة سياسية دينية في الجبل تمكنه من التأثير في أهله .  
وقد بعث الباروني برسالة إلى روسي ناظر المستعمرات في 13 ماي 1920 كتب فيها :

<sup>1</sup> الخليفة في تلك الحقبة محمد رشاد الملقب بمحمد السادس .

<sup>2</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره ، ص 15

<sup>3</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، ص 16

" وقد اضطررت إلى أن أباشر أمور الجبل بنفسى لتأمين الراحة فيه لأته وطنى الحقيقى ووطن أجدادى منذ ألف سنة تقريبا ولأن الحكومة المحليّة لا يمكنها في هذا الوقت تأمين الراحة فيه لاشتغالها بالاضطرابات المحيطة بمركز الولاية "كالعزيرية" و"ترهونة" و"الزاوية" و"مصراة" و"مسلاة" و"غريان" وغيرها، وقد حصلت الراحة ولله الفضل الآن من "وازن" إلى "فساطو" وبعد وصولي إلى "يفرن" تتمّ الراحة في الجبل كله<sup>1</sup>"

فرض تواصل الاقتتال بين البربر والعرب عقد مؤتمر عام يمثّل كامل البلاد للنظر فيما آلت إليه الحال ويمنع تدخّل الطليان في شؤون طرابلس الداخليّة وقد مهّد القادة لهذا المؤتمر "مؤتمر غريان" بمؤتمر تمهيدى عقد في العزيرية في أكتوبر 1920 لينسّق أعمال مؤتمر غريان ويحضّر المواد التي سيبحثها .

وكان ممّا تقرّر انتخاب وفد يسمّى "وفد الإصلاح" ليصلح بين الزنتان والبربر وانتخاب أعضاء مؤتمر غريان وتقسيم البلاد إلى مناطق يتولّى كل واحدة منها عضو من الأعضاء المنتخبين في المؤتمر، وإرسال دعوة إلى جميع المناطق التي تقرّر اشتراكها في مؤتمر غريان وفي "وفد الإصلاح".

وقد انتخب "وفد الإصلاح" ولم تمثّل فيه زوارة ولا سكّان الجبل والجنوب كما غاب البارونى صانغ القانون الأساسى عن الساحة السياسيّة أثناء انعقاد المؤتمر. أرجع الزاوي هذا الغياب إلى تأثره بالحرب القائمة بين البربر والعرب خاصّة أنّه كان يمثّل أقلّيّة البربر في طرابلس، كتب الزاوي :

" وقد امتنع البارونى عن حضور المؤتمر لأته كان متأثرا بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر وأرسلت له دعوة خاصّة في مؤتمر العزيرية التحضيرى فلم يقبل وأرسل إليه أحمد المريّض بعد انتخابه رئيسا للمؤتمر بأنّه مستعد للتنازل عن الرياسة فأبى وأصرّ على موقفه (...). ولم يكن خافيا على زعماء العرب أنّه متأثر ممّا أصاب البربر في حربهم مع الزنتان<sup>1</sup>"

ونحن إن كنّا نوافق الزاوي في تقريره امتناع البارونى عن حضور المؤتمر فإننا نخالفه فيما قدّمه من تبريرات لأنّ الزاوي نفسه كتب

<sup>1</sup>محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، مرجع سلف ذكره، ص 275.

<sup>1</sup>الزاوي، جهاد الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص 424

عندما تحدّث عن انتخاب "وفد الإصلاح" الذي تكوّن من ممثلين عن جميع المناطق " :لم تمثّل فيه زوارة ولا سكان الجبل والجنوب لأنّ حالة الحرب حالت دون الاتصال بهم.<sup>2</sup>"  
هذا الشاهد يؤكّد أنّ الباروني لم يشرك في المؤتمر التحضيري سواء كان ذلك عن قصد "التغيب" أم عن غير قصد "تعدّر الاتصال به نظرا إلى حالة الحرب". وفي كلتا الحالتين يكون امتناع الباروني مشروعا فما الفائدة من حضور الباروني مؤتمرا قد وقع اختيار أعضائه سلفا؟ وما هو الدور القيادي الذي سيضطلع به الباروني بعد أن وزّعت الأدوار؟

يبدو أنّ تغيب القادة الباروني كان مقصودا، فقد تخوّف أغلبهم من ترؤسه طرابلس ومن ثمة استنثار أقلية البربر التي يمثلها الباروني بالحكم لأنّ "مؤتمر غريان" الذي انعقد دون حضوره قد هدف إلى إقامة حكومة إسلامية يتولاها أمير لا يعزل إلا بحجة شرعية ويشمل حكمه كل البلاد خاصة إذا أضفنا الاختلاف المذهبي حيث أنّ هذه الأقلية كما ذكرنا سابقا تمثّل المذهب الإباضي المخالف لمذهب أغلب الطرابلسيين .

ولقد تواصلت المناوشات بين العرب والبربر والباروني يتنقل بين زوارة وفساطو يشرف على أمور أقليته أثناء المؤتمر وبعده. وشعر القادة الطرابلسيون بخطورة الباروني بعد اتفائه مع خليفة بن عسكر<sup>1</sup> ورفض الشخصيتين تدخّل محمد فكيني<sup>2</sup> في فصل المراكز الجبلية البربرية بعضها عن بعض "فلم يرق هذا التدخّل خليفة بن عسكر واعتبره الباروني وأعيان البربر تدخلا في شؤونهم الخاصة"<sup>3</sup>، وقد سار الباروني وابن عسكر إلى "كاباو" ثم "الحراية" فالرحيبات " "فساطو"، وعزل الباروني المأمورين الذين عينتهم الحكومة الوطنية وعيّن مأمورين آخرين من القرى الموالية .

<sup>2</sup>الزاوي، الأبطال، مرجع سلف ذكره، ص 424

<sup>1</sup>خليفة بن عسكر " :رجل من رجالات طرابلس الذين برزوا في الحرب الطرابلسية الإيطالية من بلدة تالوت ومن وجوه البربر وأعيانهم .شبق في جوان " 1922الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 103

<sup>2</sup>محمد بن خليفة فكيني الرجباني ت 1950، شارك في الحرب الطرابلسية (1911-1923)، سافر إلى الجزائر بعد احتلال الطليان لفران ثم إلى تونس فاستقرّ في قابس إلى أن توفي، أحمد الطاهر ، الزاوي، ليبيا، مرجع سلف ذكره، ص 273.

<sup>3</sup> – الزاوي ، جهاد الأبطال ، مرجع سلف ذكره ، ص 406

رأى القادة أنّ في اتفاق الشخصيتين اجتماع القوة القياديّة المتمثّلة في شخص الباروني والقوّة العسكريّة المتمثّلة في شخص ابن عسكر وهو أمر يساعد على استقلال الجبل سياسيا :أي خروج البربر الإباضيين عن نظام حكم طرابلس كتب أحمد فكيني إلى أحمد المريّض رئيس مؤتمر غريان "وردت لنا الأخبار الموثوقة أنّ الشيخ سليمان بك الباروني وخليفة بن عسكر بلغوا فسطو وأعلنوا من فسطو غربا مستقلين والمتصرّف هو خليفة بن عسكر ومربوطين بزوارة وأنهم بعثوا لخريشة ليأتيهم ويزرع في الجوابات لكل بالفتنة والفساد والمقصد من ذلك هو نقض القانون الأساسي والمراد إعلان حرب جديد (...). ثمّ لما أتوا إلى فسطو أظهر ما أكثر مما قيل ورجعوا ذوات معهم من كبا ونالوت ليأتوا بمسلّحيهم وبعثوا إلى خريشة ليأتيهم وكان أملهم أنّها تصير محاربة في غريان (...). ولما أنّ هذه المعاملات تصدر عن الباروني وهو حاسب نفسه من رجال الدولة وخارج من مركز ولاية ومنبع دولي وله مخابرات مع قومندان "زوارة" فصارت أمورنا كلّها مصخّرة ونصحت لم أفلح خانوا فأفلحوا"<sup>1</sup>

إنّ الخطر الذي كان يشكّله الباروني على القادة العرب في طرابلس هو الذي استوجب إبعاده عنها من جديد حيث أجمع رجال الدولة من سياسيين وموظفين على تهمة الباروني بزرع الفتن في الجبل وإحداث الفوضى والشغب وقدموا قائمة موقعة تطالب بتركه البلاد يقول الباروني :

" قابلت الوالي فوضع بين يديّ قائمة بتواقيع تتضمّن ما يزيد عن 150 كلّها شخصيات ليبيّة بل أصدقاء، أقسم غيابا عنهم أنّهم لم يسمعوا بها أو وقعوها والمسدّس على صدورهم، فقال لي الوالي :هؤلاء أحبّابك وأهلك يطلبون مغادرتك البلاد وينسبون لك ما كان من التشويش ونحن نعلم أنّك غير ذلك، فحفاظا على حياتك قبل كل شيء أرجو منك السفر إلى إيطاليا مثلا لمدة تهدأ فيها الخواطر، فطلبت نسخة من القائمة فقال أعذرنى إنّها رسميّة خاصة، فتأكّدت أنّي غير مخير فسافرت إلى تركيا مارا بإيطاليا."<sup>2</sup>

لقد كانت سنة 1923 نهاية إقامة الباروني في طرابلس وسنة مغادرته النهائيّة لها حيث ترك أهله وسافر عن طريق روما إلى اسطنبول مبعدا

<sup>1</sup>محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، مرجع سلف ذكره ص 158

<sup>2</sup>زعيم الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، ص 16

فهل سيصل إلى اسطنبول ويستقر بها وهي التي فقدت في الزمن  
الأتاتوركي مكانتها القديمة لتعوضها بعد وقت قليل أنقرة عاصمة الحكم  
اللائكي الجديد ؟

## الفصل الثاني

سليمان الباروني في فرنسا

( 1922-1923 )

كان في نيّة الباروني أن يسافر إلى الآستانة ، "مكة" "دعاة الجامعة  
الإسلامية ولكن تطوّر الأحداث الحربية في الأناطول مكّن القائد الوطني  
مصطفى كمال وصحابته من فرض مذهبهم السياسي الحديث القائم على  
فكرة الدولة القومية Etat-nation فأعلنوا في نوفمبر 1922 عن إلغاء  
الخلافة هذا النظام الما قبل رأسمالي الذي ليس بإمكانه أن يتعايش مع  
النظم الحديثة المتولدة عن نظرة حديثة إلى الأشياء تمهيدا لإقامة

جمهورية تركية وقد كتب الحصري<sup>1</sup> في التمييز بين الخلافة العثمانية والدولة القومية التركية بعد قيامها :

"كنت ألفت الأنظار إلى خطر التتريك الذي ستتعرض له الموصل إذا عادت إلى حكم الجمهورية التركية ولكن البعض (يقصد في العراق ) كان يردّ على ذلك قائلاً إنّ الأتراك حكمونا وحكموا الموصل أكثر من أربعمئة سنة لم يستطيعوا خلالها أن يقضوا على عروبتنا وعلى عروبة الموصل... غير أنني كنت أقول : أرجو أن لا تنسوا أنّ الدولة التي كانت حكمت العراق وحكمت الموصل في الماضي لم تكن تركية بل كانت دولة عثمانية اسلامية. ولكن الدولة التي قامت مقامها الآن هي دولة تركية بكل معنى الكلمة : إنّها تركية باسمها وبتكوينها وسياستها وإذا استعادت الموصل الآن فلن تعاملها كما كانت تعاملها الدولة العثمانية المنصرمة."

قد يقول قائل إن ساطع الحصري يعتمد إلى التمييز بين الحكم العثماني والحكم التركي تبريراً لتعامله القديم مع العثمانيين الاتحاديين ولكن هذا القول لا يصمد إزاء التحليل إذ أنّ التمييز بين السلطنة العثمانية والقومية التركية الناشئة كان شبه عام، فهذا أحمد الشقيري الفلسطيني، وزير الدولة السعودي لشؤون الأمم المتحدة يقول في خطاب له أمام هذه الجمعية سنة 1958:

"علينا هنا أن نكون دقيقين في تعبيرنا فالإمبراطورية العثمانية دولة تختلف تماماً عن جمهورية تركيا فتلك دولة وهذه دولة أخرى، وعلينا أن لا نخلط بين الدولتين. وليست الجمهورية التركية بوارثة للإمبراطورية العثمانية فالجمهورية التركية حديثة في أرضها وشعبها ونظامها وتختلف تمام الاختلاف عن الإمبراطورية في أرضها وشعبها ونظامها وليست تركيا الحديثة إلا شطراً واحداً من الإمبراطورية العثمانية في أرضها وسكانها"<sup>1</sup>

<sup>1</sup>ساطع الحصري (1883-1928) كاتب وباحث حلي الاصل، من علماء التربية، عين وزير المعارف بدمشق، ولما احتلّ الفرنسيون سورية سافر إلى بغداد ورأس كلية الحقوق ثم إلى مصر وأنشأ "معهد الدراسات". صنف أكثر من 50 كتاباً عربياً :

الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره ج. 3. ص. 70.

<sup>1</sup>كلام الحصري وتصريح الشقيري مأخوذان من مشاركة الأستاذ محمد الناصر النفزاوي في الاستفتاء الذي نظّمته القدس العربي ديسمبر 2001 حول حوار الحضارات وتأثير أحداث 11 سبتمبر 2001، الحلقة (الثالثة).

لقد قرأ سليمان الباروني قراءة سليمة ما ستكون عليه نتائج إلغاء نظام الخلافة وعزل محمد السادس<sup>2</sup> فارتخت الروابط السياسية الدينية التي كانت تشدّه إلى الآستانة .

عمد الباروني إلى التنديد بسياسة مصطفى كمال العلمانية في الجرائد العربية ممّا أدّى إلى توتر العلاقة بينهما ودفعه إلى أن يفقد الأمل في تركيا الكمالية ويفضّل السفر إلى إيطاليا . كتب الباروني في رسالة وجهها إلى أبي اليقظان "وقد رأيت ما كتبت في حق جماعة أنقرة ونشر في كل الصحف العربية وبذلك سددت باب تركيا وإن كنت لا أفكر في الرجوع إليها من يوم خروجي منها"<sup>3</sup> وقد تمكّن بعد وصوله إلى روما بخمسة عشر يوماً من دخول مدينة "نيس" الفرنسية باسم "سليمان بن عبد الله" لكن الحلفاء سرعان ما انتبهوا لذلك وتعقبوه وطلبوا من السلطات الفرنسية احتجازه وعدم السماح له بمغادرتها خاصة إلى الدول العربية أو الإسلامية . أقام الباروني في مرسيليا في فندق في ميدان "فونتين كانتين" وتمكن أثناء وجوده في باريس من حضور الاجتماعات العربية الإسلامية والاحتفالات الدينية دون التعرض للمضايقات، لكن هذه الحرية السياسية أفسدتها الحاجات المادية الملحة لأن الباروني كان قد حرم من معاشه ثم تقاعده من مجلس الأعيان العثماني إذ قطع القوميون الأتراك معاشه منذ 1921 لأنهم صنّفوه ضمن المعارضين لقيام الجمهورية المؤيدين للخلافة "التي تضمن الطمأنينة والسلام في العالم الإسلامي."<sup>1</sup> هكذا عاش الباروني في فرنسا دون مورد رزق غير ما يرسل إليه من حساب كتبه وبعض المساعدات الأخوية الحميمة<sup>2</sup> التي كانت تصله من عائلته وأصدقائه المقربين . لكنّه ورغم الضائقة المالية التي مرّ بها لم يخف رضاه عمّا تمتّع به من حرية طالما افتقدها في وطنه كتب : "صرّحت بما أشعر به من حرية واحترام لأحد الأصدقاء المستشرقين قائلاً : كيف ولماذا تتركني فرنسا حراً في ربوعها ؟ لو كنت أملك المادة

<sup>2</sup> محمد السادس (محمد رشاد) (آخر سلاطين آل عثمان ( 1861 – 1926 ) خلف أخاه محمد الخامس، دام حكمه 4 سنوات (1918- 1922) إلى أن خلعه مصطفى كمال، هرب محمد السادس ومات في سان ريمو بإيطاليا "الموسوعة العربية المسيرة،

مرجع سلف ذكره، ج 2. ص. 1659

<sup>3</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 193.

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 108.

<sup>2</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، ص 17



لذرت كل يوم مدينة منها. فقال ألم تقل أنك نلت تقديرها سنة 1912  
لجهدك المشرف وأنت من العلماء؟ قلت بلى. قال: هو ذاك السبب قلت  
:لكن شهادة الأكاديمية لم تصلني حتى بعد أن أرسلت التنازل عن  
المنحة المادية. قال: قد يكون مرجع ذلك لعدم استقرارك. أما فرنسا فلن  
ترجع في تقديرها لك كإنسان شريف حاز تقدير هيئتها العلمية الكبرى  
في السربون فلن تمسّ مكانتك الأدبية إلا بخير.<sup>3</sup>  
تمكّن الباروني في فرنسا إضافة إلى التقائه بكل من يريد واتصاله بعدد  
الشخصيات من استقبال إباضيي الجزائر الذين كان على اتصال دائم  
بهم. فقد استقبل في جانفي 1924 السيد الحاج عمر العنق<sup>4</sup> الذي حاول  
التوسط له لدى السلطة الفرنسية حتى يتمكّن من الإقامة في الجزائر أو  
تونس مع عائلته.

وقد قام الباروني بمحاولات عديدة حتى يتمكّن من الخروج من باريس  
إلى أيّ دولة عربية أو إسلامية فكان يتّصل بسفراء هذه الدول حتى  
يمكنه من السفر إلى إحداها، وقد كان تركيزه على مصر بالأساس إلا  
أنّ بريطانيا رفضت ذلك وضغطت على السلطة المصرية حتى تجيب  
بالنفي.

لماذا تركّز اهتمام الباروني على مصر دون غيرها لتكون مستقرّاً له؟

لقد عرفت مصر في عهد الملك فؤاد الأول<sup>1</sup> استقلالاً مقيداً، فقد اضطرّ  
الإنكليز إلى الاعتراف بها "مملكة مستقلة" في 15 مارس 1922 بعد  
الثورات المتتالية التي قام بها الشعب المصري وضغط بقية المستعمرات  
على الحماية الأنكليزية خاصة الهند. ومنحت الدستور سنة 1923  
وتألّفت أول وزارة شعبية برئاسة سعد زغلول<sup>2</sup> في جانفي 1923.

<sup>3</sup> زعيمة الباروني، تعريف موجز، مرجع سلف ذكره، ص 17.

<sup>4</sup> محمد إبراهيم العنق (1882-1956) من أعلام التربية والإصلاح صديق الباروني وضلعاً مساعداً له في تأسيس البعثة العلمية  
الميزابية بتونس، معجم أعلام الإباضية، ج 2 ص 301.

<sup>1</sup> الملك فؤاد الأول، ملك مصر (1936-1968) ابن الخديو إسماعيل اعتلى العرش عند وفاة أخيه السلطان حسين الأول  
(1917)، في عهده قامت ثورة مارس 1919 واضطرّ الإنكليز إلى رفع حمايتهم على مصر والاعتراف بها مملكة مستقلة فأعلن

الاستقلال في 15 مارس 1922 ومنح الدستور 1923، الموسوعة العربية الميسرة مرجع سلف ذكره ج 2، ص 1328.

<sup>2</sup> سعد زغلول (1860-1927) زعيم سياسي مصري اشترك في ثورة عرابي 1882، وفي تأسيس الجامعة المصرية 1908، اتهم  
الخديو عباس الثاني بالإرتشاء والتدخل في شؤون القضاء واضطرّ إلى تقديم استقالته، اعتقل عديد المرات، ترأس الوفد الذي عرف  
بقضية مصر، ظفر في انتخابات 1923 بأغلبية الأصوات فألّف الوزارة في 1924، انتخب في مارس 1925 رئيساً لمجلس النواب

الجديد، الموسوعة العربية الميسرة مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 981.

إنّ الوضع السياسي المنفتح مقارنة ببقية الأقطار العربية المستعمرة دفع الباروني إلى أن يفكر في اللجوء إلى مصر دون غيرها حتى يأمن مضايقة دول الأحلاف له ويتمكّن من تحقيق مشروعه الفكري الذي سبق أن بدأ فيه في مصر وهو الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وازداد اقتناعاً به بعد مساندة الشريف حسين أمير مكة الأنقليز في الحرب الكبرى للإطاحة بالدولة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية وتنصيب نفسه ملكاً على الحجاز. وقد كتب الباروني مقالاً في جريدة "الصواب" التونسية<sup>3</sup> لصاحبها محمد الجعايبي بعنوان "من باريس إلى تونس: نداء إلى العالم الإسلامي" ينقد فيه سياسة الشريف حسين ومولاته الأنقليز محدثاً إياهم من السياسة الاستعمارية التي تنتهجها هذه الدول في سبيل تحقيق أهدافها في الوقت الذي ثار فيه الشعب العربي والإسلامي معارضا هذا التصرف. وسنرى فيما بعد كيف أنّ "لجنة الخلافة الإسلامية" في مصر ستعمل تحت اسم "جمعية الخلافة المستقلة" على مقاومة مشروع الشريف حسين السياسي مع تأكيدها علىبيعة الخليفة العثماني إلى أن يعقد المؤتمر الإسلامي العام الذي سيفصل في مسألة الخلافة بمشاركة جميع الأقطار الإسلامية.

كانت مصر إذن تعدّ الفضاء الملائم لنشر أفكاره لكن السلطات المحلية لم توافق على هجرة الباروني إليها استجابة منها لضغط الأنقليز وقد كتب الباروني في رسالة بعثها إلى بني ميزاب عن اتصاله بسفير مصر "الظاهر أنّ الحكومة المصرية الجديدة اقتفت أثر أسلافها في استشارة الأنقليز أو الطليان في مسألتنا ولذلك مضى نحو شهر ونصف ولم يجب عمّا كتبه إليها سفيرها في باريس وإلا فإنّ سعيد باشا قال قبل أن يتولّى الأمر "لو كان الأمر بيدي لما تأخّرت عن إجابة الطلب"<sup>1</sup>

لم يكتف الباروني بالاتصال بسفارات الدول العربية الإسلامية بل طرق أبواب السفارات الغربية وأبدى نشاطاً كبيراً في ذلك سواء بطلب التوسّط له أو بالاتصال المباشر حتى يتمكّن هذه المرّة من الاستقرار نهائياً مع عائلته الموجودة في زوارة في طرابلس الغرب إلا أنّ الأنقليز والفرنسيين رفضوا ذلك رغم أنّه "أعطى تعهدات لهم أن لا يتدخّل في شؤون السياسة أبداً"<sup>2</sup>

<sup>3</sup> عدد 399، سنة 20، 17 أوت 1923.

<sup>1</sup> رسالة الباروني، مؤرخة بتاريخ 21 سبتمبر 1924، أبو يقضان، سليمان باشا الباروني ج 1 مرجع سلف ذكره، ص 193.

<sup>2</sup> أبو يقطان سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 191.

ويبدو أنّ شخصيّة سليمان الباروني السياسية-الدينية أصبحت رمزا للنضال في المغرب العربي فقد توجه الباروني إلى تونس تلبية لدعوة شعبية في شهر أوت 1923 خلال إقامته بباريس وقد دامت هذه الإقامة أربعة أيام، وقد ضيّقت عليه دول الأحلاف الخناق فكان طول سفرته مراقبا ومحاطا بالبوليس منذ أن غادر مرسيليا إلى أن وطأت قدماه تونس "لمجرّد ما اتّصلت (دول الأحلاف) بخبر وصوله إلى تونس ضربت عليه نطاقا من الحصار في أوتيل "تونيزي بالاص" وهو يتألّف من البوليس والأعوان السريين وحجّرت عليه أن لا يتّصل بأحد أصلا لا مشافهة ولا مراسلة<sup>1</sup>"

فقد تلقى من المقيم العام الفرنسي لوسيان سان<sup>2</sup> Lucien Sain بعدم مقابلة الأهالي وأن لا يخبر أحدا إلى أن يخرج من أرض تونس في الباخرة المتوجهة إلى مرسيليا، وقد برّرت السلطة الفرنسية هذه المعاملة القاسية برفض باي تونس محمد الحبيب باي<sup>3</sup> دخوله إلى مملكته لكن يبدو أنّ وعي السلطات الفرنسية بمدى تأثير شخصيّة الباروني في المجتمع التونسي آنذاك خاصة في الجزء الإباضي منه الذي كان يشرف على عدد من الصحف التونسية هو السبب الرئيسي في هذه المعاملة لأنّ منع الباروني منعا باتا من زيارة تونس من شأنه أن يزيد من تعقيد الأمور. وهو ما كانت تتجنّبه فرنسا في تلك الفترة<sup>4</sup> ولقد منع الباروني من مقابلة الناس باستثناء صديقه أبي اليقضان الحاج إبراهيم<sup>5</sup> الجزائري الذي اتصل به من بعيد، كتب الباروني : " وقد حاولت إقناع الكوميسير بجواز السفر الذي بيدي والمصدّق عليه من مديرية بوليس باريس فلم يفتنع وبعد أن ودّعني أبقى نفرا من البوليس التونسي على المنزل ليمنعوا الناس من الدخول إليّ. ولما حضرت الباخرة رافقوني إلى الحجرة التي نزلت فيها وقد سبقني إليها جاسوس يهودي لم يفارقني إلى أن وصلت مرسيليا واستقبلني جمهور

<sup>1</sup> أبو اليقضان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 185

<sup>2</sup> لوسيان سانت ( 1867- 1938 ) Lucien Saint تولى منصب الإقامة العامة في تونس من 1920 إلى 1929

<sup>3</sup> محمد الحبيب باي ( 1929 – 1922 ) ولد 1958 وخلف الباي محمد الناصر سنة 1922.

<sup>4</sup> وقد يكون هناك سبب آخر لن تتعرّض له هاهنا هو "الصراع بين فرنسا وإيطاليا على تونس ورغبة فرنسا في مناوأة إيطاليا ولكن إلى حدّ معيّن .

<sup>5</sup> أبو اليقضان إبراهيم بن عيسى (1888-1973) من العلماء الأعلام في القرار بميزاب، صديق الباروني وفيقه في الدراسة، تتلمذ على اطفيش ودرس بالزيتونة، أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية فيما بين 1926-1938 منها "النور"، "وادي ميزاب" و"عديد الكتب منها "سلم الاستقامة" "ملحق سير الشماخي" "معجم أعلام الإباضية، الجزء 2، ص 1999.

من بوليسها وعاملوني معاملة قاسية لكنّها تعدّلت بعده بواسطة بعض  
المنصفين من رؤسائهم<sup>1</sup>”  
بقي الباروني في باريس حوالي سنتين إلى أن وصلتته دعوة الشريف  
حسين<sup>2</sup> أمير مكة وخصمه القديم لأداء مناسك الحج فسافر إلى مكة بعد  
أن طلب الإذن وتسهيل السفر إليها في أوت. 1924

---

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره ، ص 187  
<sup>2</sup> الشريف حسين بن علي ( 1931 – 1856 ) عتین 1908 شريفا لمكة مكان أبيه، اشترك مع الأنقلابز في ثورته على الحكم التركي  
إبان الحرب العالمية الأولى (1916) نادى بنفسه ملكا على الحجاز شن عليه عبد العزيز بن سعود الحرب سنة 1924 وهزمه، مات  
بعمّان ودفن بالمسجد الأقصى ببيت المقدس، الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 720.

## الفصل الثالث

### الباروني والحرب الوهابية السعودية - الهاشمية

غادر الباروني مرسيليا إلى مكة من دون أن يتمكن من دخول البرّ المصري رغم وجود أشغال تجارية شخصيّة في مصر تعطلت منذ نشوب الحرب الطرابلسية الإيطالية. و تعرّض الباروني كالعادة وحتى في المواني المصرية لمضايقة دول الحلفاء فما "كادت الباخرة ترسو في الإسكندرية حتى جاء زورق مملوء بأفراد من البوليس المالطيين وصعدوا إلى الباخرة واطلع رئيسهم المالطي على دفتر أسماء الرّكّاب . وفي الحين قال إئتوني بالراكب المسمّى سليمان فأجبت ندائه فطلب الباسبورت فقّدمته إليه فخاطبني بما يلزم من أدب كثير ثم ذهب وأبقى قسما من البوليس أمام سلّم الباخرة وقسما داخلها لآزموني في كل مكان بحيث كانوا يفتحون باب الحجره التي أنا فيها بناء على أمر رئيسهم المالطي حتى أنكر عملهم هذا بعض خدام الباخرة وأخرجوهم منها بعد منازعة قائلين لهم هذه الباخرة فرنسية لا مصرية ولا أنقليزية فأنزلوا إلى البرّ وانتظروا هذا الرجل هناك (... ) لكنهم عادوا بعد شطر الليل بنحو ساعة دون أن يعترضهم أحد وفتحوا باب الحجره حتى رأوني ولم يفارقوني من تلك الساعة إلى أن سافرت الباخرة بعد ثلاثة أيام إلى بورت سعيد.<sup>1</sup>"

ورغم مكوث الباروني ثلاثة أيام في الإسكندرية إلا أنه لم يتمكن من مقابلة أي شخص حتى ابنه إبراهيم الذي كان يدرس هناك لأنّ الأنقليز

<sup>1</sup> أبو القاسم الباروني ، حياة سليمان باشا زعيم المجاهدين الطرابلسيين، مرجع سلف ذكره ص 113.

شدّوا عليه الرقابة خوفاً من هربه وبقائه في مصر. ولما وصلت  
الباخرة بورت سعيد تكلف شاب أنقليزي بملازمته ومنعه من نزول البرّ  
ثم أتى رئيسه وأعلمه بأنّ هذا القرار صادر عن وزارة الداخلية<sup>2</sup>.

إنّ اعتراض الأنقليز على دخول الباروني مصر له أكثر من سبب،  
فإضافة إلى موقف الحلفاء القديم من الباروني عرفت مصر في هذا  
الوقت حالة هيجان بعد أن قام الشريف حسين أمير مكة بتنصيب نفسه  
خليفة على المسلمين، فقد عارض كثير من العلماء والسياسين تولّيه  
هذا المنصب وقد دعوا إلى عقد اجتماع يضمّ علماء الإسلام عامة قصد  
النظر في هذه المسألة واختيار خليفة يكون له الحق في الإشراف على  
جميع البقاع المقدّسة وأوقاف الحرمين الشريفين .

إنّ دخول الباروني مصر وهو المساند للخلافة والداعي إلى تأسيس  
الجامعة الإسلامية من شأنه خاصة بعد أن قبل دعوة الشريف حسين  
لزيرة مكة أن يزيد من تأجيج الصراع بين رجال الدين خاصة لأنهم  
انقسموا في هذه الفترة إلى شقين اصطفّ أحدهما وراء العرش  
الهاشمي وثانيهما وراء العرش الوهابي السعودي وكان هذان العرشان  
يتأهبان للدخول في حرب سياسية دينية شرسة ( 1924 – 1925 )  
أشرفت عليها بريطانيا خليفة العرشين معا .

لقد رفض الأنقليز دخول الباروني مصر ولكنهم سهّلوا له إجراءات  
دخول الحجاز رغم معارضتهم الشكلية تصرف الشريف حسين الذي  
سمح للباروني بالحجّ "بحجّة" أنّه لا يحقّ له منع أي مسلم من القيام  
بفريضة الحج في حين أنّه عارض دخول المصريين إليه بعد منعه مركب  
مصر من دخول مكة وأداء ركابه مناسك الحج بدعوى أنّ هذا المركب  
قد اصطحب معه هيئة طبية وأنّ ذلك ينافي استقلال الحجاز .

وأياً كان الأمر فقد وصل الباروني إلى بيروت لينتقل إلى باخرة تحمل  
الحجّاج إلى جدة وهكذا حلّ الباروني بالحجاز في أواخر سنة 1923،  
كتب الباروني "وما وضعت رجلي في البرّ حتى رأيت جماعة على  
الكراسي عند ممرّ الحجّاج من الباخرة إلى البرّ يسألون " : هل فيكم  
سليمان باشا الباروني؟ فأشار بعضهم إليّ فقاموا وسلّموا قائلاً رئيسهم  
: أنا الشريف طه معتمد صاحب الجلالة أيّده الله، وقد أمرني باستقبالك

<sup>2</sup>أبو القاسم الباروني ، حياة سليمان باشا زعيم المجاهدين الطرابلسيين، مرجع سلف ذكره ص 114

والقيام بما فيه راحتك وراحة من في معيتك (... ) وفي الحال أمر أعوانه بإخراج أشياءي بدون تفتيش وذهبنا إلى بيته الذي خصّصه لنزولي وهو مفروش منظم فوق ما يتصوّر وفي الحال كلمني رئيس ديوان الملك بالتليفون من مكة يهنّني بالسلامة ويبلغني سلام الملك.<sup>1</sup>

إنّ الاستقبال الذي أقيم للباروني والحفاوة التي خصّه بها الشريف حسين تطرح أمامنا عديد التساؤلات حول أسباب هذه الدعوى وأهدافها فهل السماح للباروني بدخول مكة هو أمر لا يخفي غاية سياسية أي هو مجرد دعوى مسلم لأداء ركن إسلامي كما ادّعى الشريف حسين، أم أنّ الأمر يتجاوز ذلك إلى أغراض خفية خاصة إذا علمنا أنّ الشريف حسين الذي بلغ الصراع بينه وبين عبد العزيز آل سعود أوجه إذّاك قد أهدى الباروني نيشان الاستقلال الهاشمي<sup>2</sup> رغم معرفته بمعارضة الباروني السابقة له وانتقاده سياسته في الجرائد. فما هي الأمور التي أخذ عليها الباروني الشريف حسين سابقا؟ وما هو هدف الشريف حسين سنة 1923 من الترخيص للباروني بدخول الحجاز؟

أول هذه الأمور يتمثّل في موالاتة الشريف حسين الأنكليز وإعانة دول الأحلاف منذ 1916 على فتح البلاد العربية والإطاحة بالدولة العثمانية الاتحادية التي كان يساندها الباروني وقد تواصلت هذه العلاقة حتى بعد الحرب الكبرى. فقد أعلن الشريف حسين في تصريح رسمي له سنة 1924 عن ثباته على مودة الأحلاف في منشور باسمه سماه "منشور عيد البيعة الأولى" فيما نصّه " :وإنّا لا نزال ساعين لتأييد المودّة وتأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام"<sup>3</sup>

وقد دعا الشريف حسين أيضا إلى تأسيس نهضة تقوم على نظام الحماية والتدخّل المباشر لانقلترا في شؤون الدولة ونشر ابنه الشريف فيصل<sup>4</sup> في دمشق نصّ مقرّرات النهضة الرسمي في جريدة "المفيد "

<sup>1</sup> أبو اليقظان :سليمان باشا الباروني في أطوار حياته، جزء 1، مرجع سلف ذكره، ص 204

<sup>2</sup> ملف الباروني، وثيقة عدد 102

<sup>3</sup> محمد رشيد رضا : الوهابيون والحجاز : طائفة من مقالات نشرت في المنار والأهرام، مصر، مطبعة المنار ، ط 1، 1925،

ص 21

<sup>4</sup> الأمير فيصل :ملك العراق ( 1933 – 1885 ) حكم ( 1921-1933 ) ابن الحسين بن علي شريف مكة، تعلم في الآستانة، وانتخب عضوا عن جدة في مجلس المبعوثان العثماني، خلعه الفرنسيون سنة 1920 لمحاربة في صفوف الجيش التركي في =

وقد نصّت المادة الثانية منه على أن تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على الحكومة وصيانتها من أيّ مداخلة كانت بأيّ صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أيّ تعدّ بأيّ شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء ومن بعض الأمراء<sup>1</sup>

أمّا الأمر الثاني فيتمثل في إعلان الشريف حسين نفسه ملكا على العرب بعد سقوط الدولة العثمانية، فقد برز بعد زوال الحكم التركي من الجزيرة العربية خمس إمارات تتنازع السيادة : إمارتا نجد وشمّر في الشمال، دولة الحجاز في الوسط، عسير واليمن في الجنوب. وإلى جانب تلك الإمارات كانت توجد إمارتان صغيرتان الأولى في الجوف شرقي الشام يسيطر عليها آل الشعلان وكانت في الأصل خاضعة لآل الرشيد في "حائل" فلما ضعف شأنهم جاھرت بالانفصال عنهم والثانية إمارة آل عايض في أبها (شرقي نجد وغرب إمارة صبيا) وقد استقل هؤلاء في أبها وتسلّموها من الترك حين جلائهم عنها سنة 1919 وكانت مملكة الحجاز أبرز هذه الإمارات وأهمّها وذلك لما لعبته من دور هام إلى جانب الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى كما يرجع ذلك أيضا إلى أهميّة الإشراف في مكّة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت وما يحتلونه من مكانة مقدّسة في قلوب المسلمين باعتبارهم حماة المدينتين المقدستين<sup>2</sup>.

وقد سعى الحسين إلى إقناع أمراء الجزيرة بأحقّيته في الملك وبضرورة مبايعته إلا أن زعماء "العرب الذين جاؤوا إلى عمّان بقصد السلام على هذا الأمير العربي اتفقوا قبل الاجتماع به ألا يصادقوا على تخليفه على الأمم الإسلامية تفصيّا من إثارة الفتنة النائمة (...). إذ يوجد في أقبال العرب وملوكهم من هو أحرى بالخلافة وأجدر بها"<sup>1</sup>

كما أوعز لأصحاب الصحف الأنقليزية الموالية له أن يعلنوا للعالم الإسلامي مبايعة الفلسطينيين والعراقيين له حتى يصمن بيعة بقيّة الأمراء والشيوخ لكن هذه الحملة فشلت لسببين أولهما أن أغلب

سورية، أجلسه الأنقليز على عرش العراق بعد إجراء استفتاء ووضع في عهده دستور 1924 وألغى الانتداب البريطاني 1932،

الموسوعة العربية الموسّعة، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 1348.

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا: الوهابيون والحجاز، مرجع سلف ذكره، ص 21.

<sup>2</sup> سالم مصطفى، تكوين اليمن الحديث: اليمن والإمام يحيى 1948 – 1904، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، ط 2 –

1981 ص 245.

<sup>1</sup> مقال "الشريف حسين والخلافة"، جريدة الصواب، سنة 20، عدد 21 424 مارس 1924.



العراقيين شيعة ومن ثمة فهم لا يبايعون لشريف حسين ولا لغيره  
وثانيها أن مسلمين فلسطين والعراق لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة من  
مسلمي العالم ومن ثمة لا يمكن تعميم بيعتهم على كل المسلمين<sup>2</sup>

أما الأمر الذي دفع الباروني إلى أن يعارض الشريف حسين فهو وضعه  
الحجاز تحت الحماية الأنكليزية ومركزا للحرب متحالفا في ذلك مع  
الانكليز وهو ما يعرض مكة للحرب ويمنع المسلمين من أداء فريضة  
الحجّ التي تعدّ ركن الإسلام الاجتماعي الجامع للشعوب الإسلامية. وكتب  
الباروني في جريدة الصواب التونسية مقالا بعنوان " من باريس إلى  
تونس: نداء إلى العالم الإسلامي "نقد فيه سياسة الشريف الخارجية  
واحتجّ على المعاهدة الأنكليزية -الحجازية التي تجعل من الأراضي  
المقدّسة محمية أنكليزية، "لكن المعاهدة على ما يقال ويفهم عبارة عن  
احتكار أعظم دولة في العالم لأمة فقيرة من كل الوجوه وتقيدها بقيود  
تجعلها أسيرة وهي في مكانها لا تكلم إلا بإذنها ولا تعمل إلا بإشارتها  
ولا تخطّ حرفا إلا بإملائها ولا تحارب إلا بقوتها وما هذه الأوصاف إلا  
من صفات التملّك أو الحماية الصريحة بدون خلاف"<sup>3</sup>

إنّ معارضة الباروني هذه المعاهدة نابعة عن موقف ديني لأنّه كان يدرك  
متانة العلاقة السياسية التي تربط الشريف حسين بالانكليز، فالخوف  
على الدين هو الذي دفع الباروني إلى كتابة هذا المقال لأنّ في تعريض  
مكة، منزل الوحي، للحرب هتكا لحرمة الإسلام وإهانة للمسلمين فقد  
شهدت هذه المنطقة المقدّسة تكوّن الدين الإسلامي منذ أن كان وحيا إلى  
أن أصبح دولة إضافة على أنّها مجمع كلّ المسلمين الموجودين في  
العالم حيث يتمّ التقاؤهم سنويًا في موسم الحجّ. فمصلحة المسلمين  
عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة تستوجب ترك الحجاز قطر حيا  
وسلم .

<sup>2</sup>عارض كثير من المسلمين بيعة الشريف حسين لأنّه حسب بعض الكتاب كان يعامل الحجاج معاملة سيئة، فقد كان يبيع لهم الماء  
بأسعار مرتفعة ويجبرهم على بيع مواشيهم بأسعار زهيدة، ولا يهتمّ بأمرهم أثناء موسم الحجّ: لمزيد التوسع أنظر M. Zischka,  
IBN SEOUD Roi de L'Arabie Preface Du Général ED. BREMOND ancien chef de la mission

Militaire au Hedjaz Paris. 1934 T.1.PP 177-178

<sup>3</sup>محمد الجعاببي، جريدة الصواب، عدد 399، سنة 20/17 أوت 1923

بل ذهب الباروني إلى أكثر من ذلك فاعتبر أنّ في دخول الأنقليز إلى الحجاز تبشيراً بالدين المسيحي وتكريساً له ومحاولة لطمس هوية العالم الإسلامي كتب :

"هل يصدّق المسلمون أنّ الأنقليز يحمون الحجاز ليبقى جسد محمد هادئاً مطمئناً في روضته والحجر الأسود مكرّماً في كعبته وتمثال عيسى مصلوب على خشبته كلاً ثمّ كلاً (...). يعتقدون أنّه سيأتي يوم يتمكنون فيه من نقل جسد محمد وأنقاض الكعبة إلى متحفهم الكبير في لوندرة لوضعها في جنب ما فيه من رفاة الملوك الأقدمين والفراعنة الأولين فيكون متحفهم أشرف متاحف الأرض وأغناها (...). وليس ذلك بصعب عليهم إذا تمت لهم الحماية.<sup>1</sup>"

إنّ هذه المعارضة لم تقتصر على الباروني فقط بل شملت كل أنحاء العالم الإسلامي، فقد "أجمع علماء الإسلام في مصر والهند وجاوه وأفغان وشمالى إفريقيا وفي بقية الأقطار التي دينها الإسلام وشعارها التوحيد على شدة الاحتجاج على وضع الحماية على الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى لأنّ هذه المسائل يعود أمرها إلى العالم الإسلامي بأسره ومقام الخلافة المقدّس"<sup>2</sup>

كما تأسّست في مصر سنة 1924 جمعية "الخلافة المستقلة" وكان من قراراتها التمسك ببيعة خليفة المسلمين عبد المجيد<sup>1</sup> حتى يعقد المؤتمر الإسلامي الذي يمثّل الكلمة العليا والقول الفصل في شأن مشكلة الخلافة والسعي إلى عقد المؤتمر الإسلامي في بلد حرّ مستقلّ استقلالاً حقيقياً والحكم ببطلان بيعة حسين بن علي واستنكارها أقدم عليه ممّا أغضب جميع المسلمين. وقد أعربت الجمعية عن ترحيبها بكل من تدفعه غيرته الدينية وإخلاصه الحقيقي للإسلام للعمل معها. أمّا النجديون فقد استغلّوا هذه المعارضة فاجتمعوا في البحرين في ماي 1924 وبحثوا في مسألة المؤتمر الإسلامي الذي سيعقد للبحث في مسألة الخلافة، وقد قرّر

<sup>1</sup> محمد الجعياي، جريدة الصواب، عدد 399، سنة 1923/17 أوت 1923، ص 2

<sup>2</sup> مقال "الشريف حسين وفريضة الحج"، جريدة الصواب، عدد 397/ سنة 1923 أوت 1923

<sup>1</sup> عبد المجيد: آخر سلطان عثماني وهو ابن عبد العزيز، تولى المجلس الوطني خليفة في 18 نوفمبر 1922 إبعاد ابن عمّه محمد الخامس إثر إلغاء الخلافة في 1 نوفمبر 1922. إعلان مصطفى كمال نظام الجمهورية في 29 أكتوبر 1923 قرّر المجلس إلغاء الخلافة في 3 مارس 1924 فغادر عبد المجيد دار الخلافة إلى باريس وتوفي هناك في 23 أوت 1944، دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سلف ذكره. ج. إ فصل "عبد المجيد."

المجتمعون إثر ذلك أن يبعثوا برقيات عامة إلى الصحف العربية في مصر وسورية معلنين موافقهم على وجوب انعقاد مؤتمر في مصر للنظر في أمر الخلافة مستنكرين تسرع ملك الحجاز في مسألة إسلامية يرجع الفصل فيها إلى جميع المسلمين وقد بعث سلطان نجد<sup>2</sup> إلى جريدة "بومباي كرونك" الهندية وصرح بأنه ليس من حق أي أمة أن تعمل في صدها دون استشارة الأمم الأخرى، وقد استنكر تعجل الملك حسين في قبول وظيفة لا يؤهله لها مؤهل. وقد أكد السلطان أن نجد التي حافظت على الدوام على استقلالها ستساعد كل من يطلب الحرية وتعين العرب على الاتحاد.<sup>3</sup>

إنّ النزاع القائم بين الحجاز ونجد هو نزاع قديم إلا أن توتر العلاقة بين الملك حسين وسلطان نجد ابن سعود وصل إلى قمته سنة 1914 وكان انفجار الحرب بينهما متوقعا بين لحظة وأخرى إذا لم تحدث أي تسويات بينهما وكان على بريطانيا أن تقوم بهذا الدور لأن الطرفين حليفاها وكانت تمويلهما بالمال والتأييد ولكنها كانت مشغولة حينئذ بتسويات الصلح في أوروبا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وكانت نقطة الاحتكاك الأولى بين الخصمين النجدين والحجازي التي حوّلت هذا التوتر إلى حرب قضية واحدة "الخرمة" فقد استولى عليها ابن السعود بعد أن تنازع حاكمها الهاشمي مع حسين وانضم إلى الوهابيين لكن الشريف حسين حاول أن يستولي عليها بالقوة ثلاث مرّات سنة 1918 وفشل فأعاد الكرة سنة 1919 واستطاع أن يحصل على تأييد بريطانيا هذه المرة واعتقد أنها تستطيع أن تصدّ ابن سعود عن تقديم أي مساعدة للخرمة إذا هاجمها.<sup>1</sup>

علم ابن السعود بالتأييد البريطاني للملك حسين من الحاكم المدني في بغداد الذي حذره من أن يخالف رغبة ملك بريطانيا إذ سيفقد بذلك الإعانة البريطانية الشهرية (حوالي 5000 جنيه) (وكون الملك حسين

<sup>2</sup> عبد العزيز آل سعود : ( 1876 ) عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن، ملك المملكة السعودية الأول ومنتشها، استولى على الإحساء والقطيف وضم عسير إلى ملكه وأزال إمارة آل رشيد في الشمال، قضى على دولة الهاشميين في الحجاز 1925 وأصبحت مكة عاصمة آل سعود ونودي به ملكا على الحجاز ونجد، توفي بالطائف

ودفن في الرياض سنة 1953، الأعلام، مرجع سلف ذكره ج. 4.

<sup>3</sup> مقال " :رسالة سلطان نجد"، الصواب، 12 جويلية 1924، سنة 20، عدد 432، ص 2

المزيد التوسع أنظر Antoine Zischka – IBN SEOUD Roi de l'Arabie op. cit. T1. P.P. 144 - 176

قوة تحت قيادة ابنه عبد الله<sup>2</sup> وجهزها بالمدافع والبنادق الآلية وتجمعت القوة في نهاية أبريل سنة 1919 عند "الطائف" وتقدمت إلى "الخرمة" عن طريق "تربة" وقد أسرع ابن سعود مخالفا رغبة بريطانيا فوقف إلى جانب "الخرمة" وبقي خارجها على الحدود النجدية. وكان الأمير عبد الله قد أرسل تحذيرا إلى حاكم الخرمة فردّ عليه بما طمأنه، إلا أنّ الوهابيين باغتوه بالليل فتفرّق شمل الجيش الحجازي وفرّ عبد الله عندما أحسّ بالخطر مع أركان جيشه إلى الطائف ومنها إلى مكة وقد استولى الوهابيون على تربة وأصبح الطريق إلى مكة مفتوحا أمام الوهابيين لكن عبد العزيز آل سعود لم يشأ التقدم أكثر ممّا فعل بل احتفظ بالمدينتين خرمة وتربة فقط، ويبدو أنّ عبد العزيز باكتفائه بهاتين المدينتين قصد عدم إغضاب بريطانيا أكثر من ذلك وعدم إثارة العواطف الإسلامية ضدّه بمهاجمة المدينتين المقدستين .

لقد كان وضع الشريف حسين في تدهور مستمر في هذه الفترة إذ فقد إعانة الحكومة العثمانية الاتحادية المالية التي كانت تقدّمها له بعد ثورته عليها سنة 1916. كما قطعت عنه بريطانيا إعانتها في فيفري سنة 1920 وحلّ به ضيق آخر عام 1923 عندما منعت الحكومة المصرية محمل هذا العام من السفر إلى مكة. أمّا علاقته ببريطانيا فقد ساءت للغاية وذلك لرفضه إبرام معاهدة فرساي لما جاء في البند 22 منها وهو بند كان ينصّ على الانتداب على البلاد العربية وهكذا فإنّه حينما تجددت الحرب سنة 1924 بين الملك حسين والأمير الوهابي السعودي. كان الملك حسين في وضع مالي وسياسي وعسكري وديني لا يحسد عليه.

لقد كان من أسباب تجدد الحرب المباشرة بين الحسين وعبد العزيز آل سعود فشل مؤتمر الكويت (استمرّ من 17 ديسمبر 1923 إلى 6 جانفي 1924) الذي دعت إليه أنقلترا لتسوية النزاعات بين الطرفين وقد فشل المؤتمر نتيجة إصرار الحسين على أن لا يرسل مبعوثين عنه إلى المؤتمر إلا إذا أعاد الأمير الوهابي "الحائل" و "الخرمة" إلى

<sup>2</sup> عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسيني الهاشمي (1882-1981) أمير شرق الأردن ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية، شارك والده في الثورة على الترك سنة 1916، دخل عمّا سنة 1921 وأصبح أميرها بعد أن اتفق مع وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل ثم ملكا عليها سنة 1946. قتل في المسجد الأقصى بالرصاصة، الزركلي، الأعلام، مرجع سلف ذكره، ج 4 ص

الحجاز ولأن كلا منهما كان يلقي بمسؤولية الأزمة على الآخر فإنّ المسألة بقيت على وضع من الجمود هذا الوضع سينتهي بعد سقوط مكة (1924) والمدينة (1925) في أيدي الوهابيين السعوديين بتنازل الحسين عن عرشه في 5 أكتوبر سنة 1925.

لقد طرح النزاع على السلطة في الجزيرة العربية بين الهاشميين والوهابيين على الباروني السؤال : من يجب أن يناصر ومن يجب أن يخذل من العرشين؟

لقد كان موقفه موقف النابذ لكلّ تقابل بين العرشين أي موقف من يقول بإبقاء الأحوال على ما كانت عليه رافضاً تصوّر الشريف حسين دولة الخلافة التي يطمح إلى تأسيسها على الهيئة التي يرسمها ما صرح به في جريدة "القبلة" في العدد 737 الذي صدر بمكة في 6 أبريل 1924 بيانا عاما من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة بامضاء رئيسها محمد بن علوي " : هو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالإمارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب وأن كل أمير في أي إمارة من هذه الإمارات الموروثة لهم من آبائهم وأجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها إمارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كلّ من خرج عنهم أو شدّ بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى « : فقاتلوا الذي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله » وأما ما كان خارجا عن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بدّ من عودتهم إلى ما كانوا عليه كعودة الإمام يحيى إلى صنعاء<sup>1</sup>»

إنّ تصوّر الشريف حسين للخلافة اقتصر على الجزيرة العربية دون غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى أي أنّ دولة الخلافة ستتكون من : إمارة الحجاز، العسير، اليمن، ابن رشيد، باب المندب، محج، حضرموت، الكويت، مسقط، البحرين، شرقي الأردن، سلطنة نجد ومملكة العراق، في حين أنّه استثنى بلدان المشرق وشمال إفريقيا والهند وغيرها من الأقطار الإسلامية المتفرقة في أنحاء العالم .

<sup>1</sup>محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، مرجع سلف ذكره، ص 25

## تصوّر الشريف حسين لدولة الخلافة<sup>1</sup>

هذا التصوّر للخلافة يتعارض مع تصوّر الباروني الذي يتّسم بالشمولية لأنّ دولة الخلافة في نظر الباروني يجب أن تضمّ كل الأقطار التي غيّبها الشريف حسين والتي تدين بالإسلام .

إنّ موالاته الشريف حسين وأبناؤه للأنكليز وعقده معاهدة الحماية ورغبته في تأسيس خلافة في حدود الجزيرة العربية كل ذلك تسبّب في نفور عدد كبير المسلمين منه والمطالبة بعزله من المنصب الذي تولاه لأنّه غير مؤهل لتولّي منصب سياسي -ديني مهمّ إلى هذه الدرجة أو

---

<sup>1</sup>استفتاء محمد الناصر النفاوي حول حوار الحضارات، القدس 11 سبتمبر 2001 ص. 28.

لإخضاع جميع المسلمين إلى حكمه، كتب الجعايبى في مقال بعنوان " الشريف حسين والخلافة "

"ومن أعجب ما يتلى أن ملك الحجاز قام يطالب بالخلافة الإسلامية في نفس الساعة التي يحاول المسلمون فيها إنزاله من عرش مكة وإبعاده عن تلك البقاع المقدسة لأنها في نظر عموم المسلمين ملك مشاع بينهم فلا يمكن أن يرقى عرشها رجل خاذل لهم وفاصم لعرى الوحدة الإسلامية التي يهيم بحبها المحمديون"<sup>1</sup>

وقد اقترح الجعايبى مرشحين عربيين رأى أحقيتهما في هذا المنصب هما الشريف حسين يحيى إمام اليمن وأحمد السنوسي لأن الأول لم يوال الأنقليز وعرف بالاستقامة والثاني يمثل حامي الدين الإسلامي بطرابلس الغرب. ويمكن لغير هذين الأميرين ممن توفرت فيه شروط الخلافة أن يتولّى منصبها، من المنطقي إذن أن يرفض الباروني مبايعة الشريف حسين رغم الاستقبال الحار الذي استقبل به في مكة والاهتمام الكبير الذي حظي به من الشريف حسين، كتب الباروني في رسالة بعثها إلى وادي ميزاب من جدة في 20 ديسمبر 1924

" اليوم رجعت إلى جدة في سيارة أوتوموبيل خصوصي من طرف جلالة الملك، وقد قلّدي نيشان "الاستقلال الهاشمي" وهو أكبر نيشان عنده أيده الله وحماه وبتوسط حكومته رخص لي الأنقليز في الذهاب إلى مسقط ولم أقدم بيعة الخلافة كما بايع غيري"<sup>1</sup>

موقف الباروني الراض لبيعة الشريف حسين كان إذن موقفا متوقعا رغم الصداقة التي ربطت بينهما في دار الخلافة قبل قيام الجمهورية التركية واعتذار الشريف حسين المتأخرة عن موالاته الأنقليز وأسباب هذا الرفض كثيرة :

أولها : علاقة الباروني العضوية بالدولة العثمانية رغم سقوطها.

ثانيها : اقتناع الباروني بعدم قدرة هذه الشخصية على الحفاظ على الإسلام ضد الغزو المسيحي الغربي نظرا إلى متانة علاقته بالأنقليز .

<sup>1</sup>مقال " الشريف حسين يمّتي نفسه بالخلافة " الصواب، عدد 420 سنة 15 / 20 فيفري 1924، ص 1  
<sup>1</sup>أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 208

ثالثها :أنّ الخلافة ستتحصر إن نجح مشروعه في الجزيرة العربية فتقضي أقطار العالم الإسلامي الأخرى وهو ما يتعارض مع فكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها الباروني .

ويمكن تعميم موقف الباروني على جميع المسلمين الذين يرون في خلافة الشريف حسين خطرا على البقاع المقدسة وعلى الإسلام وسوف يدخل الأمير عبد العزيز آل سعود في أواخر سنة 1924 إلى مكة امتثالا لإرادة مسلمي الهند والعالم الإسلامي المعارضين لسياسة الشريف حسين ففي 5 "أكتوبر 1924، دخل الأمير ابن سعود دخول المظفر الفاتح"<sup>2</sup>

بعد أن احتلّ الوهابيون مدينة مكة للمرة الثانية إذ سبق أن هجموا عليها في السابق في عهد الأمير غالب بن مساعد<sup>3</sup> وأيام الخليفة سليم الثالث، وما ارتدوا عن البيت الحرام إلا بتدخل إبراهيم باشا المصري الذي أجلاهم عن مكة ثم تواصل زحف الوهابيين إلى جدة وبدأ حصارها ف 6 فيفري 1925 واستمر الحصار لعدة أشهر استطاع الوهابيون أثناءها احتلال المدن والجهات التي حولها فسلمت "ينبع" في أول ديسمبر والمدينة في 5 ديسمبر وفي 17 ديسمبر تنازل علي بن الحسين<sup>1</sup> عن العرش وانسحب إلى العراق قصد الانضمام إلى أخيه فيصل<sup>2</sup>.

وقد كان الباروني أثناء احتلال البقاع المقدسة في مسقط التي دخلها في غرة جانفي 1925 بعد أن توسط له الشريف حسين عند الأتقليز ليسمحوا له بالذهاب إليها .

فماذا كانت عليه حياة الباروني في مسقط وعمان؟

<sup>2</sup> Edouard Brémond : Yemen et Saoudia, L'Arabie Actuelle, Paris 1937 ; p 124

<sup>3</sup> غالب بن مساعد بن سعيد الحسيني من أمراء مكة ,وليها بعد وفاة أخيه سرور ، هاجمه الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد وهاجمت جيوشه الحجاز مما دفعه إلى التقهقر إلى جدة وطاعة سعود، وعاد إلى مكة واستمرّ في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا والي مصر على السعوديين فتحوّل عن ولائه لآل سعود استخدمه محمد علي ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر ثم أرسل إلى الأستانة ففتته حكومتها إلى سلانيك فتوفي بها سنة 1816، الأعلام، مرجع سلف ذكره، ج 5، ص 115.

<sup>1</sup> علي بن الحسين الهاشمي ، أكبر أبناء الملك حسين وآخر من سمي ملكا في الحجاز من الهاشمين ولد بمكة سنة 1881، برز نشاطه في ثورة أبيه على الترك ( 1916- 1918) جعله والده رئيسا لمجلس الوكلاء بمكة، ثم بوع ملكا بعد والده في 4 أكتوبر 1923، حاصره ابن سعود في جدة فنزل عن العرش في 17 ديسمبر 1925، توفي في 1935، الأعلام ، مرجع سلف ذكره، جزء 4 ص 282

<sup>2</sup> مقال "الشريف حسين يمّني نفسه بالفلاحة، الصواب، عدد 420، سنة 15-20 فيفري 1924 ص 1.



## الفصل الرابع

الباروني بين واقعية السلطنة السعيدية

ومثالية الخلافة الخليلية الإباضية

في عمان

زامن نزول الباروني على السلطان تيمور بن فيصل بعاصمته  
بمسقط في جانفي 1924 تأزّم العلاقات بين عمان الإمامية التي يحكمها  
الإمام عبد الله الخليلي من جهة والأنقليز وابن السعود ملك نجد والحجاز  
من جهة ثانية، فقد عازمت بريطانيا على سلخ الجزء الشمالي من عمان  
وتمليكه لأجنبي باسم ملك عربي حتى تحافظ على مصالحها وشاع خبر  
معاهدة ثلاثية بين الأنقليز وتيمور بن فيصل سلطان مسقط وعبد العزيز  
آل سعود لغزو عمان الإمامة .

إنّ أكثر ما كان يخشاه أهل عمان هو أن يهاجمهم عدو جهة شمال الإمامة برّاً وبحراً فكانت الأنظار تتّجه دائماً إلى مدن دبي والشارقة باعتبارهما خليجاً يصلح لأن يكون مرسى لأكبر أسطول بحري . إضافة إلى أنّه يعدّ مدخل الخليج العربي الفارسي فإذا عمّر يكون باباً مغلقاً على ما وراه إلى البصرة ثغر العراق . وقد كانت عمان منذ القديم لا تغزى برّاً إلا من تلك الجهات لقربها من نجد والعراق .

هذا الموقع الهام جعلها محلّ أطماع القوى العظمى خاصة أنقلترا التي تسعى إلى ربط مستعمراتها بحراً فقد اعتزمت الحكومة الأنكليزية تأسيس مطار على سواحل خليج فارس لتحليق الطيّارات بين عمان والهند يكون متّماً للخط الممتد من الهند -العراق -فلسطين-مصر .

لقد تركت هذه الاتفاقية الأثر السيئ في نفس الباروني فقد استنكر ما أقدمت عليه هذه الدول خاصة مملكة نجد والحجاز لأنّ مخطّط الأنكليز الاستعماري كان أمراً معلوماً في حين أن الوهابيين الذين يدّعون أنّهم حماة الدين والآثار النبويّة ليس لهم عذر في عقد هذه المعاهدة خاصة أنّهم تذرّعوا عند إبعاد آل الحسين من الحجاز بعداوة هؤلاء للمسلمين وتحويلهم مكّة دار حرب .

كان الباروني يرى أنّ معاهدة كهذه من شأنها أن تؤلّب العالم الإسلامي على الوهابيين خاصة بعد حدوث المذابح الحجازية -النجدية أثناء دخول الوهابيين مكة سنة 1924 .

كما دعا أيضاً إلى ضرورة تكذيب الملك السعودي هذا الخبر وإعلان براءته من هذه المعاهدة حتى يتجنّب غضب المسلمين .

ويبدو موقف الباروني من الوهابيين أكثر وضوحاً في الرسالة التي وجّهها إلى المؤتمر الإسلامي<sup>1</sup> حين كان في مسقط سنة 1925 للتباحث في قضية الخلافة فكتب أنّ الخلافة الحالية غير قادرة على حماية الآثار النبوية وأنّ عدم الخلافة مؤقتاً والسعي في إيجادها في المستقبل أولى من الخلافة المضحكة والمسارعة على البيعة مرة ثالثة وحيث أنّ أقوى الدول الإسلاميّة القريبة من الحجاز وأقدرها على

<sup>1</sup>كلف الإمام محمد بن عبد الله الخليلي سليمان الباروني بحضور المؤتمر الإسلامي المنعقد في مصر نيابة عنه لكن دول الأحلاف منعتة من ذلك فأرسل آراءه حول مسألة الخلافة كتابياً .

محافظة هذه الآثار هي الدولة المصرية فإنها الأحق بالخلافة. وقد طلب الباروني من المؤتمر تنصيب ملكها خليفة على المسلمين مبدئياً إلى أن تتحمل أعباء الخلافة باستقلالها التام<sup>2</sup>

إن تأكيد الباروني على ضرورة بقاء الخلافة في مصر يعكس موقفه الرفض لهيمنة الوهابيين على العالم الإسلامي فقد أدرك عجزهم وعدم قدرتهم على قيادة المسلمين أو حماية الإسلام من الغزو الغربي بعد أن تأكدت علاقتهم بالأنقليز منذ الحرب العالمية الأولى، فقد تقيد السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل بمعاهدة مع الحكومة البريطانية في 26 جانفي 1915 وأبرمها نائب الملك في الهند في 18 جويلية 1916 اعترفت فيها أنقلترا بسيادة ابن السعود على الأحساء ونجد والقطيف وجبيل وما يتعلق بها من أراض وموانئ على ساحل خليج فارس والزمته بعدد الشروط كمراجعة الدولة البريطانية في حالة تجاوز أي دولة أجنبية على أراضيه، فالدولة المعتمدة يجب أن تستشير أنقلترا أو تمنحها فرصة للخابرة مع ابن السعود. كما منع الملك من الدخول في أي مخابرة أو اتفاق معاهدة مع أي دولة أجنبية دون إعلام الحكومة البريطانية وتعهد بعدم التصرف في أراضيه بالبيع أو الشراء أو التأجير أو منح امتياز في ضمها لأي دولة أجنبية أو لرعاياها وتجنب أي تجاوز أو تدخل في شؤون أراضي الكويت والبحرين وشيوخ قطر وساحل عمان الذين هم تحت الحماية البريطانية والذين لهم روابط عهدية مع الحكومة المشار إليها.<sup>1</sup>

هذه المعاهدة تخدم مصالح أنقلترا دون الملك النجدي الحجازي الذي دعا البعض إلى اختياره خليفة للمسلمين وحاميا للدين الإسلامي لأنه لا يتمتع بحكم فعلي ومستقل يحمي دولته من التسلط الاستعماري وإنما نصب ليحمي مصالح أنقلترا في الخليج وصدر في الواجهة حتى تحمي بريطانيا نفسها من ثورة العرب بعد أن سلبت منه جميع الصلاحيات وتمكنت من بسط نفوذها في الخليج .

وقد اعترف عبد العزيز آل سعود بانعقاد هذه المعاهدة ولم ينكر دورها في تغلبه على الأمير ابن الرشيد الموالي للسلطنة العثمانية أثناء

<sup>2</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 1، ص 25

<sup>1</sup> مقال " الحركة الوهابية "، وادي ميزاب، سنة الأولى، عدد 103 ديسمبر 1926، ص 1

الحرب الكبرى وبيّن فضلها في تولّيه الحكم في الحجاز بعد أن رفض الملك حسين بن علي التوقيع على المعاهدة التي عرضها عليه الأنقليز مدّة سنتين. وقد تمكّن الأنقليز من إزاحة هذا الأخير بعد أن أمّدوا أمير نجد بالأموال والأسلحة كتب ابو اليقظان في لهجة قاسية عن إمام الوهابيين<sup>2</sup>

"غزا الحجاز خلّسة وغدرا وأعلن امتلاكه له واستبداده به رغم ما عاهد الناس عليه من أنّه لا يحتلّ تلك البلاد المقدّسة إلا باسم العالم الإسلامي ولخير الإسلام والمسلمين ثم يعود من حيث أتى بعد استتباب الأمن وتأييد النظام"<sup>1</sup>

وقد تنبأ الباروني بهذا الوضع سلفا عندما كان في باريس لما شاع خبر المعاهدة الأنقليزية الحسينية فقد أشار في مقاله "نداء من باريس إلى العالم الإسلامي"<sup>2</sup> إلى مصير الحجاز بعد تلك المعاهدة وإلى قيام أحد رؤساء الجزيرة مدفوعا من نفسه أو من يد أجنبيّة أو على غير علم وقهره للملك حسين وطرده إياه إلى جدّة وحضور مدرعة الحلفاء الأنقليزية لتحمله إلى جزيرة أروبية، وقد تحقّق ما قاله بعد سنة ونصف وأبعد الخليفة السابق الحسين إلى جزيرة قبرص .

ولم يكتف عبد العزيز آل سعود بالمعاهدة الأولى مع الأنقليز بل دَعَمها بمعاهدة ثانية في 20 جانفي 1927 لمعرفته بما سيكون عليه مصيره لو عارض مصالح أنقلترا .

توكّد المعاهدة الثانية إذن على تبعيّة الحجاز ونجد وغيرهما من الأراضي للدولة البريطانية وتوسّع صلاحيات الأنقليز في الخليج العربي فالمادة الثانية منها تمنع عقد مؤتمر الحج الإسلامي الذي أسّسه الملك حسين وعقده الملك النجدي الحجازي مرّة واحدة قبل إعلان تعطيله ويرى الباروني أنّ هذه المادة قد "فتكت بمؤتمر إسلامي في حرم الله

<sup>2</sup>أنظر فيما يتعلّق بمثل هذا الموقف من الوهابيين السعوديين ماجستير الباحثة التونسية جليّة المؤدّب: ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية: الحبيب ثامر (ت 1949 وعلي الحمّامي) ت (1949) ومحمد أحمد بن عيود (ت 1949)، تونس كلية العلوم الإنسانية، الاجتماعية، 2006، (غ.م) بإشراف الأستاذ محمد الناصر النفزاوي .

<sup>1</sup>مقال "الحركة الوهابية، وادي ميزاب، السنة الأولى، عدد 10، ص 1.

"نداء من باريس إلى العالم الإسلامي"، جريدة الصواب، 17 أوت 1923، ص 1-2.

بالمشرق وهي في صدر مبتكرها في لندن بأقصى المغرب فكيف يكون فعلها بعد أن ظهرت للعيان مدعمة بالقوة المسلحة؟<sup>3</sup>

كما أنها تمنع المسلمين الواقعين تحت الاستعمار الأنقليزي من أداء فريضة الحج لأنهم يمثلون أعداء في نظر بريطانيا واجتماعهم في مكة يعدّ مؤامرة ضدها ونزولهم في جدة يعتبر خرقاً للمعاهدة وهذا ما تطمح إليه أنقلترا التي ترى الحج اجتماعاً سياسياً في شكل ديني خاصة بعد أن أوكلت ملك الحجاز ونجد مهمة الرقابة .

أما المادة الثالثة فهي تلزم الحاكم الوهابي بالمحافظة على سلامة المسلمين من الرعايا البريطانيين في بلاده فيما يخصّ أموالهم وأرواحهم هذه المادة حسب الباروني تنصّب عبد العزيز آل سعود الذي لم يطالب بحماية رعاياه في المستعمرات الأنقليزية "شرطياً بريطانياً" على بلاده .

كما طالبت بريطانيا بتسليم أموال البريطانيين الذين يتوفون في الحجّ إلى المعتمد البريطاني في الحجاز، وهذا الامتياز يحدّ من استقلال الحاكم الوهابي السعودي ويقلّص دور محاكمه الشرعية لأنّ تأسيس المحاكم القانونية يصبح ضرورة لحماية الرعايا الأجانب .

تتعلّق المادة السادسة من المعاهدة بعمان الإمامية التي أصبح الأنقليز يستهدفونها اليوم . وقد ذهب الباروني إلى أنّ الملك الوهابي السعودي لم يطلع على مواد المعاهدة التي أبرمها مع الأنقليز وأنّه يجهل محتوى البنود بسبب إظهاره الثقة المطلقة برجال بريطانيا في الوقت الذي يجدر به التثبّت لأنّ هذه المادة صرّحت بوجود معاهدة بين بريطانيا وإمامة عمان في حين أنّ الواقع غير ذلك لأنّ عمان لم تعقد اتفاقية مع بريطانيا فكان الواجب على عبد العزيز آل سعود "طلب الاطلاع عليها ليبنى أموره على يقين ولا شك أنّه لا يجده لأنّه لا معاهدة لبريطانيا مع مملكة عمان"<sup>1</sup>

حدّدت صلاحية هذه المعاهدة في المادة الثامنة لمدة سبع سنين لكن الباروني يرى أنّها ستتجدّد قبل انتهاء المدة المفترضة لأنّ بريطانيا ستحدث "ما يجعل ابن السعود شديد الرغبة في تمديدتها وتوسيع حرية

<sup>3</sup>مقال "رد وتعليق"، وادي ميزاب، عدد 68، السنة الثانية، 25 أوت 1928، ص 1.

<sup>1</sup>ردّ وتعليق"، جريدة وادي ميزاب، 25 أوت 1928، السنة 2، عدد 68، ص 1

بريطانيا في العمل معه لتعمير الحجاز وتوفير أرباحه وتأمين سبله حتى لا تتخلى عنه وفي غيره من ملوك وأمراء الشرق الملجمين<sup>1</sup> وأن هذه المدة وضعت لإسكات الناس الثائرين في وجه الاستعمار الأنقليزي .

كما اتفق الطرفان المتعاقدان على اعتماد النص الأنقليزي في حلّ الخلافات لا النص العربي وهو ما يعني تصرّف الأنقليز شبه المطلق في النزاعات وفرض ما يخدم مصالحهم لأنهم سيفسرون المواد بما يخدم مصالحهم ولا يمكن للملك النجدي الحجازي أن يعترض على ذلك لأنه يجهل اللغة الأنقليزية .

إن بنود المعاهدتين كما رأينا تسلّم الأنقليز الحجاز ونجد وهذا ما اعترض عليه العالم الإسلامي والباروني الذي كتب مقالا امتدّ على ثلاثة أعداد من جريدة "وادي ميزاب" رداً على مقال لعن نشرته جريدة "أم القرى" الناطقة باسم الملك الوهابي عندما سأل الباروني عن صحة خبر إنشاء قنصل في الحجاز ونجد. وقد تعرّض الباروني في مقاله لبنود المعاهدة وبيّن خوفه منها بعد أن عدّد مضارها.

وكان الاعتراض متمحوراً حول بعض النقاط من أهمّها ما يتعلّق ببلاد الحجاز باعتبارها بلد الله المقدّس وقبلّة العالم الإسلامي فهذا الدور الديني الهام الذي تضطلع به وصفة القداسة التي تميّزها عن سائر البلدان الأخرى يجعلانها تسعى دوماً إلى الحفاظ على استقلالها. ونقد الباروني موجّه إلى البنود التي تمثّل خطراً على الدين الإسلامي خاصة أنّه من دعاة الجامعة الإسلامية كتب :

" أداء للحق الواجب عليّ نحو قبليّ المقدّسة أتقدّم إلى إخواني المسلمين ببيان ما ظهر لي من مضارها التي لم أعثر فيما رأيته من الصحف على كلام لأحد في ايضاحها راجياً أن لا يعدّ تعرّضاً للنتاج السعودي وإنّما هو من باب التنبيه وبيان رأي لا يجوز كتمه لأني أنزّهه من تعمدّ قبول ما يعود بأدنى ضرر على قبلة العالم الإسلامي.<sup>1</sup>"

إن نتائج هذه المعاهدة حسب رأي الباروني ستكون ضارة بالإسلام والآثار النبويّة لأنّ مكة وجدة والطائف والمدينة ستزدحم

<sup>1</sup>مقال "ردّ وتعليق، جريدة وادي ميزاب، عدد 68، السنة 2، ص 1

<sup>1</sup>مقال "ردّ وتعليق"، وادي ميزاب، عدد 69، السنة الثانية، 25 أوت 1928، ص 1

بالمهاجرين الحاملين لجنسيات أجنبية القادمين من المستعمرات وحتى تتم المحافظة على حقوقهم وجب إشراف القنصليات عليها وإنشاء محاكم قانونية وتقسيم مكة إلى مناطق تخصص لهم ليسهل ضبطهم كما يستوجب وجودهم أثناء موسم الحج تقسيم الحرم الشريف لقضاء مناسكهم حتى يتجنبوا الإختلاط والأمراض أو تناوب الأدوار في أداء المناسك وهذا الأمر يفترض تحديد وقت قصير للحج بسبب الاكتظاظ وهو ما يمنع الإختلاط بين المسلمين القادمين من كافة أنحاء العالم ويحقق أهداف أنقلترا التي تخشى من المؤامرات وتعتبر الحج تجمعا سياسيا ظاهره ديني .

إضافة إلى أن السماح للأجانب بالحج يمكن بريطانيا من تعيين الأنقليز المسلمين للإشراف على مراكب الحج فيكونون أولى من غيرهم بالرئاسة فيصبح "القواد الصغار لحجاج المستعمرات هم القناصل المسلمون والقائد الأكبر الذي يقف بهم في عرفات هو الأنقليزي المستسلم الذي رجع من هناك لا يوجد له أثر في شؤون الإسلام."<sup>2</sup>

كما يبيح وجودهم تأسيس شركات أجنبية بأسماء أشخاص مسلمين من كل مستعمرة تعنى بإيصال حاجها في السيارات إلى مكة و عرفات والمدينة وبذلك تحصر كل دولة استثمار حج رعاياها في نفسها .

إن الحرية المطلقة التي تمتع بها الأجانب بفضل تسهيلات ملك نجد والحجاز وعدم تفكره في عواقب المعاهدة وما ينتج عنها من مضار وتهديد للدين الإسلامي يبيحان مستقبلا رفع رايات الصليب في مكة قبله المسلمين .

وما يمكن ملاحظته هو أن ما دفع الباروني إلى معارضة توقيع الحاكم الوهابي هذه المعاهدة هو دافع ديني بالأساس لأنّ الخوف على الإسلام كان هاجسه الأوّل خاصة أنّه كان من دعاة الجامعة الإسلامية وأنّ حركة التبشير في المشرق قد ازدادت نشاطا فهل ننتظر من مفكر إسلامي أن يقبل بإشراف الأجانب المستعمرين على الحج الذي يمثل ركن الإسلام الاجتماعي أو الإفتاء في المسائل الدينية؟

<sup>2</sup> مقال "رد وتعليق"، وادي ميزاب، عدد 69، السنة الثانية، 25 أوت 1928، ص 1

إنّ اعتراض الباروني بيّن خاصة في مسألة الحجّ إلى مكة وقد وضح هذه المسألة في مقاله في جريدة وادي ميزاب فكتب " :يتّضح أنّ الحجّ سيكون بسبب هذه المعاهدة عبارة عن معرض تجاري لدول الاستعمار تحشر إليه كل دولة من مستعمراتها كل من لا يعرف من الحجّ إلا التهليل والتكبير والطواف وتقبيل الحجر الأسود والوقوف عاري الرأس في عرفات ورمي الجمار وأكل لحوم الضحايا، وكل شيء غير ذلك مبطل للحج موجب للوزر العظيم خصوصا إذا كان كلاما في السياسة. وأمثال هؤلاء ترغّب دول الاستعمار في سوقهم كالأنعام في مراكبها وسياراتها إلى مناطقها المخصصة لها في مكة وغيرها لتبتزّ بقتية ما خفي عليها من أموالهم وتكون الصورة رابحة من جهة، وأمنة شر مؤتمرات الحج الرهيب (من جهة أخرى، وأراحت الملك ابن السعود من تحمّل مسؤولية الثانية والثالثة والخامسة من المعاهدة وستجد من العلماء الزاهدين الناصحين في مستعمراتها من يطنب في مدح هذه الحالة ويقول أنّ الحجّ قد أصبح الآن صافيا نقيّا سهلا.<sup>1</sup>"

أما فيما يتعلّق بموقف الباروني من سلطان مسقط تيمور بن فيصل فقد اعتبر أنّ إشراكه في هذه المعاهدة هو مخطّط أنقليزي يهدف إلى التمرّكز في المنطقة لأنّ السلطان قد اعترف بسيادة الإمام في معاهدة السيب سنة 1920 واتفق الطرفان على المساواة في السيادة وعدم تدخّل كل طرف من الطرفين السلطنة والإمامة في شؤون الآخر. إضافة إلى أنّ كلا منهما قد استجاب إلى مبدأ توحيد الإمامة والسلطنة الذي اقترحه الباروني حين كان في مصر وسعى إلى تجسيده عندما وصل إلى مسقط.

هذان الأمران جعلتا الباروني يستبعد اشتراك السلطان في المعاهدة فكتب " :وستسمعون إن شاء الله باتحاد كلمة هذه المملكة حتى مع عظمة السلطان بعد أن شنتتها الدسائس والأغراض.<sup>1</sup>"

ويذهب الباروني إلى أنّ هذه الدسائس قد حاكتها أنقلترا قصد إحداث الفتن بين السلطنة والإمامة والشيوخ المجاورين لهما حتى تتمكّن من التدخّل في شؤونهم الداخلية بدعوى حفظ الأمن والسلام ثم

<sup>1</sup>مقال "رد وتعليق"، وادي ميزاب، عدد 69، السنة الثانية، 25 أوت 1928، ص 1  
أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 4



المحافظة على مصالحها الموجودة في الخليج العربي والهند وأن السلطان تيمور بن فيصل بريء من هذه المعاهدة "ولا شك في أنه إذا حضر من ظفار يعلن براءته من هذه المعاهدة على صفحات هذه الجرائد إذا كان بريئاً منها كما هو منتظر<sup>2</sup> "

بدأ العمانيون يستعدون لهذا الهجوم مستعينين بالمشائخ المجاورين فقد قدم إلى الشيخ عيسى والإمام الخليلى وفد من شمال عمان يرأسه مشائخ دبي قصد تأكيد الروابط معهما وتنظيم خطة لصد غارة الملك الوهابي والأنقليز على تلك الجهات إذ ثبت إخبار قرب هجومها وقد انعقد في شهر أبريل 1925 بأمر الإمام الخليلى مؤتمر في حصن بهلا غرب نزوى حضره العلماء وقواد الجيش ورؤساء القبائل وكان من بينهم الباروني وقد تداولوا فيه التدابير الواجب اتخاذها إزاء مركز عمان الشمالي الذي كان مسرحاً للدسائس الأجنبية .

إنّ الخوف على البلاد من الاستعمار دفع بلاد عمان ورؤساء قبائلها إلى الالتفاف حول الإمام بعد تشتت كلمتها وساهم في إيقاف حالة الحرب القائمة بين القبائل باستمرار والحدّ من عصيان الرؤساء. فقد "أدرك الجميع مضار الانقسام وأحسّوا بما يحيط بهم من الخطر براً وبحراً وأعلن القابضون على الحصون أنّهم مستعدّون لمن يتصدّى للدفاع"<sup>1</sup>

فقد استجاب الجميع إلى دعوة الباروني القائمة على ضرورة الاتحاد لأنّ توحّد كلمة البلاد يجنبها الفتن ويمنع الأجانب من التداخل في شؤون البلاد ويضمن استقلالها الداخلي والخارجي .

لم يقتصر الباروني في نشاطه السياسي على السعي إلى توحيد القبائل داخل الإمامة فقط بل عمل على توحيد سياستي السلطان تيمور بن فيصل والإمام الخليلى، فلما شاع ما ذكرنا سابقاً من عزم بريطانيا على سلخ الجزء الشمالي من عمان وتمليكه لأجنبي باسم ملك قام أصحاب النفوذ والفكر في أكثر جهات عمان يسعون إلى تكوين حزب "الاتحاد العماني" للتوفيق بين الإمامة والسلطنة وتوحيد المملكة من قطر إلى ظفار. وقد كان الباروني من بين العلماء الذين ساندوا هذه الفكرة وعملوا على تجسيدها "فكانت الكلمة واحدة والخطة واحدة

<sup>2</sup>أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص5

<sup>1</sup>أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 6

والهدف واحد ولو اختلفت الوسائل وتباين الموقف على أن موقف سلطنة مسقط نفسها لا يزال حافظا لاستقلاله الذاتي ولم يكن لأجنبي في نفس الأمر والواقع إلا الإشراف البعيد على ما يتبادر<sup>2</sup>

كما دفع الباروني بفضل توجيهاته السلطان تيمور إلى القيام ببعض الإصلاحات في السلطنة وإدخال الأنظمة الحديثة عليها حتى تتمكن من مجاراة حركة التحديث ومواكبة التطور الذي مضت فيه الدول العظمى أشواطاً متقدمة مكنتها من السيطرة على الدول الضعيفة سياسياً واقتصادياً بل أصبحت قضية التحديث وهاجس التقدم وسيلتها في غزو هذه الأقطار .

ونظراً إلى أهمية آراء الباروني السياسية فقد فوض له الإمام عبد الله الخليلي مهمة تنظيم المملكة سنة 1926  
أمر تفويض الباروني إدارة مملكة عمان

"من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي إلى جماعة المسلمين ليعلم الحاضر الغائب .

إني فوضت الأمر في تنظيم المملكة تنظيمًا صالحًا للشيخ البروني (كذا) فبيده الملكية والعسكرية والمالية والسياسة الداخلية والخارجية فمن يخالفه أو يقف في سبيل أعماله الإصلاحية يعاقب ولا يلوم إلا نفسه<sup>1</sup>

فبدأ الباروني عمله في سماء بالاهتمام بوزارة الحربية والإدارة العسكرية فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ثم المالية وتولى بنفسه محاسبة المسؤولين عن إدارة أملاك بيت المال وجباة الزكاة وأموال الأوقاف التي استأثر بوارداتها المشرفون عليها فكان لا يصل إلى صندوق الإمام إلا الشيء القليل، وقد حفظ هذه الأموال في صندوق واحد لا يصرف منه إلا بأمر مصدق عليه من الإمام<sup>2</sup>

وقد توصل الباروني بعد مفاوضات مع رجال الأعمال والتجار في مسقط وعمان إلى تأسيس شركة وطنية لتسيير السيارات من مسقط إلى

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 24

<sup>1</sup> مقال :سليمان باشا الباروني يعين وزيراً لمملكة عمان جريدة وادي ميزاب، عدد 4السنة الأولى، 22 أكتوبر 1926، ص 1.

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 20..

سمائل ومنها إلى نزوى والشرقية. كما اهتمّ بالفلاحة فعمل على جلب آلات الريّ الحديثة عوضاً عن آلات الزجر القديمة وإحداث بئر ارتوازية لأنّ الماء موجود بكثرة في باطن الأرض<sup>1</sup>

أمّا فيما يتّصل بالجانب المعرفي، فقد شرع الباروني في تأسيس مدرسة كبرى أولها عنايته حتى تسير على نظام عصري وطراز حديث وعزم على جلب أساتذة ومعلمين من مصر أو العراق أو بقية عواصم الإسلام للتدريس بها ومنها يتخرّج مدرسون لمدارس تنشأ في جميع جهات المملكة<sup>2</sup>

أمّا فيما يخصّ العلاقات الخارجية فقد دعا الباروني إلى اتباع سياسة الحياد مع الدول الأجنبية والمسلمة خاصة الواقعة على حدود عمان حتى تتجنب خطر الأولى وتضمن عدم موالاته الثانية لها في حالة الحرب. كما اتخذ إجراءات جمركية فأحدث مراكز للجباية عن البضائع الأجنبية لكن بقي الاهتمام بالإصلاحات الداخلية أكثر من الاهتمام بالأمور الخارجية.

وقد أولى الباروني مشروعه الإصلاحية كل الاهتمام رغم حالة المرض التي كانت تعاوده بين الحين والآخر فكان يقضي "جلّ أوقاته بعد إسناد الأمر إليه بين مذكرات مع حضرة الإمام وبين تحضير المسودات وإملائها على كاتبه وإرسال نسخ مما أتمّ تنظيمه في سمائل إلى الولاة والمأمورين في الجهات الأخرى"<sup>3</sup>

أحدثت هذه الإصلاحات ردود فعل متباينة تراوحت بين المعارضة والتأييد.

مثل الفئة المعارضة المحافظون من الرؤساء والعلماء وخاصة منهم من كانوا يشرفون على الأوقاف لأنّ التنظيمات الجديدة كانت تهدد مصالحهم الخاصة وتحرمهم من استغلال سلطتهم وتوظيفها لخدمة أغراضهم، فبمجرد ما أخذ الباروني في تنظيم المالية رفع هؤلاء عقيرتهم بالاستنكار وبأساليب مختلفة فمن قائل إنّ هذا الأمر بدعة ومن قائل إنّ

<sup>1</sup> مقال "أبناء عمان"، وادي ميزاب، عدد 57 السنة الثانية 17 نوفمبر 1927، ص 2

<sup>2</sup> مقال "أبناء عمان"، وادي ميزاب، عدد 57 السنة الثانية 27 نوفمبر 1927، ص 2

<sup>3</sup> أبو اليقظان، حياة سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 30-31

مخالف للعادات ومن قائل إنّه من عمل النصارى، وقد علق أبو اليقظان على ذلك في مقال له فكتب " بلغنا أنّه وقعت معارضة من بعض رجال الدين على حركة الإصلاح التي قام بها المصلحون الأحرار من العمانيين وعلى رأسهم عظمة الإمام الخليلي ووزيره الأكبر الشيخ سليمان باشا الباروني (...). ونحن نأسف من وجود شيء يسمى معارضة (...). ولكن هو الألف والعادة وتعشّق كل قديم وإن كان فاسداً أو عاطلاً ويجعل الإنسان في كل زمان ومكان عدو لدود لكل جديد وإن كان منبعاً لسعادتي الدنيا والآخرة<sup>1</sup>"

وقد بلغت هذه المعارضة درجة الاحتجاج لدى الإمام دفع الباروني إلى تبرير هذه الإصلاحات وتوضيح ملامحها في مجلس الإمام أمام عامة الناس، فتحدّث في كل مواضيع التنظيمات التي قام بها مبيناً سلبية الوضع الراهن ومؤكداً على ضرورة التغيير وأهميته فأوهن هذه المعارضة وأفشلها .

أما الفئة المؤيِّدة لهذه الإصلاحات فيمثلها المثقفون أو من وصفهم الباروني "بالمستنيرين وأرباب المدارك الواسعة" ورجال السياسة والأدباء وعامة الشعب. كتب أبو اليقظان "أمّا سواء الأمة فلا تسأل عن ابتهاجهم وتعشمهم الخير في مستقبلهم الزاهر وأملهم في تقدّم أمّتهم وإرجاع مجدها الشامخ<sup>2</sup>."

فقد وعت هذه الفئة أهميّة الإصلاح ومدى مساهمته في نشر الوعي وتنشيط الاقتصاد والانخراط في حركة التقدّم والالتحاق بركب الحضارة إضافة إلى إمكانية انقاذ المملكة من الهيمنة الأجنبية لأنّ الدول العظمى أصبحت تتخذ التحديث وسيلة للضغط على الدول الضعيفة حتى تتمكّن من بسط نفوذها عليها واستنزاف ثرواتها. وقد احتفلت هذه الفئة المستنيرة بإنجاز الباروني الذي "تفتحت به أمامهم آفاق من الآمال الواسعة الكبيرة في حياة دولتهم وأمّتهم على يد هذا الإمام الجليل الساهر بحق على خير هذه البلاد بواسطة الباروني (...). الذي أحسنت

<sup>1</sup> مقال "أبناء عمان"، وادي ميزاب، عدد 55، السنة الثانية، 3 نوفمبر 1927، ص 2.

<sup>2</sup> مقال "أبناء عمان"، وادي ميزاب، عدد 30، السنة الأولى، 6 أبريل 1927، ص 1

دول الحلفاء صفعاً في تضيقها عليه حتى ساقه القدر إلى هذه البلاد  
رحمة ونصيراً<sup>1</sup>

لم يكتمل مشروع الباروني الإصلاحى بسبب حمى الملاريا التي  
كانت تعاوده باستمرار وهو ما جعله ينقطع في كل مرة عن مباشرة  
أعماله فقد لازمت الحمى الباروني منذ سنة 1924 لأنّ حرّ عمان  
وهواءها لا يلائمان صحّته .كتب " :مرضت نحو 10 أيام بلغت فيها  
درجة الهلاك ثم زال الضرر والبأس بفضل الله وإني متدرّج في العافية  
وبعد أسبوع أتوجّه إلى الجبل الأخضر في عمان حيث الهواء النقي.<sup>2</sup>

وبقيت الحمى تعاوده باستمرار فنصحته الأطباء بضرورة مغادرة عمان  
إلى الهند أو تونس للتداوي لكن دول الحلفاء رفضت ذلك، فكاتب  
الباروني في ذلك ملك العراق فيصل بن الحسين وحصل منه على إذن  
بدخول العراق قصد التداوي كتب الباروني " :سأذهب إلى بغداد إن  
شاء الله في أواخر رمضان بعد إتمام الطبقة الأولى من المدرسة لأنّ هذا  
الألم أتعبني ولازمي وأخاف عاقبته<sup>3</sup>

إنّ سفر الباروني المتكرّر للتداوي وغيابه دفع العديد من الصحف  
إلى تأويل غيابه عن عمان بعزله عن منصب الإشراف السياسي الذي  
كان يشغله بعد توتر العلاقة بينه وبين الإمام في حين أنّ السبب الحقيقي  
وراء سفره هو الاهتمام بعائلته فقد أذنت إيطاليا لابنه إبراهيم الباروني  
المقيم بالإسكندرية بزيارة العائلة في طرابلس الغرب سنة 1931 بعد  
غياب دام تسع سنوات ومكّنت العائلة من الالتحاق بـ"ربّها" سليمان  
الباروني في مسقط.

وصل أفراد العائلة إلى مسقط يوم 12 ماي 1931 إلا أنّ حرّ  
عمان ورطوبتها تسبّبا في إصابة الجميع بالملاريا ممّا اضطرّه إلى  
السفر عن عمان، كتب الباروني " :ظننت أنّي ظفرت بالغنيمة واجتمع  
الشمّل المتشّبت منذ عشر سنين وحصل الأنس والراحة وتخلّصت من  
الأسر (... )وما كادت العائلة تصل مسقط حتى أصاب أفرادها جملة وهم  
ثمانية حمى الملاريا حتى ضمّت إليهم إبراهيم الذي سبقهم فصاروا

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ص 41.

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ص 80.

<sup>3</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 46-47

تسعة وبعد معاناة شتى الآلام وتردد الأطباء ووفاة جدّة الأولاد واختلال عقل إحدى البنات واعتلال صحة الباقين اضطرت إلى نقلهم إلى بغداد بعد أن قالت لي الطبيبة أنّ هؤلاء كلّهم أصبحوا لقمة بين شفّتي الموت فإذا لم تخرجهم مع الباخرة المتوجّهة بعد يومين إلى البصرة فأنت ستقدّم كل أسبوع واحدا إلى المقبرة إذ لم يعد الدواء مفيدا لهم<sup>1</sup>

هذا الوضع دفع الباروني إلى أن يرسل عائلته إلى بغداد ويلتحق بها في السنة نفسها ليستقرّ فيها إلى سنة 1937.

وقد كذبت جريدة "الفلق"<sup>2</sup> خبر الجفوة بين الباروني والإمام وعلّلت غيابه عن الساحة السياسية العمانية في تلك الفترة بانشغاله بأمور العائلة، ونفس التبرير ورد في جريدة "النور"<sup>3</sup> التي اعتبرت أن خبر توتر العلاقة بين الباروني والإمام إشاعة بثّها بعض المتأمّرين المتمرّدين المستفيدين من غياب الباروني<sup>4</sup>.

إنّ غياب الباروني الحقيقي عن عمان لا يعني انقطاعه الكلّي عن مباشرة مهامه السياسية لأنّ الإمام كان يستشيريه في أغلب المسائل ويصغي إلى نصائحه ويطبّق قراراته التي يملئها عليه.

وقد تجاوزت اهتمامات الباروني السياسية ما هو محلي إلى ما هو عالمي رغم وضعه العائلي المتأزم الذي يشغل أغلب أوقاته فقد قدّم الباروني مذكرة إلى مؤتمر نزع السلاح<sup>1</sup> في 10 ديسمبر 1932 بعنوان "لا سلم مع الاستعمار" بعد أن أدرك قصور آراء المؤتمّرين عن بلوغ السلم. ورأى أنّ اهتمام رجال الدولة المنظمة لهذا المؤتمر قد دار حول ضرورة تخفيض السلاح بمنع الزيادة على الموجود منه أو بإتلاف أنواع معينة في حين أنّهم تغافلوا عن الأمر الذي يحقق فعلا السلم ويوقف

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، صص 83-82

<sup>2</sup> "الفلق" جريدة أدبيّة سياسية أخلاقية زراعية أسبوعية لصاحبها محمد بن هلال البرواني ، زنجبار ، مطبعة الفلق ، 1928

<sup>3</sup> نور الإسلام، مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية شهرية، رئيس تحريرها محمد الخضر حسين ، القاهرة ، مشيخة الأزهر الشريف 1931 ، مطبعة يوسف كوي .

<sup>4</sup> وثيقة عدد 83، ملف الباروني ، مرجع سلف ذكره .

<sup>1</sup> مؤتمر نزع السلاح " :انعقد المؤتمر العالمي الأول لنزع السلاح في فيبرابر 1932 في جنيف وكان يضمّ ممثلي الدول الأعضاء بالعصبة وروسيا السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية، ووضع المؤتمر مشروعات لخفض الأموال التي تنفق على التسلّح وصنع الذخيرة وتحديد القوات الحربية وإقامة لجنة دائمة لتقدّم المشورة في تنفيذ المعاهدة التي سيصل إليها المؤتمر "الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سلف ذكره، ج 2، ص 1771

الحرب وهو إلغاء الاستعمار الذي تعاني منه الأقطار الضعيفة وتتكدب خسائره المادية والبشرية. كتب الباروني " :فلو ألغى الاستعمار لما بقيت لآلات الحرب قيمة وانقلبت معاملها إلى دول تجارية محصنة وانقطعت مطامع الدول المحرومة من المستعمرات"<sup>2</sup>

إن السلم لا يمكن أن يتحقق إلا إذا ألغى استعباد الدول القوية الدول الضعيفة لأن الأمم المستعمرة بلغت حالة لا يمكنها معها الصبر على ما تعانيه من الإرهاق والاستنزاف ومن معاملتها معاملة الحيوانات، وقد تنبّهت هذه الشعوب إثر الحرب العالمية إلى أوضاعها بعد أن تأكدت من عذر الدول العظمى التي وعدتها بالاستقلال في حالة كسبها الحرب .

ذهب الباروني إلى أن سبب انتصار هذه الدول في الحرب الكبرى ومن ثم فشل إعلان الخليفة العثماني الجهاد هو وعد رجال مستعمراتها بالاستقلال "فقد أعلنت الحرب العظمى سنة 1914 وأعلن خليفة المسلمين الجهاد المقدس وكاد إعلانه يؤثر في العالم الإسلامي ويقلب سير الحرب رأسا على عقب لكن دول الحلفاء غمرت رجال مستعمراتها بالإحسانات وملاّت أسمائهم بالمواعيد الخلابية والأمانى (...).فقاموا يقولون لمن يحرّضهم على الجهاد في المغرب والجزائر وتونس ومصر والهند وغيرها ليس من المروءة أن نحارب دولة تحكم بلادنا في وقت اشتباكها في حرب مع أعدائها بل يجب أن نؤيدها وبعد الانتصار نناقشها الحساب ونأخذ منها استقلالنا بوجه قانوني ونبقى أصدقاء"<sup>1</sup>

وقد حمل الباروني زعماء الدول العربية مسؤولية سقوط الخلافة العثمانية، فقد أبدوا ثقة كبرى بالمستعمرين ودعوا إلى فكرة القومية العربية أي إلى تأسيس دولة عربية في المشرق، واستثنى من هذه المستعمرات طرابلس الغرب التي استفادت من إمدادات الدولة العثمانية عند مواجهة إيطاليا لأنها من مؤيدي الخلافة خاصة زمن حكم الاتحادي الإسلامي سليمان الباروني وهو ما جنبها كثيرا من الخسائر المادية والبشرية مقارنة بجارتها تونس والجزائر اللتين كانتا تدعمان فرنسا أملا منها في الظفر بالاستقلال. كتب الباروني

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، الجزء 2، ص 128

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره ، ص 128.

"نرى أما تعض أصابعها ندما على عدم اقتدائها بطرابلس وعلى تقاعسها عن إجابة دعوة الخليفة إلى الجهاد متحققة أنها لو فعلت ذلك لانتصر الخليفة وحزبه وكان الشرق أجمعه يرفل في حل السعادة"<sup>2</sup>

نصح الباروني دول الاستعمار خاصة إيطاليا بإلغاء الاستعمار وضرورة تحرير الشعوب المستعمرة والاتفاق على سنّ قانون لتدريب الأمم المستعمرة وإعانتها على النهوض ببلدانها بإدارة مستقلة وبالتعاون مع الشركات الأوروبية .

كما طلب الباروني من إيطاليا أن تبادر بتحرير طرابلس الغرب التي أوقفت الحرب معها بموجب القانون الأساسي الذي تمّ إعلانه سنة 1919 ثم ألغي دون موجب لذلك .

أجاب رئيس المؤتمر هندرسون<sup>1</sup> الباروني برسالة شكر أثنى فيها على آرائه التي لفتت نظر أعضاء المؤتمر إلى نقطة هامة قصد بلوغ السلام وحفظ الأمن العالمي . وقد جاء في الرسالة ما يلي " :اسمحوا لي أن أعبر لكم عن أمني الشديد بأنكم ستواضبون على تقديم جميع المعلومات والمساعدات حتى تتمكنوا من إبدائها إلينا في برهة الأشهر العصبية القادمة وأؤكد لكم تشكراتي على تقريركم."<sup>2</sup>

أرسل الباروني رسالة ثانية إلى مؤتمر نزع السلاح عبر فيها عن تهانيه لنجاح الجمعية في إعادة ألمانيا للمشاركة فيها بعد أن انسحبت لرفض الأعضاء مقترحاتها المتمثلة في نزع سلاح جميع الدول إلى مستواها الذي فرضه عليها مؤتمر فرساي بعد خسارتها في الحرب الكبرى أو إعادة حقها في التسلح على غرار فرنسا وناقلترا . وقد تساءل الباروني عن إمكانية التوفيق بين مطالب ألمانيا وفرنسا التي عارضت مشروع المؤتمر المتمحور حول تخفيض تصنيع السلاح والإنفاق عليه حتى تحمي مصالحها وتحافظ على سلطتها في المستعمرات وعلى وزنها العالمي .

<sup>2</sup>أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 136

<sup>1</sup>آرثر هندرسون ( 1863 – 1935 ) سياسي بريطاني ، انتخب وزيرا للحزب العمال 1914 ثم وزيرا للتربية 1915 في الحكومة الائتلافية البريطانية، ثم وزيرا للداخلية في أول حكومة للعمال سنة 1924 برياسة رامزي مكدونلد ووزير الخارجية في حكومة حزب العمال الثانية، منح جائزة نوبل للسلام سنة 1934 الموسوعة العربية الميسرة . ج 2، ص 1905.

<sup>2</sup>أبو القاسم الباروني ، حياة سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 124.



وقد تساءل الباروني أيضا عن إمكانية التوفيق بين قرارات الجمعية وما تنتظره الشعوب المستعمرة من استقلال وحرية على الرغم من أن هدفها الجمعية المعلنين هما حفظ السلام وخدمة الإنسانية اللذين إن تحققا تكون الجمعية عملت لأجل سعادة الإنسان لا لأجل سعادة أوربا خاصة<sup>1</sup>

تطرق الباروني إذن في هذه الرسالة إلى قضية الاستعمار وتعمق فيها فتناولها بالشرح والتفصيل بغية المزيد من توضيح أفكاره فطالب بإلغاء حماية الاستعمار على الممالك ذات الصبغة الحاكمة وإلغاء المعاهدات التي عقدت معها زمن ضعفها وصياغة معاهدات جديدة معها تضمن مصالح الدولة التي كانت حامية لها ومصالح غيرها بطريقة عادلة وقبولها عضوا في جمعية الأمم. كما طالب بضرورة استبدال الاستعمار الموجود في المستعمرات القائم على استنزاف ثرواتها واستغلال خيراتها بانتداب حقيقي يراعي مصالحها ويسهم في تطويرها ودعا إلى استفتاء الأمم المستعبدة بواسطة الجمعية حول الشكل الذي تختاره لحكومتها الوطنية .

وأكد الباروني على وجوب عدم حصر الامتيازات في دولة مخصوصة وضرورة توسيعها لتشتمل المؤسسات المالية ذات الجنسيات المختلفة لكن الأولوية تكون للشركات الوطنية ثم الدولة المنتدبة ثم الشركات مختلفة الجنسيات لأن الامتيازات هي السبب الوحيد الذي يقود الدول إلى الحرب ولهذا الأمر طالب الباروني بالحد من مدتها في المعاهدات وأكد على ضرورة صياغتها بشكل يكون قابلا للتعديل .

كما عالج الباروني المسألة الدينية ودعا إلى تبديل عبارة حرية الأديان التي تذكر في المعاهدات لمقاصد سياسية غير بريئة بعبارة احترام الأديان والحكم بالعقاب الصارم على من يهينها حتى لا يبقى محلّ للتبشير الذي أصبح أقوى منقر للشرقي خصوصا والعالم الإسلامي بفصحة عامة لأن الدين الإسلامي متفق تمام الاتفاق مع المدنية الصحيحة في كل زمان لتأسيسه على تقديس الأديان السماوية كلها .

وكان ردّ الباروني موجّها إلى الغربيين والمستشرقين الذين يلصقون بالإسلام تهمة التخلف ويحملونه مسؤولية وضع المسلمين

<sup>1</sup>أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ص 139.

الراهن وهو وضع يتّصف بالجمود والتأخّر مقارنة بالحضارة الغربية  
فكتب :

"لا حاجة إلى مناهضة الدين الإسلامي العدا بوسيلة التمدّن لأنّ  
الإسلام قانون المدنية العالية الطاهرة، وأظنّ أنّ المبشّرين الأفاضل  
تسعهم أوروبا وأمريكا وروسيا لنشر مرادهم وتوزيع صداقاتهم"<sup>1</sup>

أجاب هندرسون الباروني في 1ماي 1933مبديا اهتمامه بآراء  
الباروني "قرأت كتابكم المؤرخ في 24مارس باهتمام زائد وأشكركم إذ  
وضعتم تحت نظري وجهة النظر الخاصة بالمساواة بين الشعوب  
والأديان التي تعتقدون أنّها تسود الطبقة المفكّرة في العالم الإسلامي"<sup>2</sup>

لكن اندرسون في المقابل لم يقدّم حلولا فعلية تخصّ الشعوب أو  
الأديان لأنّ هذه الحلول تضرّ بمصالح أنقلا التي يترأس في حكومتها  
وزارة الخارجية وبمصالح حليفها فرنسا عضو الجمعية .

وقد أحسّ الباروني أنّ المؤتمر لم يتمعنّ في مقاصد رسالتيه  
الأولى والثانية فأردفهما برسالة ثالثة لمزيد الشرح والتحليل، كتب "   
أرجو أن تسمحوا لي أن أبين لفخامتكم أنّه ليس مقصدي في رسالتي  
الأولى مجرد بيان أمانى الأقسام الإسلامية فقط بل مقصدي أن تلك  
الأمانى إذا حصلت على أيدي جمعية الأمم الموقرة تكون خير وسيلة  
لمنع الحرب وتحديد السلاح."<sup>3</sup>

إنّ التزام الجمعية بتحقيق مطالب الباروني السابقة تجعل منها صديقه  
لكلّ بلدان العالم المستعمرة التي ستدعم قراراتها وتنبط عزيمة من  
يسعى إلى الحرب فتضطرّ ألمانيا إلى الإكتفاء بما تناله من الربح  
بمشاركتها في الامتيازات وبعض الانتدابات فلا تبقى عندها رغبة في  
التسلّح مما يحدّ من حرص فرنسا وبريطانيا القديم على التفوّق في  
السلاح .

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره،، ص 140

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ص 140

<sup>3</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره، ص 141.

إن ما سبق ينطبق كذلك على إيطاليا إذ هو يسكن نهمها الاستعماري فتبقى القضية محصورة في روسيا الشيوعية صاحبة الخطر العظيم على العالم كله في نظر الباروني أما إذا فشل المؤتمر واتفقت روسيا مع ألمانيا وإيطاليا وتركيا وصار مضيق البوسفور ممراً حراً لسيول روسيا التي تأمل أن تملك البحر الأبيض المتوسط فإن أوروبا تفرط في الشرق كله<sup>1</sup>

ويبدو أن اقتراحات الباروني في رسالته الثالثة وتوضيحاته لم تلق ترحاباً في المؤتمر لأنها تهدد ممتلكات الإمبراطوريتين الأنقليزية والفرنسية لذلك أجيب على رسالته من سكريتارية عصابة الأمم بحجة أن ما يثيره من قضايا يختص بموضوع خارج عن دائرة أعمال الجمعية في حين أن هذا الموضوع يعدّ من المسائل الواجب عليها مناقشتها في المجلس .

لم ينقطع الباروني عن الكتابة إلى المؤتمر رغم اعتراض أعضائه الضمني خاصة على الرسالة الثالثة التي تكشف عن سياسة انقلترا وفرنسا التوسعية وتعارض مصالحهما مع المصالح الألمانية وقد تمحورت الرسالة الرابعة حول خطورة خروج ألمانيا من الجمعية في 15 نوفمبر 1933 واجتهدت في بيان النتائج التي يمكن أن يترتب عنه خاصة فيما يتعلق بالمشرق الذي أصبح مهدداً بالمد الشيوعي كتب الباروني :

" وكلّ محبّ للسلام يؤمل أن تتوقفوا بحكمتكم إلى إعادة جرمانيا إلى حضيرة العصابة كما توفقتم إلى إدخالها في لجنتمك أولاً فيزول الخطر"<sup>2</sup>

وتطرّق الباروني في هذه الرسالة أيضاً إلى قضية فلسطين وطالب بكبح جماح اليهود وبأن تعاد إلى فلسطين حقوقها المهضومة لأنّ الصهيونيين ولو بلغوا الملايين لا يحمون أنفسهم في فلسطين فضلاً عن

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره ، ص 142

<sup>2</sup> عصابة الأمم " منظمة دولية سياسية أنشئت عقب الحرب العالمية الأولى كان الغرض منها حفظ السلام الدولي والتسوية السلمية للنزاعات الدولية وإنماء التعاون الدولي، وقد تضمّنت النقاط الأربعة عشر التي أعلنها وودرو ويلسن، وكان مقر العصابة = مدينة جنيف بسويسرا وأول سكرتير عام لها هو السير ايريك دراموند البريطاني الذي استقال سنة 1933 الذي خلفه جوزيف أفينول

الفرنسي "الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سلف ذكره، ج 2. ص 1214.

أن يحموا السكّة الحديدية والمطارات وأنابيب البترول إذا انفجر بركان حرب عامة واشتغلت الدول الكبرى بمصائبها الداخليّة<sup>1</sup>

لم تكن هذه هي المرّة الأولى التي يتناول فيها الباروني قضية فلسطين بالدرس فقد سبق أن طرحها في المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد في القدس سنة 1931، وقد اقترح في هذا المؤتمر انتخاب هيئة تطالب عصابة الأمم بإلغاء وعد "بلفور"<sup>2</sup> القاضي بجعل فلسطين وطنا قومياً لليهود وضمن حقوق الفلسطينيين لأن إغائه يضمن استقرار الفلسطينيين والشرق الأدنى بأسره .

إنّ أنقلترا الساعية إلى السيطرة على المشرق دعّمت حضور اليهود في فلسطين لأن تأسيس وطن يهودي هناك يخدم النفوذ الأنقليزي . وقد كتب شكيب أرسلان في هذا الموضوع في جريدة الأمة مقالاً بعنوان "لماذا تصرّ أنقلترا على تأسيس مملكة يهودية في الشرق " فبعد أن علمت (أنقلترا) أنّها لا تقدر إلى الأبد على استبعاد مصر تريد الآن أن تغلق في وجه مصر دولة يهودية<sup>3</sup>

إنّ استقرار اليهود في فلسطين يعرّض كلّ الدول العربية المجاورة لما تتعرّض له مصر، فتصبح دمشق وبيروت وسائر مدن بلاد الشام تحت رحمة الأسطول اليهودي الجوي والبحري . وذهب الأمير شكيب أرسلان إلى أنّ اليهود ليسوا بأهل حرب وأنّ العدد الهائل من الجنود الذين يؤلفون الحامية العسكرية يتجاوز عدد اليهود أنفسهم وهو ما يعني وجود قوى تدعّم نشاطهم العسكري . ويرى أن أغلبية الطيارين والبحرية هم أنقليز وغرباء ومرترقة ودور اليهود يتمثل في تمويل هذه القوى بالمال .

أمّا الأمر الثاني الذي اقترحه الباروني فهو انتخاب هيئة تطوف بالأقطار الإسلامية قصد ترغيب ملوكها وأغنيائها في شراء ما بقي من أراضي فلسطين وجعلها وقفاً مع شرط بقائها على ملك أصحابها أو توجر لعرب فلسطين بسعر منخفض لمنع تمليك اليهود الأراضي

<sup>1</sup> أبو يقظان ، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 144.

<sup>2</sup> وعد "بلفور" : "تصريح أصدره وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور (1930- 1848) يقضي بتعهّد الحكومة البريطانية

بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عقب الحرب الكبرى الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سلف ذكره، ج 1

<sup>3</sup> جريدة الأمة ، عدد 151، السنة الرابعة ، 18جانفي 1938.

وهجرتهم إليها وضمنان عدم تمكينهم من التصييق على الفلسطينيين في حالة السلم والحرب رغم توقع الباروني نشوب حرب بين الفلسطينيين واليهود خاصة في ظل الضغوط العالمية التي أحدثها تضارب المصالح الدولية<sup>1</sup>

وعلى الرغم من سقوط الدولة العثمانية "مركز الخلافة الإسلامية" فإن الباروني كان يأمل أن يتوحد المسلمون في جميع الأقطار تحت راية جامعة إسلامية تناط بعهدتها مهمة حماية المسلمين في جميع أنحاء العالم ومن بينهم مسلمي القدس. فلولا سقوط الخلافة الإسلامية لما كان مصير فلسطين بين أيدي الأنكليز واليهود لأن الخليفة كان باسم الدين سيسعى إلى حمايتها والمحافظة عليها.

طرح قضية الخلافة وأهمية الجامعة الإسلامية في الثلاثينات في خصومة فكرية بين الباروني والأمير الدرزي شكيب أرسلان الذي انتصر لفكرة القومية العربية التي يتبناها الشاميون .

ففي سنة 1933 نشر الأمير الدرزي مقال تأبين السيد أحمد الشريف السنوسي في جريدة "الجهاد"<sup>2</sup> فخصه بكل الفضل في الحرب الطرابلسية الإيطالية بذلك دور الدولة العثمانية التي دعمت المجاهدين ماديا وعسكريا متجاهلا دور البربر في طرابلس ناسبا إلى السنوسيين كل الإنجازات إذا كتب "لولا السيد أحمد الشريف رحمه الله لكانت إيطاليا استصفت قطري طرابلس وبرقة في الشهر الأول من غارتها عليها. لولا لم يكن أنور قدر أن يعمل شيئا ولا كانت الدولة العثمانية قدرت أن تدافع عن طرابلس شهرا واحدا وهو وحده كان مصدر الإرادة التي أنشأت بإذن الله هذا الجهاد الويل العريض وحفظت شرف الإسلام المعتدي عليه في طرابلس وغير طرابلس"<sup>1</sup>

رأى الباروني أن هذا المقال يجرد الدولة العثمانية من فضل الدفاع عن طرابلس وبني غازي وهي التي دعمت الحرب ماديا

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، صص 148-149

<sup>2</sup> جريدة الجهاد: جريدة سياسية إخبارية جامعة يومية لصاحب الإمتياز محمد توفيق دياب القاهرة، مطبعة الترقى، صدرت سنة 1931، قسم الدوريات، المكتبة الوطنية بتونس .

<sup>1</sup> مقال "شكيب أرسلان عن السنوسي"، الجهاد عدد 563، السنة 2، 1 أبريل 1933، وتنمة المقال في العدد الذي يليه

(6) (أفريل)

وعسكريا فكانت تبعث الإمدادات في الغواصات الألمانية إضافة إلى العسكريين والضباط الذين جاؤوا هذا القطر قصد المساعدة في صدّ الهجوم الإيطالي فأهل طرابلس وبني غازي "مدينون لها ما دامت الأرض والسماء ولا ينسون فضلها وإن انقرضت وأصبحت في خبر كان وورثتها جمهورية تركيا الآن"<sup>2</sup>

وقد بيّن الباروني الخلط الذي وقع فيه الأمير الذي مزج في كلامه حرب برقة بحرب طرابلس رغم معرفته المسبقة باستقلال كل منها إداريا وعسكريا وماليا .

دفع ردّ الباروني الأمير إلى كتابة استدراك يبيّن فيه فضل البربر الإباضيين في الجهاد، وذهب إلى أن توفّق الباروني في قيادة الحرب إنما يرجع إلى نصرة قومه الذي ثار قبل الجميع للجهاد في طرابلس الغرب .

وقد ردّ الباروني بأنّه يحارب باسم الإسلام ولا بالأقليّة والمذهب وسنورد مقطعا من رده نظرا إلى أهميته "قلت لكم في جوابي السابق لا يهتمكم ما يعرفه المعروفون عن طرابلس ولا تجعلوا له صبغة مذهبيّة فإنّ الواقفين على الحقائق يسخرون من تلك الكتابات، فليكن إبتكاهم بظهور التاريخ الصحيح المدلّل بالوثائق الرسمية الشاهدة أيّ ما حاربت بالإباضيّة فقط كما ذكر شكيب في تصحيحه الأخير الذي نشره في الجهاد تحت عنوان "فضل الباروني في جهاد طرابلس" بالإباضي والبربري القليلين وبالسنّي والعربي الكثيرين وبأصحاب الطرق كلّها وهو الأمر الذي جعل الطليان إذ ذاك يسألون عن هذا السرّ وخصوصا بعد تسليم الدولة في حرب 1912 فقد حاولوا أن يحدثوا التفرقة باسم العناصر والمذاهب فلم يفلحوا، إذن لا لزوم للإشارة إلى المذاهب فقط"<sup>1</sup>

إنّ شكيب أرسلان مؤيد فكرة القومية العربية عمد إلى إقصاء القطر الطرابلسي المغربي من خلال إنكار المساعدات العثمانية التي قدّمت إلى الطرابلسيين باعتبارهم مسلمين ينتمون إلى دار الخلافة خاصة أنّهم ينتمون إلى مذهب مخالف للمذهب الرسمي للدولة وأقليّة البربر التي تمثّل نسبة ضئيلة بالنسبة إلى العرب. وسيظهر فكر هذا الأمير أكثر

<sup>2</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 193-192

<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره ، ص 194

وضوحاً في خصومته الثانية مع الباروني التي كان مدارها البحث في ما ينفع العرب والمسلمين :الجامعة الإسلامية أو الوحدة العربية؟

حصر أرسلان في خطاب له في النادي العربي بدمشق الوحدة العربية في حدود ضيقة وترك كثيراً من البلاد العربية والإسلامية خارج هذه الحدود ضيقة وترك كثيراً من البلاد العربية والإسلامية خارج هذه الحدود كشمال إفريقيا والهند والباكستان وغيرها (...).وبرر وقوفه هذا الموقف بأنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار إلا لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها في حين أن فكرة القومية التي تخدم الشرق سياسياً كانت وراء موقفه .

وقد ردّ الباروني على أرسلان فدعم رأيه فيما يخصّ الشرق الذي لا يمكنه بناء دعائه إلا على أساس الوحدة العربية إلا أنه عارض هذا الرأي فيما يخصّ المغرب العربي لأنّ هذا الأمر لا ينطبق تمام الانطباق على شمال إفريقيا الذي يحتاج إلى الجامعة الإسلامية نظراً إلى وجود أقلية مختلفة عن العرب وخلق بلاد المغرب من المسيحيين كتب الباروني " :من رأي أن لا تنقصوا الجامعة العربية بل صوبوها بالنسبة إلى الشرق وإنما المغرب لا تنفعه إلا الجامعة الإسلامية لأنه ليس في المغرب كله من طرابلس إلى المحيط الأطلسي غير مسلم من الوطنيين حتى تجب مراعاته وفيه من غير العرب ملايين من بربر وترك وسودان وغيرهم لا تجمعهم إلا كلمة الإسلام والوطن التي تجمع الجميع بالأقطار الإسلامية التي فرضها الله<sup>1</sup>"

لم يكن الباروني الوحيد الذي عارض فكرة شكيب أرسلان وإنما المسلمون المنتمون إلى الأقليات العرقية المختلفة والمذاهب المغيرة للمذهب المالكي. وقد علق الثعالبي على موقف أرسلان الذي شكك في عروبة شمال إفريقيا من مصر إلى المحيط وأورد الثعالبي ما توصل إليه علماء الأجناس الذين تأكدوا من انحدار برايرة جنوب الأطلسي من جزيرة العرب عن طريق مصر في أحقاب مختلفة من التاريخ في أيام الفراعنة والفينيقيين ثم تكاثروا وعمّروا البلاد في عهد الإسلام وسادوا فيها عرقاً وثقافة وأكد على عروبة شمال إفريقيا التي لا تختلف عن عروبة المشرقين الشوام، كتب معارضا قول الأمير أرسلان

<sup>1</sup>مقال " :حول مقال الأستاذ الباروني وإعلانه البراءة من الأمير شكيب أرسلان "الأمة ، عدد 151، السنة الرابعة، 18جانفي

" فهم عرب قديما وحديثا وبلادنا موطن من مواطنهم حبّ من حبّ  
وكره من كره ولن يضرنا في ذلك شكّ شاك مغمور وترويج دعاية  
سياسية<sup>2</sup>"

إنّ الباروني رغم أهميّة الفكرية والسياسيّة وأهميّة المناصب التي  
شغلها عاش وضعاً مادياً سيئاً خاصة حين كان في العراق فقد عرف  
الخصاصة والاحتياج، ووصف الباروني هذا الوضع في رسالته  
لأصدقائه في وادي ميزاب فكتب "إنّ صاحبكم شهد له رسمياً وزراء  
57 دولة (... ) وهم محققون أنّه خاوي الجيوب ينام هو وعائلته في هذا  
الشتاء على فرش مستعارة فرش مستعارة فوق حصر من نوع ما  
يفرشه أفقر فقراء العراق وليس في بيته إلا ثلاثة كراسي قديمة وثلاث  
كنبات كذلك والجميع مستعار من صديق له ولا يذوق طعم اللحم إلا مرة  
في الأسبوع وقد دعت الضرورة إلى إجراء عملية جراحية في المعدة  
لبعض أفراد عائلته فاضطرّ أن يدخله مستشفى الفقراء ليعالج مجاناً<sup>1</sup>"

وقد انفرجت أزمته نسبياً عندما وظّف ملك العراق الجديد غازي  
ابنه إبراهيم في البلاط الملكي ثم وافقت وزارة المعارف تعيينه في كليّة  
حقوق بغداد سنة 1935.

كان الباروني أثناء وجوده في العراق يتّصل بأصدقائه في وادي  
ميزاب قصد التوسّط له لدى المراجع الفرنسية العليا ليدخل إلى تونس  
أو الجزائر كما سعى في طلب الجنسية العراقية حتى يتمكّن من السفر  
مع عائلته إلى مصر مع التعهّد بالتوقف عن النشاط السياسي إلا أنّ  
فرنسا رفضت ذلك خاصة بعدما كتبه عنها في رسائله التي وجهها إلى  
عصبة الأمم فيما يخصّ موقفها من تسليح ألمانيا وتسديد الديون  
المسلّطة عليها بعد خسارتها في الحرب الكبرى إلى جانب الدولة  
العثمانية وقد رأت فرنسا أنّ "وجود اسم الباروني في شمال إفريقيا  
مطلقاً خطير محقق وأنّ الإيطاليين لم يغفلوا قط عن التأكيد بعدم إعطاء  
مجال لدخول هذا الاسم شمال إفريقيا إلى المحيط وإلا التهبت الثورة<sup>2</sup>"

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره ، ص 198

<sup>1</sup> أبو اليقظان ، سليمان الباروني ، مرجع سلف ذكره ، صص 103-104

<sup>2</sup> أبو اليقظان ، سليمان باشا الباروني ، مرجع سلف ذكره ، ص 97



علل الباروني الذي رفض الفرنسيون طلبه رغم تعهده بالتوقف عن النشاط السياسي موقف فرنسا بخسيتها من ردّة فعل موسيليني<sup>1</sup> الذي أدخل الرعب في قلوب رجال حكومات أوروبا ومنها حكومة فرنسا بسياسته الفاشية وخطبه التهديدية الطامحة إلى الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط .

وقد تحدّث الباروني عن موقف فرنسا بوضوح أكثر في مقال بعنوان "تغلغل نفوذ إيطاليا في تونس :قبضها على 23 طرابلسيا لتعدمهم"<sup>2</sup> فبيّن ميلها إلى الإيطاليين سنة 1938 وموافقتها على سياسة التنكيل التي سلّطها الإيطاليون على الشعب الليبي الذي كان الباروني يتابع أخباره رغم بعده عنه جغرافياً .

فقد ثار فريق من الوطنيين في الجهة الغربية من جبل طرابلس في سنة 1936 فسأقت الحكومة عليهم قوّة اضطرتهم إلى الالتجاء إلى أراضي تونس، ففتحت لهم حكومة فرنسا أبوابها بعد أن جرّدتهم من سلاحهم لكن بعد سنتين وعقب قيام إيطاليا بمناوراتها البرية والبحرية والجوية في البحر الأبيض المتوسط، طلبت من فرنسا تسليم هؤلاء الملّجئين إليها فأجابت الطلب وقبضت عليهم وسلّمتهم إلى الأعوان الإيطاليين لتنقلهم إلى حيث ينقذ فيهم حكم الإعدام .

استنكر الباروني موقف فرنسا التي كانت تحظى بسمعة جيّدة بين الدول بفضل مواقفها واعتبر أنّ خوفها كان وراء موافقتها على تسليم اللاجئين فقد "بادرت فرنسا إلى تقديم البرهان على حسن نيّتها بل ضعفها بتسليم ثلاث وعشرين ضحية من الطرابلسيين المحتمين برايتها وراية محميتها تونس المسلمة مكبلين بالحديد راجية بذلك ابتسامه من موسيليني تجلب لرجال وزاراتها نوما هنيئا ولوليالي معدودة."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بينيتو موسيليني ( 1883-1945 ) Mussolini Benito :مؤسس الحركة الفاشية ورئيس وزراء إيطاليا وديكتاتورها (1922-1945) ، عمل في التدريس وسجن لنشاطه الاشتراكي ولمعارضته الحرب الإيطالية لاحتلال ليبيا، تسلم رئاسة الوزارة واتباع سياسة توسعية أثناء الثلاثينات وحالف هتلر .انقلب عليه حزبه عام 1943 فاستقال واعتقل لكن أنقذه الألمان فعاد، فوقع بيد

المقاومة الشعبية الإيطالية في أبريل 1940 وأعدم .المؤسوعة السياسية ، مرجع سلف ذكره ، جزء 6، ص 470 .

<sup>2</sup> جريدة الأمة ، عدد 135 السنة الثالثة ، 24 أوت 1938

<sup>1</sup> مقال " :تغلغل نفوذ إيطاليا في تونس :قبضها على 23 طرابلسيا لتعدمهم "، جريدة الأمة ، عدد 135 ، 24 أوت 1938

وقد رأى الباروني أن موقف فرنسا سيجلب لها نقمة مستعمراتها وفي نفس الوقت لا يحميها من خطر موسيلني الذي كان يصرّح باستمرار بأنّ البحر الأبيض ملك للإيطاليين وهدفهم ولعلّ تحركاته في مراكش وإسبانيا وتونس تؤكّد توجّهه لأنّ غرض هذا السياسي ومن ورائه إيطاليا إحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية<sup>2</sup> القديمة والاستيلاء على البحر الأبيض المتوسط. كتب الباروني " :وعلى هذا نقول لحكومة فرنسا المحترمة إذا أردت بهذا العمل التودّد إلى إيطاليا وطلب رضائها فإنّ إيطاليا مع زعيمها موسيليني لا يرضيها إلا أن يسلم لها شمال إفريقيا كلّها من تونس إلى مراكش لتضمّه إلى إمبراطوريتها الجديدة وتحمي الآثار الرومانية الماثرة فيه.<sup>3</sup>"

تجدّدت مساعي الباروني في الحصول على إذن لدخول مصر فكتب عبد الرحمان عزّام الذي كان رفيقه في حرب طرابلس وأصبح الآن وزيرا إلا أنّ الحلفاء رفضوا ذلك لما يشكّله الباروني صاحب فكرة الاتحاد الإسلامي على المستعمرات من خطر، وبقي الباروني يكرّر اتصالاته بأطراف عديدة إلى أن دعاه سلطان مسقط السيّد تيمور بن فيصل سنة 1938 رغبة منه في أن يتولّى منصب مستشار عام للحكومة، فانتقل الباروني من جديد إلى مسقط وبقي فيها سنتين كاملتين قام خلالهما باصلاحات عديدة إلى أن أقعده المرض عن ممارسة نشاطاته الفكرية والسياسية.<sup>1</sup>

لقد أشرنا في ما سبق إلى الحمى التي كانت تعاود الباروني بين الحين والآخر مما كان يضطره إلى السفر قصد المداواة ، وقد انضاف إلى الحمى ضغط دموي تسبّب له في نزيف خاصة أنّ الباروني كان كثير الاهتمام بأمور السياسة رغم ابتعاده عنها، وقد أرجعت زعيمة الباروني تعكّر صحّة والدها في السنوات الأخيرة إلى تأثره الشديد بوضع طرابلس

<sup>2</sup>الإمبراطورية الرومانية :هي الوحدة السياسية التي ظهرت عند تنويع "أوتو" الأوّل في روما عام 962 واستمرّت إلى أن تنازل فرانسيس الثاني عن اللقب الإمبراطوري عام 1806، وتذهب وجهة النظر الأوروبية الغربية إلى أنّ الإمبراطورية الرومانية التي أسسها أوغسطس لم تنته بل توقفت فقط بتنازل آخر إمبراطور روماني 473 وأنّ شارلمان قد أحيها 800 ثم أعاد أوتو إحياءها وهذا يناقض قول الأباطرة الشرقيين الذين ذهبوا إلى أنّهم هم وهدفهم أصبحوا سنة 476 أصحاب اللقب الإمبراطوري الشرعي " الموسوعة السياسية، مرجع سلف ذكره ، ج 1، ص 295.

<sup>3</sup>مقال " :تغلغل نفوذ إيطاليا في تونس :قبضها على 23 طرابلسيا لتعدهم "، جريدة الأمة، عدد 135 السنة الثالثة ، 24 أوت

الذي تأزّم بسبب سياسة موسيليني القمعية خاصة في الأربع سنوات الأخيرة قبل وفاة الباروني فقد كان موسيليني يعتقل الطرابلسيين ويمارس عليهم أشدّ أنواع العقاب من سجن ونفي وإعدام وكان الشعب الطرابلسي يردّ الفعل على ذلك ممّا يحدث اضطرابات في الجهات ويسلط عليهم غضب الإيطاليين. كتب أبو اليقظان مصوراً قسوة السلطة العسكرية التي كانت تجنّد الشبان وترسلهم إلى أماكن مجهولة.

" عمدت السلطة العسكرية الإيطالية إلى أساليب جديدة لقمع الفتنة فقبضت على عدد كبير من الأعيان ورؤساء القبائل وحوكم لفيهم منهم فحكم على بعضهم بالإعدام وعلى نحو خمسين شخصاً بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة وبعقوبات أخرى "

كان الباروني يهتمّ بهذه الأخبار رغم اشتداد مرضه ويراسل الطرابلسيين في تونس وسوريا ومصر، فيحزن عندما يسمع خبراً سيئاً عن المقاومة في بلاده وتأخذه وهو على فراش المرض غمرة من الفرح حين تصل إليه الأخبار الشارة التي تبشّر بالانتصار<sup>2</sup>

وقد تواصلت سلسلة الاعتقالات والإعدام ولم تتوقف بسبب سيطرة موسيليني على طرابلس والمواقف الدولية الأوروبية التي تعترض على سياسته القمعية بسبب خوفها من مزيد التوسّع على حسابها .

ساعات حالة الباروني سنة 1940 وأشار عليه طبيبه الخاص بالسفر إلى بومباي فسافر مع سلطان مسقط، وما إن وصل حتى اعتلت صحته واشتدّ به المرض كتبت ابنته :

" فلم يعيش في بومباي غير ساعات قليلة سقط بعدها مغشياً عليه فحمل وقتنذ إلى المستشفى، فلما أفاق كان قد فقد قوّة النطق والحركة ولم يستطع إخوانه العمانيون أن يفهموا شيئاً ممّا كان وقتنذ يجول بخاطره أو يفكر فيه سوى ما سمعوه يتردّد على لسانه من حرفين إثنين هما : ر-م ! فلم يفهموا من ذلك شيئاً واغرورقت عيناه بالدموع وفارقت روحه الجسد<sup>1</sup>"

<sup>2</sup> أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 26  
<sup>1</sup> أبو اليقظان، سليمان باشا الباروني، مرجع سلف ذكره، ص 244

توفيّ الزعيم السياسي الإباضي المغربي سليمان الباروني يوم 1 ماي 1940 عن سنّ تناهز سبعا وستين سنة مخلّفا وراءه رصيذا فكريًا وسياسيًا هاما تدلّ عليه كتاباته (كتب، مقالات) وتجربته السياسية الهامة التي تعدّدت مسارحها (طرابلس الغرب، الآستانة، عمان، العراق) (لكن ما استرعى انتباهنا ونحن بصدد إنجاز هذا البحث هو غياب خبر وفاة الباروني في الجرائد والمجالات العربيّة، فقد قمنا بجرد للجرائد الإباضية والمحليّة والعربية الموجودة بالأرشفيف الوطني التونسي ولم نعثر في اليوم الذي توفيّ فيه الباروني والأيام التي تليه على نبأ وفاته . وهذا الأمر يطرح عديد التساؤلات خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمفكر وسياسي مثل الباروني تقلّد مناصب سياسية هامة في طرابلس الغرب ( واليا وكومندان (وفي الآستانة) نائبا وعضوا في مجلس الأعيان (وفي عمان) مسير شؤون الإمامة، مستشار عام (وكانت له مواقف فكرية هامة محليا) طرابلس (وعربيا وإسلاميا) العالم العربي والدولة العثمانية (وعالميا) الوضع الأوروبي).

إنّه لا يمكن تحديد سبب عدم تغطية حدث موت الباروني تحديدا يقع الإجماع عليه نكتفي بالإشارة إلى بعض الأمور المتصلة بالوضع العربي والعالمي آنذاك .

أولّ هذه الأمور انقطاع أغلب الصحف الصادرة بتونس عن الصدور في أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينات إمّا لأسباب مادية أو بسبب الرقابة الاستعمارية فأغلب الجرائد التي كان الباروني ينشر فيها مقالاته وتنقل لنا أخباره وتحركاته لا نجد لها أثرا خاصة الجرائد الإباضية والإسلامية وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر جريدة " الصواب " لمحمد بن فرحات الجعايبي التي تعطلت نهائيا سنة 1938، كذلك جريدة " الأمة " التي توقفت سنة 1938 وجريدة " المنير " التي انقطعت سنة 1928 و" وادي ميزاب " التي انقطعت سنة 1929.

أمّا الأمر الثاني فيعود إلى عدم توفر الأعداد التي تغطي تلك الفترة (ماي 1940 في الأرشفيف الوطني كجريدة " الشرق " لعبد الغني عوني الكعكي التي لم نجد الأعداد المتصلة بسنة 1939- 1940 ( 1945) وكذلك جريدة " الوزير " للطيب بن عيسى وجريدة " الوفاق " لمحمد سعيد الزاهري .

أما الأمر الثالث فيتمثل في اهتمام الصحف المحلية والعربية آنذاك بأخبار الحرب العالمية الثانية وبالوضع العالمي والعلاقات الدولية ومواقف القوى المتنافسة ذلك هو مثلا شأن جريدة "الزهرة" لمحمد الصنادلي و"تونس" للزين العابدين السنوسي وجريدة "الرابطة العربية" لعبد الغني الرافعي التي نشرت له مقالا عن الحركة الوهابية وجريدة "الرابطة" للدكتور سعادة. إلا أنه ورغم هذا التغييب المقصود أم غير المقصود، يبقى الباروني رائدا في المجال الفكري والسياسي بفضل آرائه وبعد نظره الذي يؤكد أن كثيرا من الآراء التي عبر عنها على أعمدة الصحف في بداية القرن العشرين مازلنا نجد لها صدى حتى هذه الأيام خاصة عند التيارات الإسلامية.

ملاحق

## ملحق رقم 1

تصنيف الحركات الفكرية السياسيّة في السلطنة العثمانية

لو أردنا أن نحصر مشاغل المفكرين السياسيين عندنا لوجدنا أنّها تنحصر في مشاغل ستة يمكن للمرء أن يتصوّرّها في شكل درجات سلم تصاعديّة أو في شكل ما يحدثه حجر يلقي به في الماء من دوائر تتسع وتتباعد باطراد .

هذه المشاغل الفكرية السياسية الستة هي :

(1) الفكرة القبليّة أو الجهويّة التي نعرفها جميعا في نموذجها

الجزيري العربي القديم الذي عبّر عنه الشاعر بقوله :

وما قحطان لي بأب وأمّ ولا تصطادني شبه الضلال

وليس إليهم نسبي ولكن معديا وجدت أبي وخالي

وفي نموذجها الشمال الإفريقي من خلال تصادم أمواج القبائل البربريّة

والتي لا تعثر اليوم على من يتغنّى بها بشكل صريح مثلما كان الشأن

قديمًا وإن كانت كثير من الأحداث هنا وهناك تثبت أنّ بعض مقوماتها ما

زالت ثابتة عند الكثيرين منا .

(2) الفكرة الوطنية وهي على عكس ما سبق سيّدة الأفكار إن لم

تكن فعلا فقولا ولقد عرفها أحد مؤسّسي الحزب الدستوري الجديد

في تونس وهو محمود الماطري (1897-1972) على النحو

التالي :

"رأيت بدوية جسيمة بيدها حجر تهمّ بعرزه في الأرض لنصب خيمة المخيم الصغير لقد رمزت بالنسبة إليّ إلى تونس الخالدة، تونس حنبل والكاھنية والأغالبة والزيريين والحفصيين، إلى تونس التي ليست رومانية ولا بيزنطية ولا عربية ولا إسبانية ولا تركية ولا فرنسية، وإنما تونس التونسية ( محمود الماطري، مسار مناضل بالفرنسية، ص 179) مثلما عبّر عنها عاطفيا الدستور الجديد الشاذلي العياري سنة 1974 عندما أجهش على ما يقال بالبكاء وهو يسمع بخبر الوحدة القذافيّة البورقيبيّة القصيرة العمر التي ستذهب بعلم تونس .

(3) الفكرة الثالثة هي الفكرة الإقليمية التي دعا إليها في نفس الوقت تقريبا الشامي الارثوذكسي أنطوان سعادة من ناحية والشمال الإفريقي مصالي الحاج وجمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين في فرنسا منذ عشرينات القرن العشرين من ناحية أخرى. ولقد كان سعادة يقسمّ المجال الناطق بالعربية إلى مناطق أربع تضمّ كتلا بشريّة أربع تتميز باختلاف متفاوت في الذھنية. أمّا الوهراني الجزائري مصالي الحاج الذي كان ينشط في الوسط العمالي المهجري الفرنسي ضمن أغلبية أمازيغية متحفظة إزاء الفكرة العربية الناشئة فقد أسّس سنة 1926 نجم شمال إفريقيا الذي إن لم يستند إلى نواة فكريّة سياسيّة ترسخها مؤلفات وكتابات وارفة فقد زرع منذ هذه الفترة المبكرة بذور الفكرة

المغربية التي تأسس اتحاد المغرب العربي سنة 1989 لتجسيدها بعد  
تعثّر دام طويلا .

4) الفكرة الرابعة هي الفكرة العربية سواء في شكلها التقليدي عند  
ساطع الحصري أي في شكلها المزامن لنشأة الفكرتين الشامية  
والمغربية في عشرينات القرن العشرين وثلاثيناته أو في شكلها البعثي  
أو الناصري أو القذافي ولن نطيل الحديث فيها وعنّها لأننا عاصرنا مدّ  
هذه الفكرة وجزرها مثلما عاصرنا صراعها ضد الفكرة الإسلامية  
الوهابية السعودية ويمكن للمرء أن يعود إلى مواقف أمثال جمال عبد  
الناصر وأحمد بن بلة ومحمد حسنين هيكل من تونس البورقيبية أو  
ليبيا الإدريسيّة أو المغرب الحسني الثاني حتى يكون فكرة واضحة عن  
مدى تناكر الفكرتين العربية والمغربية لقد كان بورقيبة مثلا يرى على  
حد ما كتب بول بالطا في "المغرب الكبير" بالفرنسية (1990) نقلا  
حرفيا عنه "إنّ الرباط والجزائر وتونس وطرابلس أقرب إلى لشبونة  
ومدريد وباريس وروما من دمشق وبغداد والرياض" وكان خصومه  
من القوميين والإسلاميين يرون في مثل هذه النظرة شذوذا فكريا  
سياسيا لا يمكن أن يغفروه لمفكر سياسي خاصة إذا تسلّم السلطة  
وعمل على تطبيق تفكيره في المجتمع مثلما كان الشأن بورقيبة الذي  
يعدّ في هذا السياق نسيج وحده مما يفسّر حديث أحمد بن بلة عنه في  
برنامج "شاهد على العصر" في الجزيرة الإسلامية النزعة (حصّة  
يوم السبت 9 نوفمبر 2002) في لهجة حاقدة لم يخفف منها الزمن ولا  
تقدم عمر الرئيس الجزائري الأسبق ولا وعيه المتأخر بتهافت تجربة



حكّمه الشعبوية إذ صرّح متحدثًا عن بوريقية " لا أنا منه ولا هو مني " ليضيف في موضع آخر من حديثه " أنا عربي وهو عربي. "

(5) الفكرة الخامسة هي الفكرة الإسلامية التي تتخذ من العرب لا من الإنسانية ومن القرن السابع الميلادي لا من تاريخ البشرية الضارب في القدم مرجعا واحدا أحدا لها وتقول تبعا لذلك بالاجتهاد لا بالتغيير وهي فكرة تحتاج لتبرير ظهورها إلى رفض ما سبق من أفكار وإلى تشطين دعاء هذه الأفكار وتطمح على أساس إرادوي إلى منافسة الفكرة العالمية بالتلويح بعدد المسلمين الهائل .

(6) الفكرة العالمية أو الأممية التي تتخذ من العولمة فلسفة لها وهي وجهان وجه اشتراكي ووجه رأسمالي ولقد نشأت بذورها منذ القرن الثالث عشر الميلادي وهي بوجهيها ضاربة في مفهوم الحداثة إذ قامت على أنقاض النظرة التقليدية إلى الأشياء وهي خير محض أو شر محض حسب المستفيدين أو المتضررين منها شرقا وغربا فيجب عند دراستها الإقلاع عن عزل الثقافي عن الاقتصادي عزلا يذكر بعزل الله عن الطبيعة أو الروح عن الجسد أو الدولة عن المجتمع .

محمد الناصر

النفزاوي

الطريق الجديد (2001)

## الفهارس

### فهرس الأعلام

|                         |                              |
|-------------------------|------------------------------|
| آل سعود (عبد العزيز : ) | صص 137-142-143-147- 150-151- |
|                         | 153-154                      |
| ابن إباح (عبد الله : )  | ص 28                         |
| ابن أبي سفيان (معاوية:) | ص 28                         |
| ابن أبي طالب (علي: )    | ص 28                         |
| ابن تركي (فيصل : )      | صص 75-76-78-79-80-81         |
| ابن تنتوش (علي: )       | ص 90                         |
| ابن حسين (عبد الله : )  | ص 42                         |
| ابن حسين (علي: )        | ص 142                        |
| ابن الحسين (فيصل: )     | صص 10-137-148-163            |
| ابن الرشيد :            | ص 152                        |
| ابن سعيد (أحمد: )       | صص 72-74                     |
| ابن سعيد (قابوس: )      | ص 72                         |
| ابن العاص (عمرو: )      | صص 8-16                      |
| ابن عسكر (خليفة : )     | ص 124                        |

|                        |                            |
|------------------------|----------------------------|
| ابن علوي (محمد):       | ص 144                      |
| ابن عيسى (طيب):        | ص 181                      |
| ابن فيصل (تيمور):      | صص 150-158-159-178         |
| ابن قيس (عزان):        | ص 74                       |
| ابن مساعد (غالب):      | ص 147                      |
| ابن يحيى (حسين):       | ص 144-146                  |
| ابن يوسف (محمد):       | ص 44                       |
| أبو شادي (أحمد):       | ص 101                      |
| أبو اليقظان (إبراهيم): | صص 128-132-152-162-179     |
| أتاتورك (مصطفى كمال):  | صص 56-121-127-128          |
| :                      |                            |
| أرسلان (شكيب):         | صص 8-19-32-34-35-63-64-84- |
|                        | 171-174-175                |
| اطفيش (محمد):          | ص 27                       |
| الأفغاني (جمال الدين): | ص 26                       |
| أنور (محمد):           | صص 56-87                   |
| أوتافي:                | ص 79                       |
| الباروني (إبراهيم):    | صص 135-164                 |
| الباروني (أبو القاسم): | صص 31-36-38-39-117         |
| الباروني (أحمد):       | ص 44                       |
| الباروني (زعيمة):      | صص 11-22-25-118-179        |

الباروني (سليمان): 6-7-8-9-10-11-12-15-18-19-صص  
20-21-22-23-24-25-26-27-28-31-  
33-37-38-39-40-42-43-44-45-46-  
47-48-49-50-51-52-53-57-58-59-  
60-62-63-64-65-67-69-74-75-80-  
81-82-84-85-89-90-91-96-97-98-  
99-100-101-102-105-106-117-  
118-119-120-121-122-123-124-  
125-127-128-129-130-131-132-  
135-136-137-139-140-143-145-  
146-147-148-150-151-152-153-  
154-155-157-158-159-160-161-  
162-163-164-165-166-167-168-  
169-170-171-172-173-175-176-  
177-178-179-180-181

الباروني (عبد الله): صص 22-23  
الباروني (يحي): صص 44-97  
بالخير (عبد النبي): صص 93-94-101-106  
بروشين (إيليتش): ص 88  
البساط (توفيق): ص 32  
بوحاجب (سالم): ص 24

|                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| البوصيري ( علي: )         | ص 92                           |
| بونابرت ( نابليون: )      | ص 39                           |
| تارديتي ( الجينرال: )     |                                |
| الثعالبي ( عبد العزيز: )  |                                |
| جبران ( محمد مسعود: )     | صص 23-25                       |
| الجعايبي ( محمد: )        | ص 130                          |
| جناح ( محمد علي: )        | صص 46-146                      |
| جنبلط ( وليد: )           | صص 32-181                      |
| جيوليتي ( جيوفاني: )      | ص 34                           |
| حسين ( الشريف: )          | صص -10-84-130-131-135-136-137- |
|                           | 138-139-140-142-143-144-146-   |
|                           | 152-153                        |
| الحصري ( ساطع: )          | صص 6-127                       |
| حلمي ( عباس: )            | صص 1-42                        |
| الخامس ( محمد: )          | ص 86                           |
| خربيشة ( يوسف: )          | ص 124                          |
| الخروصي ( سالم بن راشد: ) | صص 74-81                       |
| الخضرمي :                 | ص 44                           |
| الخليل ( عبد الكريم: )    | ص 32                           |
| الخليلي ( عبد لله: )      | صص 150-158-160-162             |

|                         |                               |
|-------------------------|-------------------------------|
| خير الدين (باشا: )      | ص 34                          |
| دانونتزيو (غبرييلي: )   | ص 34                          |
| الدجاني (أحمد صدقي: )   | صص 15-21-22-31-36-38-39-40-57 |
| الرافعي (عبد الغني: )   | ص 181                         |
| رجب (باشا: )            | ص 42                          |
| رجب (أكرم: )            | ص 105                         |
| الرصافي (معروف: )       | صص 33-84                      |
| رضا (محمد رشيد: )       | صص 35-64-84                   |
| روسي:                   | ص 122                         |
| الزاهري (محمد سعيد: )   | ص 181                         |
| الزاوي (الطاهر أحمد: )  | صص 117-122-123                |
| الزاوي (فرحات: )        | ص 90                          |
| زغلول (سعد: )           | ص 130                         |
| سان (لوسيان: )          | ص 132                         |
| سعادة (أنطوان: )        | ص 181                         |
| سفورزا (الكونت: )       | صص 93-94                      |
| سليم (الثالث: )         | ص 147                         |
| سميث آدم:               | ص 71                          |
| السنوسي (أحمد           | صص 36-87-96-146-172-173       |
| الشريف: )               |                               |
| السنوسي (زين العابدين ) | ص 181                         |

|                          |                                |
|--------------------------|--------------------------------|
| :                        |                                |
| ( السنوسي ) صفي الدين :  | ص 98                           |
| ( السنوسي ) محمد إدريس : | صص 97-98-99                    |
| :                        |                                |
| ( سوف ) محمد :           | صص 92-100                      |
| ( السويحلي ) رمضان :     | صص 99-101-106                  |
| ( السيد ) أحمد لطفي :    | ص 42                           |
| ( الشقيري ) أحمد :       | ص 127                          |
| ( شمس الدين ) بك :       | ص 86                           |
| ( شوكت ) محمود :         | ص 56                           |
| ( الشيعي ) عبيد الله :   | ص 16                           |
| ( الصنادلي ) محمد :      | ص 181                          |
| ( طه ) الشريف :          | ص 136                          |
| ( العازوري ) نجيب :      | ص 34                           |
| ( عبد الحميد ) الثاني :  | صص 7-9-10-27-31-32-36-37-42-   |
|                          | 45-49-50-51-53-56-57-58-61-62- |
|                          | 63-84                          |
| ( عبد الصمد ) بك :       | ص 120                          |
| عبد المجيد :             | ص 141                          |
| ( عبده ) محمد :          | صص 26-35                       |
| ( العريسي ) عبد الغني :  | صص 33-34                       |

|                              |                |
|------------------------------|----------------|
| عزّام ( عبد الرحمان ) :      | صص 96-99-101   |
| العظم ( حقي ) :              | صص 33-34-84-98 |
| العظم ( رفيق ) :             |                |
| علي ( محمد ) :               | ص 9            |
| عمانويل الثالث ( فيكتور ) :  | ص 87           |
| :                            |                |
| عمانويل الثالث ( ويتوريد ) : | ص 106          |
| العنق ( عمر ) :              | ص 129          |
| عيسى ( الشيخ ) :             | ص 158          |
| غازي ( الملك ) :             | ص 176          |
| غازي ( عثمان ) :             | ص 44           |
| الغناي ( عبد القادر ) :      | ص 101          |
| فتحي ( بك ) :                | ص 89           |
| فكيني ( محمد ) :             | ص 124          |
| فؤاد ( الأول ) :             | صص 42-130      |
| فؤاد ( عثمان ) :             | صص 101-102     |
| قبادو ( محمد ) :             | ص 23           |
| القشاط ( محمد سعيد ) :       | ص 117          |
| لكويوا :                     | ص 92           |
| لوبون ( غوستاف ) :           | ص 34           |



|                              |                     |
|------------------------------|---------------------|
| كامل (باشا) :                | ص 42                |
| محمد (كرد علي) :             | ص 9                 |
| كرومر :                      | ص 52                |
| كعبار (مختار) :              | صص 89-101           |
| كعبار (الهادي) :             | صص 89-90            |
| الكعكي (عبد الغني<br>عوني) : | ص 181               |
| كمال (مصطفى) :               | ص 26                |
| كيبليغ (رديارد) :            | ص 34                |
| محمد الحبيب (باي) :          | ص 132               |
| محمد رشاد :                  | ص 128               |
| المختار (عمر) :              | ص 19                |
| المريض (أحمد) :              | صص 90-101-106-120   |
| المصري (إبراهيم) :           | ص 148               |
| المصري (عزيز علي) :          | ص 56                |
| المقدوني (إسكندر) :          | ص 19                |
| المكي (محمد) :               | ص 24                |
| موسيليني (بينيتو) :          | صص 177-178-180      |
| النخلي (محمد) :              | صص 8-23-24-25-26-27 |
| نشأت (باشا) :                | صص 85-89-90-91      |
| النفزاوي (محمد الناصر)       | ص 57                |

|                  |            |
|------------------|------------|
| :                |            |
| نوري (باشا): ( ) | ص 99       |
| نيقولا :         | ص 120      |
| هنريسون آرثر :   | صص 167-169 |
| يوسف (علي): ( )  | صص 35-42   |

### قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا ألفائيا

#### المصادر باللغة العربية

الباروني (سليمان - : (الديوان ، مصر، الأزهار البارونية، 1908.  
صفحات خالدة من الجهاد :

جمعتها وحققتها زعيمة الباروني، مطابع

الاستقلال الكبرى 1991.

#### المراجع باللغة العربية

أبو اليقظان (إبراهيم : (سليمان باشا الباروني في أطوار حياته،

الجزائر، المطبعة العربية، 1956 ج 1 ج.2

الباروني (أبو القاسم : (حياة سليمان باشا الباروني، (د.م.ن، ط 2،

1948.

الباروني (زعيمة : (تعريف موجز، (دم.ن.، 1973.  
بروشين) إيليتش : (تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 حتى عام 1969،  
تحقيق وتقديم عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط2،  
جانفي. 2001.

محمد - (محمد قبادو، الحمامات-تونس، منشورات محمد  
بوذينة، 1995.

مشاهير القرن العشرين،

تونس، منشورات محمد بوذينة، 1994.

التليسي) محمد : (معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911-1921)،  
بيروت، دار الثقافة، 1972

التيوموي) الهادي - : (في أصول الحركة القومية العربية -1839)  
(1920، صفاقس، دار محمد علي الحامي، 2002.

مفهوم التاريخ وتاريخ

المفهوم في العالم الغربي من النهضة إلى

العولمة، صفاقس دار محمد علي الحامي. 2003.

جبران) محمد مسعود : (سليمان الباروني : آثاره، تونس-ليبيا، الدار  
العربية للكتاب، 1991.

جميل) عارف : (صفحات من المذكرات السريّة لأول أمين عام للجامعة

العربية عبد الرحمان عزّام، القاهرة، المكتب المصري الحديث، 1977.

داغر) أسعد : (مذكراتي على هامش القضية العربية، دار القاهرة

للطباعة، 1959.

الداود (محمود علي : محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية (1890-1914)، القاهرة، معهد الدراسات العربية

العالمية، 1961.

الدجاني (أحمد صدقي : ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني (1882-1911)، ليبيا، المطبعة الفنية

الحديثة، 1971.

رضا (محمد رشيد : الوهابيون والحجاز : طائفة من مقالات نشرت في المنار والأهرام، مصر، مطبعة المنار، 1925.

الزاوي (الطاهر أحمد - : (أعلام ليبيا، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1961.

### جهاد الأبطال في

طرابلس الغرب (أواخر (1911، لبنان-ليبيا،

دار الفتح للطباعة والنشر، 1970.

الزركلي (خير الدين : (الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط

14، 1999

عمي (محمد بن موسى بابا : (معجم أعلام الإباضية من القرن الأول للهجرة إلى العصر الحاضر، بيروت، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ،

المطبعة العربية دار غرداية، ط 2، 2000.

القشاط (محمد سعيد : (خليفة بن عسكر : الثورة والاستسلام، لبنان،

دار الميسرة، 1978.

محفوظ (محمد : (تراجم المؤلفين التونسيين، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط. 1.

المرزوقي (عبد النبي : (عبد النبي بالخير، داهية السياسية وفارس الجهاد، تونس، الدار العربية للكتاب، 1978.

مصطفى (سالم : (تكوين اليمن الحديث : اليمن والإمام يحيى -1904  
1948، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ط 2، 1981.  
منسي (محمود حسن صالح : (الحملة الإيطالية على ليبيا دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، 1980.

المؤدب جليلة : ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية : الحبيب ثامر (ت  
(1949 وعلي الحمامي) ت (1949 ومحمد أحمد بن عبود) ت (1949)  
، تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ( 2006 غ.م. (بإشراف  
محمد الناصر النفزاوي.

النفزاوي (محمد الناصر - : (أثر المدارس الغربية ومناهجها في التفكير السياسي العربي المعاصر، دروس في مادة تكميلية الحضارة الحديثة والمعاصرة (شهادة الماجستير (2006-2005، تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

التيارات الفكرية والسياسية

في السلطنة العثمانية (1839-1918)،

تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

2001.

## الموسوعات

دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة للإبداع الفكري، 1998:

- فصل إباضية الجزء 1
  - فصل "بنو حفص" ج 13
  - فصل "جمال الدين الأفغاني" ج 10
  - فصل "عمرو بن العاص" ج 24
  - فصل "معاوية بن أبي سفيان" ج 30
  - فصل عبد الحميد الثاني ج 23
  - فصل عبد المجيد ج 23
- موسوعة السياسة (عبد الوهاب الكيالي)، بيروت، المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر ط 4، 1999
- الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب . 1987 ج 2- 1
- موسوعة المورد العربية (منير البعلبكي)، بيروت، دار العلم للملايين،  
1990.

**Encyclopédie de l'Islam. Paris G.P. Maisanneuvre et  
Larose S.A. 1965.**

- Article °ABD. AL-HAMID II. T 1
- Article °ABD. AL-MADJID II. T 1
- Article °AMR. B-AL-°AS T1
- Article BANU HAFS T 3

Article DJAMAL AL DTN AL AFGHANI T.2 •

Article AL-IBADIYYA T3 •

Article MUAWIYA 1<sup>ère</sup> T7. •

جرائد ومجلات :

-الأمة :جريدة أسبوعية :إبراهيم بن الحاج عيسى أبي يقظان –  
الجزائر 1934،

عدد 151مقال "لماذا تصرّ أنقلترا على تأسيس مملكة يهودية في  
الشرق"

عدد 151مقال "حول مقال الأستاذ الباروني وإعلانه البراءة من  
الأمير شكيب أرسلان "

-الجهاد :جريدة سياسية إخبارية جامعة يومية ، محمد توفيق ذياب،  
القاهرة، مطبعة الترقى، 1931،

عدد 563مقال "شكيب أرسلان عن السنوسي "

-الصواب :جريدة علمية سياسية أدبية أسبوعية، مديرها محمد بن  
فرحات الجعايبي، تونس، 1904-1938، المطبعة العصرية، المطبعة  
العمومية بيكار، المطبعة التونسية، المطبعة الأهلية، تعطلت نهائيا  
1938.

عدد 399مقال "نداء من باريس إلى العالم الإسلامي

عدد 424مقال "الشريف حسين والخلافة "

عدد 397مقال "الشريف حسين وفريضة الحج"

عدد 432مقال "رسالة سلطان نجد "

- عدد 420 مقال " الشريف حسين يمّني نفسه بالخلافة"  
-القدس العربي ، ديسمبر ( 2001 الحلقة 3)  
-وادي ميزاب، جريدة أسبوعية، إبراهيم بن عيسى أبي يقطان، الجزائر  
1927/تونس، المطبعة التونسية 1926-1929  
عدد 4 مقال "سليمان باشا الباروني يعين وزير المملكة عمان "  
عدد 10 مقال "الحركة الوهابية "  
عدد 30 مقال "أنباء عمان "  
عدد 57 مقال "أنباء عمان "  
عدد 68 مقال "ردّ وتعليق "  
عدد 69 مقال "رد وتعليق "

الوثائق :

-ملف الباروني رقم 9، شعبة الوثائق والمخطوطات طرابلس، مركز  
جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. وثيقة عدد 137-83-9 مترجمة عن  
اللغة الإيطالية.

المراجع باللغة الأجنبية :

- BRÉMOND ( Edward), Yemen et Saoudia,  
l'Arabie actuelle, Paris, 1937.  
- CUSTERS ( M.H.), Ibadī publishing activities in  
the East and in the West, C 1880-1960s, Maastricht,  
2006.



**- ZISCHKA ( Antoine), Ibn Seoud Roi de l'Arabie,  
Preface du General E.D. Bremond : ancien chef de  
la mission militaire au Hejaz, Paris, 1934.**

## ملحق تصويبات

| الخطأ           | الصواب       | الصفحة | السطر |
|-----------------|--------------|--------|-------|
| هو              | حذف          | 7      | 14    |
| عديد            | عدد          | 24     | 10    |
| حولي            | حوالي        | 16     | 18    |
| افريقية         | إفريقية      | 17     | 23    |
| الشنق           | بالشنق       | 19     | 22    |
| أبه             | أبيه         | "19    | 29    |
| تراقبا          | تراقيا       | "19    | 29    |
| الليرياء        | الليريا      | "19    | 29    |
| آراءه           | آرائه        | 23     | 20    |
| وأسس            | أسس          | "23    | 19    |
| هناك            | (حذف)        | 24     | 23    |
| إن              | إذا          | 26     | 3     |
| الكمالي         | الكاملي      | "26    | 11    |
| كمال            | كامل         | "26    | 24    |
| رأي             | رأيي         | 33     | 23    |
| أنّ             | أن           | 35     | 12    |
| دعي             | دعي          | 36     | 22    |
| ككلّ            | (حذف)        | 46     | 10    |
| الفتاوي         | الفتاويّ     | 47     | 3     |
| انجازاتها       | إنجازاتها    | 49     | 19    |
| على             | (حذف)        | 68     | 13    |
|                 | "            | 168    | 12    |
|                 | "            | "168   | 16    |
|                 | "            | 175    | 17    |
| نجده            | وجدناه       | 49     | 19    |
| طرابلسته        | طرابلسيته    | 51     | 16    |
| دولة            | ولاية        | 58     | 20    |
| سيد             | سوّد         | 60     | 1     |
| إلى التأكيد على | إلى تأكيد    | 63     | 10    |
| الغير معترف     | غير المعترف  | 63     | 11    |
| الأف            | الألف        | 65     | 12    |
| وأرسلته         | والتي أرسلته | 67     | 14    |
| ضفار            | ظفار         | 70     | 5     |

|    |      |                    |                     |
|----|------|--------------------|---------------------|
| 14 | 75   | المجاورون          | المجاورين           |
| 14 | 76   | عظميان             | عظمان               |
| 15 | "76  | الموانئ            | المواني             |
| 9  | 79   | واقناعه            | وأقنعه              |
| 10 | "79  | معينة              | معنيّة              |
| 4  | 81   | الانضواء           | الإنضواء            |
| 4  | 82   | سلطانيين           | سلطانين             |
| 14 | 84   | المتكئ             | المتكّي             |
| 3  | 87   | الإيرادات          | الإرادات            |
| 7  | 88   | تحافظ              | يحافظوا             |
| 4  | 91   | باستقلال           | استقلال             |
| 7  | 94   | مطأطأ              | مطأطأ               |
| 21 | 94   | السنة نفسها        | نفسها السنة         |
| 12 | 101  | مديرا              | مدير                |
| 9  | 105  | العلية             | العلميّة            |
| 10 | 121  | يقوضون             | يفوضون              |
| 25 | 124  | أحمد الطاهر الزاوي | أحمد الطاهر، الزاوي |
| 27 | 128  | أبو اليقظان        | أبو اليقضان         |
| 23 | 129  |                    |                     |
| 24 | 132  |                    |                     |
| 20 | 129  | الذي               | الذي                |
| 26 | "129 | ضلع مساعد          | ضلعا مساعدا         |
| 2  | 132  | (حذف)              | لا                  |
| 4  | "132 | أمرأ بعدم          | بعدم                |
| 5  | 133  | 1923               | 1924                |
| 4  | 137  | الدعوة             | الدعوى              |
| 5  | "137 |                    |                     |
| 4  | 139  | يضمن               | يضمن                |
| 10 | 141  | موافقتهم           | موافقهم             |
| 5  | 142  | النجدي             | النجدين             |
| 23 | "142 | 1951               | 1981                |
| 11 | 144  | التي               | الذي                |
| 17 | "144 | عسير               | العسير              |
| 4  | "146 | أبنائه             | أبنائه              |
| 16 | 147  | دخل ابن السعود مكة | دخل ابن السعود      |

|    |      |                      |                |
|----|------|----------------------|----------------|
| 24 | "147 | الاستانة             | الاستناتة      |
| 16 | 148  | بالخلاقة             | بالفلاقة       |
| 2  | 150  | 1925                 | 1924           |
| 6  | 163  | صنعا                 | صفعا           |
| 12 | 165  | محضة                 | محصة           |
| 26 | 170  | عشرة                 | عشر            |
| 15 | 171  | تخلق                 | تغلق           |
| 21 | 171  | وخلفه                | الذي خلفه      |
| 1  | 173  | الإيطالية فغيب بذلك  | الإيطالية بذلك |
| 4  | "173 | لولا                 | لولا           |
| 7  | "173 | المعتدى              | المعتدي        |
| 23 | "173 | تنمة                 | تنمة           |
| 5  | 174  | بل بالإباضي          | بالاباضي       |
| 14 | 175  | (حذف)                | الثعالبي       |
| 1  | 176  | أهميّة آرائه الفكرية | أهمية الفكرية  |
| 3  | "176 | (حذف)                | الباروني       |
| 2  | 177  | خسيتها               | خسيتها         |
| 5  | "177 | بوضوح                | بوضوح          |
| 23 | 177  | 1945                 | 1940           |
| 19 | 179  | السّارة              | الشارة         |
| 22 | 180  | مستشارا عاما         | مستشار عام     |
| 15 | 181  | لم نجد منها          | لم نجد         |
| 22 | "180 | أو                   | أم             |

## فهرس الموضوعات

|       |   |
|-------|---|
| ص 2   | الإهداء   |
| ص 3   | شكر   |
| ص 4   | صورة الباروني   |
| ص 5   | خريطة طرابلس الغرب  |
| ص 6   | المقدمة   |
| ص 13  | القسم الأول : سليمان الباروني في الزمن الحميدي  |
| ص 14  | الفصل الأول : سليمان الباروني طالبا في تونس ومصر والجزائر ( 1887-1898 )                       |
| ص 30  | الفصل الثاني : سليمان الباروني متهما سياسيا ثم باحثا عن متنفس في مصر العباسية ( 1898-1908 )   |
| ص 41  | الفصل الثالث : سليمان الباروني ( 1907-1908 )  |
| ص 54  | القسم الثاني : سليمان الباروني زمن الدولة العثمانية الاتحادية ( 1908-1918 )                   |
| ص 55  | الفصل الأول : الباروني وإعلان المشروطية 1908  |
| ص 66  | الفصل الثاني : نشاط الباروني في المبعوثان ( 1908-1911 )                                       |
| ص 83  | الفصل الثالث : نشاط الباروني العسكري والسياسي ( 1911-1918 )                                   |
| ص 103 | القسم الثالث : سليمان الباروني في المهجر ( 1918-1940 )  |
| ص 104 | الفصل الأول : سليمان الباروني زمن الإعمار الأتاتوركي ( 1918-1923 )                            |
| ص 126 | الفصل الثاني : سليمان الباروني في فرنسا ( 1922-1923 )   |
| ص 134 | الفصل الثالث : الباروني والحرب الوهابية السعودية الهاشمية                                     |
| ص 149 | الفصل الرابع : الباروني بين واقعية السلطنة السعيدية ومثالية الخلافة الخليلية الإباضية في عمان |
| ص 183 | ملاحق   |
| ص 187 | الفهارس   |
| ص 188 | فهرس الأعلام  |

ص 195

ص 200

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات